مجلة «حمورابي» للدراسات
مجلة فصلية محكمة تعنى بالشؤون السياسية والستراتيجية
العدد 35 ـ السنة الثامنة ـ صيف 2020

رئيس التحرير: **أ. م. د. شـريف سـعيد حميـد**

مدير التحرير: **هبـة علي حسـين**

هيـأة التحـريـر

أ. د. بلقيس محمد جـــواد ـ جامعة گلگامش الأهلية ـ العراق

أ. د. خيري عبد الرزاق جاسم ـ مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية ـ جامعة بغداد

أ. د. محســـن صـالـــــح ـ كلية العلوم الاجتماعية ـ الجامعة اللبنانية

أ. د. سـعيد مجيـد دحـــدوح ـ أستاذ العلوم السياسية ـ العراق

أ. د. مثنـــى علـي حســـين ـ كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد

أ. د. ســـعدون حمـود جثير ـ كلية الإدارة والاقتصاد ـ جامعة بابل

أ. د. وســـام فاضـل راضـي ـ كلية الإعلام ـ جامعة بغداد

أ. د. أمحمـــد مـــالكـي ـ أستاذ العلوم السياسية ـ المغرب

أ. د. نـــورهـان الشـــيخ ـ أستاذ العلوم السياسية ـ مصر

أ. د. عـــروس الـزبـــير ـ أستاذ علم الاجتماع ـ الجزائر

تدقيق اللغة العربية: **علياء يحيى اوريثة**

تدقيق اللغة الانكليزية: **ضحى الخالدي**

التصميم والإخراج: هوساك كومبيوتر برس هاتف: 345687 1 00961 بيروت

الاشتراك السنوي: للأفـــــراد: 30 دولاراً أمريكياً
للمؤســـسات: 50 دولاراً أمريكياً
خارج الوطن العربي: 80 دولاراً أمريكياً

البريد الإلكتروني: hcrsiraq@yahoo.com
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد:
1709 لسنة 2012

ISSN 2227-5312

المحتويات

ملف حمورابي: ويستمر تأثير كورونا

النظام العالمي في مواجهة كورونا وسيناريوهات ما بعد كورونا — ماهر لطيف 6

جائحة كورونا... بين الحقيقة والمؤامرة — هبة علي حسين و ضحى حميد كريم 31

تداعيات جائحة فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي — م. م. علي سعدي عبد الزهرة جبير 43

بحوث حمورابي

ضبط سلاح القبائل والعشائر العراقية..
الدوافع ـ الأساليب ـ النظرة المستقبلية — حسن سلمان خليفة البيضاني 64

اتجاهات العراقيين نحو الأحزاب السياسية ذات التوجه العلماني — أ. د. محمود شمال حسن 87

أثر تقلبات سعر الصرف في الموازنة العامة للعراق — صابرين عدنان والي و ايمان علاء كاظم 108

دور التعليم ومؤسسات التنشئة الاجتماعية
في تدعيم ثقافة السلم الاجتماعي — موسى بن قاصير و خالد بو منجل 133

انعكاسات تطور القوة المعلوماتية الامريكية
في البيئة الداخلية — أ. م. د. دنيا جواد مطلك و أحمد عبد الجبار عبد الله 152

بلفور من اللاسامية إلى إنشاء وطن قومي لليهود — م. مراد الزير 175

الأبواب الثابتة

البحوث المترجمة
الجائحة والنظام السياسي ـ يتطلب وقفة ـ متابعة — ترجمة: ضحى الخالدي 208

الأكاذيب والأخطاء التي قادتنا إلى العراق, تطرح في كتاب — ترجمة: ضحى الخالدي 216

اصدارات حمورابي — هبة علي حسين 220

عرض الرسائل والأطاريح الجامعية — هبة علي حسين و سماح نجم كاظم 222

عرض الكتب الأجنبية — ضحى الخالدي 227

عرض الكتب العربية — مصطفى صادق عواد و هبة علي حسين 232

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

العنوان: العراق ـ بغداد ـ الكرادة ـ عرصات الهندية ـ مجاور السفارة الصينية
بغداد الجادرية صندوق بريد 2405
Website: http://www.hcrsiraq.net

Mobile: 00964 - 7810234002
Baghdad - Aljadiriyah - P O. Box: 2405
E-mail: hcrsiraq@yahoo.com

كلمة حمورابي

يستمر تأثير فيروس كورونا المستجد على العالم بنواحيه المختلفة، وأرجاءه الواسعة، وتتبارى الدول فيما بينها لأجل التكيف والتأقلم مع تأثيراته من جانب، والوصول إلى علاج له من جانب آخر.

وفي ظل الحديث عن ظهوره المفاجئ وانتشاره السريع، تتوالى التفسيرات والتأويلات، والافتراضات والاحتمالات، ما بين متجه لـ «نظرية مؤامرة» لم تتيقن بعد، ومؤكد لاتجاه علمي يسعى لإثبات صحة فرضياته العلمية، وحيث تتداخل علوم الطب والاقتصاد والاجتماع والسياسية لترسم ملامح ما بات يطلق عليه (عالم ما بعد كورونا)، وهو عالم افتراضي يجتهد الباحثون لرسم معالمه، وتحديد ملامحه، بل يذهب بعضهم إلى أنه سيسفر عن ولادة نظام عالمي جديد كالذي أفرزته مخرجات الحرب العالمية الثانية.

وتستمر السياسة، انعكاساتها وتأثيراتها، فرضياتها وتحليلاتها، وهي تحاول تحليل الواقع لاكتشاف معالم المستقبل. ويستمر معها (مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية) في مواصلة نشاطه العلمي، بما في ذلك تعامله وتعاونه مع الأساتذة والباحثين الكرام في مختلف نشاطاته، ومن بينها إصدار مجلته (مجلة حمورابي للدراسات). حيث تضمن هذا العدد باقة من البحوث ذات الأهمية العلمية، منها ما اختص بمواصلة دراسة تداعيات كورونا ضمن ملف العدد الذي حمل عنوان (ويستمر تأثير كورونا). ومنها ما يخص الشأن العراقي المفعم بالأحداث أمنياً واقتصادياً وسياسياً. فضلاً عن بحوث أخرى مهمة، ومن باحثين في أكثر من مؤسسة علمية، ومن أكثر من دولة: العراق وفلسطين وتونس والجزائر.

ما زال (حمورابي) يعمل على نشر العلم والمعرفة في اختصاص هو الأهم من بين الاختصاصات جميعاً، وما زال يأمل في أن يقدم إسهاماً علمياً نافعاً يخدم به المجتمعات والشعوب، من خلال المؤسسات العلمية والباحثين وصناع القرار. لذا يضع بين يدي القارئ الكريم هذا العدد من مجلته الفصلية العلمية المحكمة، أملاً في إعمام الفائدة وخدمة العلم.

الدكتور أنور سعيد الحيدري
مدير المركز

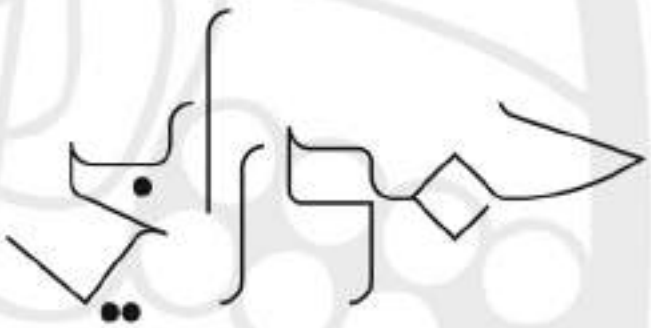

ملف حمورابي:
ويستمر تأثير كورونا

- **النظام العالمي في مواجهة كورونا وسيناريوهات ما بعد كورونا** — ماهر لطيف
- **جائحة كورونا... بين الحقيقة والمؤامرة** — هبة علي حسين و ضحى حميد كريم
- **تداعيات جائحة فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي** — م. م. علي سعدي عبدالزهرة جبير

«النظام العالمي في مواجهة كورونا وسيناريوهات ما بعد كورونا»

ماهر لطيف*
باحث من تونس

* كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس
capomaher2016@gmail.com

الملخص:

يدرس هذا البحث انتشار فيروس كورونا الذي تحوّل إلى جائحة عالمية ألقت بظلالها على كافة الدول دون استثناء، ويحاول دراسة تداعياته على الاقتصاد العالمي- الذي تخبط في أزمة خانقة منذ بداية العام- من خلال فرض قيود السفر وخسائر سوق المال وشركات الطيران والسياحة وهبوط أسعار البورصات العالمية وأزمة المبادلات التجارية الناتجة عن إغلاق الحدود ووقف الصادرات والواردات مقابل انخفاض أسعار البترول.

كما سنتحدث عن تداعيات كورونا على العلاقات الدولية عامة، وعلى منطقة الشرق الأوسط خاصة، حيث أن هناك قيمة عملية للبحث في الآثار المستقبلية المحتملة للأزمة، وذلك لنفهم أبعاد القرارات المتخذة في الحاضر ولتشخيص التهديدات والفرص وكذلك لاستشراف المستقبل، وفي سياق ذلك سنستعمل أداة المستقبليات المحتملة، بمعنى أننا سنطرح جملة من السيناريوهات المحتملة لحال المجتمعات والدول ما بعد كورونا (من قبيل تعاظم القوة الصينية أو مواصلة الهيمنة الأمريكية). وحتى تكتسب المعالجة البحثية جدواها جمعنا بين أطوار منهجية ثلاثة، طور وصفي يهتم باستعراض مجموعة من الأفكار، وآخر تحليلي يتفهم خلفياتها ورهاناتها وما شابها من سجالات، ثم طور نقدي يبين خطأ بعض الأقاويل والسيناريوهات ويرصد مفارقتها النظرية والعملية.

وقد اعتمدنا على أربعة عناصر فضلا عن مُقدّمة وخاتمة:

1 ـ سُرعة انتشار فيروس كورونا:

2 ـ تداعيات فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي:

أ ـ فرض قيود على السفر:

ب ـ أزمة التجارة:

ج ـ ارتفاع الأسعار العالمية والمحليّة مقابل انخفاض أسعار البترول بشكل حاد.

3 ـ تداعيات فيروس كورونا على العلاقات الدولية:

أ ـ السيناريو الأول: الهيمنة الصينية وسط انقسام العالم وتضارب المصالح

ب ـ السيناريو الثاني: استغلال فيروس كورونا لمواصلة الهيمنة الأمريكية

4 ـ منطقة الشرق الأوسط منطقة صراع دائم ومتجدد

أ ـ تأثيرات فيروس كورونا على منطقة الشرق الأوسط.

ب ـ الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في الشرق الأوسط في ظل تفشي فيروس كورونا.

ج ـ محاولة تأسيس نظام جديد في الشرق الأوسط برعاية أمريكية.

الكلمات المفتاحية: كورونا، النظام العالمي، الاقتصاد العالمي.

«The Global System in The Face of Corona and Post-Corona scenarios»

Meher Ltaif

Researcher from Tunisia

Faculty of Literature and Human Sciences of Sfax

Abstract:

This research studies the spread of the Corona virus, which has turned into a global pandemic that has cast its shadow over all countries without exception, and tries to study its repercussions on the global economy - which has been floundering in a suffocating crisis since the beginning of this year - by imposing travel restrictions, money market losses, airlines and tourism, decline in stock exchange prices, and the global crisis in trade exchanges resulting from the closure of borders and the suspension of exports and imports in returne for lower oil prices.

We will also talk about the repercussions of Corona on international relations in general, and on the Middle East region in particular, as there is a practical value to research the potential future effects of the crisis, in order to understand the dimensions of the decisions taken in the present and to diagnose the threats and opportunities as well as to anticipate the future, In this context, we will use the potential futures tool, meaning that we will present a set of

possible scenarios for the state of post-Corona societies and countries (such as the increase in Chinese power or the continuation of American hegemony). In order for the research treatment to gain its feasibility, we combined three methodological phases, a descriptive phase concerned with reviewing a set of ideas, and an analytical one that understood their backgrounds, stakes and similar debates, then a critical phase that showed the error of some of the sayings and scenarios, and monitors their theoretical and practical paradox.
We have relied on four elements as well as an introduction and conclusion:

1- The speed of spread of the Corona virus:

2- The repercussions of the Corona virus on the global economy:
   A- Imposing restrictions on travel:
   B- Trade crisis:
   C- The rise in global and local prices in contrast to the sharp drop in oil prices:

3- Repercussions of the Corona virus on international relations:
   A- The first scenario: Chinese hegemony in the midst of world division and conflicts of interest
   B - The second scenario: Exploiting the Corona virus to continue American dominance

4- The Middle East is a region of permanent and renewed conflict
   A- The effects of the Corona virus on the Middle East region
   B- The new American strategy in the Middle East in light of the outbreak of the Corona virus
   C - An attempt to establish a new order in the Middle East under American auspices.

Key words: Corona, the global system, the global economy.

المقـدمــة:

يُواجه العالم اليوم أزمة خانقة لعلّها من أكبر الأزمات التّي تُهدّد استقراره وتُقوّض ترابطه منذ قرن وتدفع به نحو المُواجهة. جوهر هذه الأزمة هو بدون مُنازع وباء العصر فيروس كورونا الذّي يُعتبر من أخطر الأوبئة العالمية ومن أشدّها فتكا بالإنسان نظرا لسرعة انتشاره طبقيا ومناطقيا مع غياب دواء ناجع لمقاومته والقضاء عليه.

بداية ظُهور هذا المرض كانت في الصين وبالتّحديد في مدينة «يوهان» في أواخر ديسمبر 2019، ليضرب إيران ومنطقة الشرق الأوسط ثم القارة الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية ويحطّ رحاله في القارة الإفريقية.

ومع اختراق الفيروس جميع دول العالم المُتقدّمة والنامية على حدّ سواء، ومع ارتفاع مُعدّل الإصابات والوفيات به تحوّل إلى كارثة عالمية، سيكون لها دون شكّ تداعيات كبيرة على السلم الدولي وعلى استقراره، وعلى مستقبل الاقتصاد العالمي الذّي سيتحمّل أعباء ثقيلة ربما يحتاج إلى سنوات وسنوات لتعويضها فضلا عن الخسائر البشرية الكبيرة.

لكن لا أحد بإمكانه التكهّن بمُستوى انتشار الجائحة ولا بحجم الخسائر الناجمة عنها في البلد الذّي يُقيم، فيه ناهيكم عن العالم بأسره، لكن ممّا لا شك فيه أنّ الأيام الأخيرة شهدت انتشارا أوسع ووتيرة أسرع لفيروس كورونا وأنّ عبارات من قبيل «رقم قياسي» أو «مستوى غير مسبوق» لم تعد ذات دلالة تُذكر، فكلّ يوم يتجاوز عدّاد الوفيات والإصابات ما سُجّل في الأيام التّي سبقته إلاّ في حالات نادرة مع ما يُرافق ذلك من انتقادات داخلية لسياسة هذا البلد أو ذاك ومن دعوات للتضامن والاتّحاد حقنا للدماء.

لقد ظهرت أزمة كورونا في نهاية عقد تميز بمنافسة استراتيجية شرسة بين القوى العظمى، وبهزة اقليمية متواصلة في منطقة الشرق الأوسط، وبعولمة اخترقت الحدود، وتلاعبت بها وبثورة معلومات غيرت أنظمة العالم، لتكشف هشاشة هذا النظام المعولم وتضارب المصالح الدولية ولتعري أيضا كذبة التضامن التي لطالما تغنى بها المجتمع الدولي مرارا وتكرارا.

ومهما يكن من أمر، فقد أجمع عديد الخبراء أن فيروس كورونا سيغير ملامح العالم الذي نعيش فيه تغييرا جوهريا تأسيا بالأوبئة والأمراض والحروب العالمية والأزمات الاقتصادية الكبرى التي حدثت في الماضي، ولكن نلاحظ إلى جانب هذا الاجماع بضع خلافات تتعلق بسيناريوهات ما بعد كورونا وأثرها على النظام الدولي بشكل عام وعلى منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص والأداة التي سنستخدمها في هذا المقال هي مستقبليات محتملة بمعنى وضع سيناريوهات مستقبلية لها علاقة بالأحداث الراهنة.

وسنسعى في هذا المقال أيضا إلى إثارة جملة من الإشكاليات التي سيستدعيها موضوع بحثنا نظريا وعمليا، وبناء عليه نثير الأسئلة الإشكالية التالية: ماهي تداعيات فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي؟

وما مدى تأثير كورونا على العلاقات الدولية الاستراتيجية؟، وفي أثناء ذلك سنتساءل هل سيشهد العالم دورا قياديا صينيا في المستقبل أم ستتواصل الهيمنة الأمريكية؟

وكيف ستؤثر أزمة كورونا على منطقة الشرق الأوسط؟ وهل سنشهد في الأيام القادمة تغييرا في الاستراتيجية الأمريكية حيال هذه المنطقة؟ وهي اشكاليات تهدف إلى معالجة فرضية بحثية تتعلق بآثار فيروس كورونا وارتداداته على الاقتصاد والعلاقات الدولية بشكل عام ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص، وحتى تكتسب المعالجة البحثية جدواها جمعنا بين أطوار منهجية ثلاثة، طور وصفي يهتم باستعراض مجموعة من الأفكار، وآخر تحليلي يتفهم خلفياتها ورهاناتها وما شابها من سجالات، ثم طور نقدي يبين خطأ بعض الأقاويل والسيناريوهات ويرصد مفارقتها النظرية والعملية.

1 - سُرعة انتشار فيروس كورونا:

مع كل جائحة تَضرب العالم يُكتَب تاريخ جَديد للبشريّة وتَرتَسم خارطة مُختلفة للتّوازنات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبُلدان. وما يعيشه العالم اليوم إثر تفشي فيروس كورونا Coronavirus (COVID-19) هو صُورة مُمَاثلة لتداعيات أكثر الجائحات والأوبئة التي ضَربت البشريّة عبر حقب تاريخية مختلفة. (على غرار الطاعون الأسود والكوليرا وانفلونزا الخنازير وانفلونزا الطيور وجنون البقر والحمى القلاعية...).

مع كل جائحة تَضرب العالم يُكتَب تاريخ جَديد للبشريّة

ولعل أخطرها وأشدها فتكا بالإنسان هو فيروس كورونا القاتل، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ السُلالة الجديدة من الفيروس تنتمي إلى العائلة المُوسّعة من كورونا وعددها 6، تستهدف الإنسان مباشرة، وهي من الفيروسات التاجية التّي تُهاجم الجهاز التنفسي وتفتك بفاقدي المناعة وكبار السنّ والرُضّع. وتعُدّ المُجتمعات التّي تُعاني تهرّما سُكّانيا فريسة سهلة لهذا الفيروس.

وكورونا هي فصيلة كبيرة من الفيروسات تُصيب الحيوان والإنسان على حدّ السواء، وقد تسبّب نوعان من فيروس كورونا في أوبئة خطيرة على مرّ التاريخ أوّلها مُتلازمة الالتهاب التنفّسي الحاد sars (2002 ـ 2003)، وأوقع 8000 مُصابا، وتُوفي 10بالمائة، منهم من بينهم 350 شخصاً في الصين.

أمّا النوع الثاني فهو مُتلازمة الشرق الأوسط التنفسية أو ما يُعرف بـ mers، والذّي أُكتشف للمرّة الأولى عام 2012 في منطقة الشرق الأوسط.

وفي ديسمبر 2019 ظهرت حالات التهاب رئوي حاد في الصين، ورُصد كورونا في سوق في مدينة «يوهان» وهي عاصمة مقاطعة «خوباي»، جعل من هذه المدينة

البُؤرة الأولى للمرض. وقد قُوبل انتشار الفيروس في الصين بما وُصف بأنّه أكبر حالة استنفار طبّي في التاريخ على مُستوى دولة واحدة. وتضمّن ذلك إجراءات غير مسبوقة، منها وضع سُكّان مدينة ووهان (بؤرة انتشار الوباء) البالغ عددهم 11 مليونًا، تحت إجراءات صارمة من العزل، وحظر التنقل. وطُبّقت تلك الإجراءات أيضًا بدرجات مُختلفة في مناطق متعدّدة من الصين، ما أدّى إلى النجاح في حصر أسوأ مظاهر الوباء في منطقة البؤرة، ومنعه من الانتشار بشكل واسع في تجمّعات أكبر وأكثر مركزية مثل العاصمة بكين. وقد تعاملت الدولُ الأخرى التي امتدّ إليها الفيروس، والدول المُجاورة لها التّي تحاول منع امتداده إليها مع هذه الأزمة بإجراءات مشابهة، والتّي تضمّنت غلق الحدود، ووقف رحلات الطيران، والعزل الصحي، وإلغاء التجمّعات والفعاليات العامّة، وحتّى الشعائر الدينية.»[1]

(1) كارن أبو الخير، «هل ينذر انتشار كورونا بتراجع روابط العولمة؟»، مركز المستقبل للأبحاث والمتقدمة، 1مارس 2020، www.futureuae.com

ولكن رغم صرامة الاجراءات التي طبقتها عديد الدول فإن ذلك لم يحل دون انتشار هذا الفيروس بسرعة قياسية، والذي لم يترك دولة دون أن ينتهكها حاصدا معه آلاف المصابين والضحايا وسط عجز أقوى الدول على مكافحته والحد من انتشاره، على سبيل المثال تظهر الأرقام والبيانات الرسمية ارتفاعا مطردا في عدد ضحايا فيروس كورونا حول العالم، حيث تجاوز عدد الوفيات أكثر من 731 ألفا، فيما تجاوز عدد المصابين الـ20 مليون مصاب. وبقيت الولايات المتحدة الدولة الأكثر تضررا في العالم، حيث تجاوز عدد الوفيات فيها 163 ألفا، فيما تجاوز عدد المصابين 5 ملايين شخص. وفي البرازيل أظهرت آخر بيانات وإحصاءات جامعة «جونز هوبكنز»، أن عدد الوفيات تجاوز 100 ألف، كذلك تجاوز عدد المصابين 3 ملايين مصاب. وتأتي المكسيك في المرتبة الثالثة في قائمة الدول الأكثر تضررا، حيث سجلت أكثر من 52 ألف حالة وفاة، وتجاوز عدد المصابين 4.8 ألف مصاب.[2]

(2) أنظر «آخر احصائيات عن ضحايا كورونا حول العالم»، جريدة الخبر، 10 أوت 2020، www.elkhabar.com

يرسم الخبراء المُختصّون في شؤون الصحة العامة والاقتصاد، وغيرهم من المُحلّلين السياسيين، صورة قاتمة وسوداء للمستقبل المنظور للمنطقة، التي ستواجه، حتى في حال نجاحها النسبي في احتواء الوباء خلال الأشهر المقبلة، تحديات بعيدة المدى بسبب الأضرار التي سببها، أو سيُسبّبها، الوباء، الذي أوقف الحياة الاقتصادية بشكل كامل في دول يفتقر معظمها إلى الموارد المالية والعملات الأجنبية لشراء الأدوية والمواد الغذائية.

ارتبط انتشار الوباء إلى حد كبير بطبيعة النظام السياسي الحاكم في كل دولة، والتطور الاقتصادي والمالي والتعليمي فيها، وقدرة مؤسساتها الصحية على مواجهة

الجائحة. الأنظمة المتسلطة والتي تتميز بقدرتها على تعبئة واستخدام أدوات السيطرة والمراقبة والقمع والتعتيم، مثل إيران وسوريا ومصر، لجأت إلى تضليل شعوبها حول طبيعة الوباء ومدى انتشاره وعدد ضحاياه. أما الدول الأكثر انفتاحا، والتي بنت أجهزة بيروقراطية فعالة أكثر وتتمتع ببعض الشفافية، مثل دولة الإمارات العربية المتحدة والكويت ولبنان، فقد تعاملت مع الجائحة بطريقة فعالة أكثر، لعدّة أسباب من بينها تطور أنظمتها الصحية، وسرعة حكوماتها في مصارحة شعوبها بحقيقة الخطر، والاسراع في فرض اجراءات العزل الاجتماعي ووقف الانشطة الاقتصادية والاجتماعية.[3]

(3) هشام ملحم، » جائحة كورونا: أخر ويلات عقد من الآلام في الشرق الأوسط»، معهد دول الخليج العربي في واشنطن، 24 أفريل 2020، .www agsiw.org

2 - تداعيات فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي:

تسبّبت درجة الانتشار السريع لفيروس كورونا في حالة تأهب قُصوى وقلق سيطرا على الاقتصاد العالمي بأكمله، وقد نتج عنها هبوط حاد في البُورصة وتهاوي أسواق المال إلى مُستويات قياسية غير مسبوقة، ممّا اضطر المستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال إلى بيع أسهمهم وتسييل أصولهم المالية، فضلاً عن شراء الذهب كإجراء احتياطي إلى حين مرور الأزمة.

لقد أوضح مُؤتمر الأمم المُتّحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) في دراسة تحليلية أنّ الصدمة التّي تسبّب بها كورونا ستُؤدّي إلى رُكود في الاقتصاد العالمي وستُخفّض النمو السنوي العالمي عام 2020 بحوالي 2.5 بالمائة، وربّما تسوء الأمور أكثر إلى درجة تسجيل عجز في الدخل العالمي بقيمة 2000 مليار دولار، مما يعني انهيار الاقتصاد العالمي بصفة كُلّية، فيما يشبه الكساد الكبير الذّي أعقب الأزمة الاقتصادية لسنة 1929 من القرن الماضي حيث كان تأثير تلك الأزمة مُدمّرا على تلك الدول تقريبا الفقيرة منها والغنية، وانخفضت التجارة العالمية ما بين النصف والثُلثين»[4]

(4) فيروز الشادلي، «التأثيرات السلبية لانتشار فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي وانعكاساتها على تونس»، أنباء تونس، 15مارس2020، .www.kapitalis com

وهو ما دفع بريتشارد كوزيل رئيس قسم العولمة والاستراتيجيات التنموية بهذه المُنظمة إلى القول بأنّ كورونا قد عمّقت الأزمة المالية العالمية الموجودة منذ 2008. ورغم كلّ ما قيل لازالت هذه الأزمة في بدايتها وسوف تتعزّز يوما بعد يوم بحُكم فقدان ثقة المواطنين والمستثمرين في حكوماتهم، خاصّة على مستوى إدارتها للأزمة التّي إن تواصلت سوف تُدخل المجتمع الدولي في دوامة من التراجع الاقتصادي تجعل الأوضاع أكثر سوء وقتامة، خاصّة مع تراجع قيمة الأصول المالية وحجم الاستثمارات، يُقابلها تزايد أزمة الديون والقروض والعجز عن تسديدها بسبب تراجع تدفق السلع وتوقف المبادلات التجارية بين الدول (الصادرات

والواردات) وقلّة الانتاج، مما سيُؤدّي إلى ارتفاع نسبة الافلاس الاقتصادي وانهيار مفاجئ لأصول العديد من البورصات العالمية بسبب تزايد المخاوف وصعوبة التنبؤ بحركة الأسواق خُصوصا، مع تزايد انتشار الفيروس وارتفاع مُعدّل الاصابات والوفيات وعجز الدول عن ايجاد لقاح للقضاء عليه.

أ - فرض قيود على السفر:

بعد تفاقم الأوضاع وخروجها عن السيطرة اتّجهت مُختلف الحكومات والدول إلى تقييد حركة التنقل والسفر سواء على المستوى الداخلي لكلّ دولة (فرض حظر التجوّل وعدم السماح للمواطنين بالتنقل بين المدن)، أو على المستوى الدولي في مُحاولة لمحاصرة المرض والحدّ من انتشاره. وبعد تحوّل الوباء من الصين وإيران إلى أوروبا فرضت دول الاتحاد الأوروبي قيودا صارمة على السفر وأغلقت حدودها أمام المسافرين والطائرات، وهو ما عطّل حركة التجارة.

وطبقاً لبيانات الاتحاد الدولي للنقل الجوّي، فقد وضعت أكثر من 50 حكومة حظراً شاملاً على المسافرين الوافدين إليها، وحظرت أكثر من 80 حكومة أخرى السفر إليها من دول مُحدّدة، يُنظر إليها على أنّها نقاط ساخنة لانتشار الفيروس. وتُشير بيانات موقع Flightradar 24 إلى أنّ حركة الطيران العالمية تراجعت بأكثر من 50%، وأنّ مُعظم رحلات طيران الركاب تم إيقافها، ولم يعد يطير في السماء سوى طائرات الشحن، وعدد محدود من طائرات الرُكّاب التّي تُسيّرها بعض الدول لإجلاء رعاياها من الدول الأخرى[5]، مما سيُكبّل شركات الطيران خسائر فادحة.

ويُمكن اعتبار هذه الخُطوات سابقة أولى من نوعها في تاريخ الاتحاد قد تضعه في أزمة جديدة بعد خروج بريطانيا من شأنها أنّ تعمق الخلاف بين زعمائه وتُشكّك في مستقبل الاتحاد.

(5) ورقة تقدير موقف بعنوان» كورونا تقود الاقتصاد العالمي إلى أزمة غير مسبوقة»، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 20 مارس 2020، www.futureuae.com

ب - أزمة التجارة:

في إطار السيناريوهات المُتعدّدة والمفتوحة لأزمة كورونا، لا يمكن لأحد أن يتوقع مدى قُدرة الدول على السيطرة على هذا الوباء واستعادة نشاطها الاقتصادي، فقد ألقت القيود المفروضة على السفر ومنع الطيران بظلالهما على حركة التجارة العالمية وعلى الوضع الغذائي في العالم.

ومن بين هذه الإجراءات اتخذت الدولة المصرية قرارا بوقف صادراتها من البقول وسارت على خُطاها الفيتنام ـ ثالث أكبر مُنتج للأرز في العالم ـ بالحدّ من صادرات

الأرز. واتخذت كازاخستان- تاسع أكبر مُصدّر للقمح ـ الخُطوات نفسها فيما يتعلّق بصادراتها من القمح.

ربما يمكن اعتبار هذه الاجراءات تدابيراً مُتوقّعة وطبيعية في ظلّ هذه الأزمة ولكن نتائجها ستكون وخيمة على الدول غير المُنتجة والفقيرة التّي ستكون عُرضة لمواجهة المرض والجوع معا. «وإذا ما تصاعدت هذه الموجة من القرارات، خاصّة فيما يتعلق بالسلع الغذائية، فإنّ المنطقة العربية ستكون من أكثر المناطق تضررا، حيث إنها تعتمد على استيراد الغذاء بنسبة كبيرة.

وبحسب إحصاءات التقرير الاقتصادي العربي المُوحّد لعام 2019، فإنّ الفجوة الغذائية للعالم العربي بلغت نحو 35 مليار دولار. وربُّما يكون موقف الدول العربية غير النفطية أكثر سوءا، لأنّها تفتقد للموارد المالية لتلبية احتياجاتها بالشكل الكافي، مما يعني أنها قد تكتفي بكميات أقلّ من احتياجاتها، أو أنها ستضطرّ للاستدانة من أجل توفير الغذاء. وفي هذا الإطار يُتوقع أن تتراجع قيمة التجارة الخارجية للدول العربية في 2020 بنسبة كبيرة، بسبب الانهيار الحاصل في أسعار النفط قرابة 64 بالمائة من إجمالي الصادرات العربية، وسيكون لذلك أثره على أداء التجارة البينية العربية»[6]

(6) عبد الحفيظ الصاوي، «دول عربية أكثر تأثير، تداعيات كورونا ترسم مستقبلا قاتما»، شبكة الجزيرة الإعلامية، 4أفريل 2020، www.alja-zeera.net

ج - ارتفاع الأسعار العالمية والمحليّة مقابل انخفاض أسعار البترول بشكل حاد:

أسهم تفشّي فيروس كورونا في تعطيل الاتفاقيات التجارية العالمية وفي إيقاف العديد من الصناعات، خصوصا مع اعتماد السياسات الاقتصادية والتجارية على ما يُعرف بسلاسل الانتاج التّي خلقت نوعا من التبعية للدول الكبرى المُصنّعة مما أربك حركة التصنيع وأوقف سير العمل وأدّى إلى اغلاق عديد المصانع، نذكر على سبيل المثال توقّف انتاج السيارات في اليابان بسبب اعتماده على قطع الغيار الصينية كما «انخفض الإنتاج العالمي لأجهزة الكمبيوتر المحمولة بنسبة تصل إلى 50 %، في شهر فبراير، ويمكن أن ينخفض إنتاج الهواتف الذكية بنسبة 12 % في الربع القادم، وذلك لأنّ كلا المُنْتَجَيْن يعتمدان على مُكوّنات تُنتجها شركات آسيوية مُتخصّصة في دول تعاني من الفيروس».[7]

(7) هنري فاريل وابراهام نيومان، «هل تعيد أزمة كورونا تشكيل الجغرافيا السياسية في العالم؟»، عرض إسراء إسماعيل، مركز مستقبل الأبحاث والدراسات المتقدمة، 25 أفريل 2020، www.futureuae.com

وقد انخفض نسق المشتريات التصنيعية الذّي يشمل الأدوات الدقيقة والأجهزة الكهربائية والمواد الطبية والآلات وقطع غيار السيارات وأجهزة الاتصالات، ما يعني أن هذه المواد ستشهد ارتفاعا في أسعارها بفعل حجم الطلب ونُقص الانتاج.

ولا يمكن أن نستثني المجال الطاقي من تداعيات تفشّي فيروس كورونا «حيث تراجعت أسعار النفط العالمية إلى مُستويات لم تشهدها منذ حرب الخليج الثانية عام 1991، حيث انخفضت الأسعار إلى مستويات ما دون 25 دولار للبرميل، وهناك توقّعات تُشير إلى إمكانية تراجعها إلى ما دون ذلك بكثير. وإذا لم تكن تبعات «كورونا» فقط هى من دفعت الأسعار إلى هذا المنحى، باعتبار أن حرب الأسعار بين المنتجين لها دور أساس في ذلك، لكنّ حرب الأسعار ذاتها كانت إحدى نتائج الهلع الاقتصادي الذّي أصاب بعض الحكومات بسبب «كورونا»، لاسيما وأن هناك توقعات تُشير إلى أنّ توقف الأنشطة الاقتصادية بسبب الفيروس يقود الطلب على النفط إلى تراجعات قد تصل إلى 20%، بفقدانه نحو 20 مليون برميل يومياً، وذلك وفق وكالة الطاقة الدولية»[8]

في مواجهة فيروس كورونا لا يوجد رابح أو مهزوم ولا أحد بمنأى عن الخطر

(8) ورقة تقدير موقف بعنوان، «كورونا يقود الاقتصاد العالمي إلى أزمة غير مسبوقة»، مركز المستقبل العربي للأبحاث والدراسات المتقدمة، 30 مارس 2020، www.futureuae.com

3- تداعيات فيروس كورونا على العلاقات الدولية:

تقوم السياسة الدولية على لُعبة تحالفات ومصالح، حيث تسعى كلّ دولة إلى تحقيق مصالحها التّي عادة ما تكون على حساب الدول الأخرى. وكما جرت العادة في كل أزمة ثمّة مُنتصرون وثمة مهزومون، ولكنّ في مواجهة فيروس كورونا لا يوجد رابح أو مهزوم ولا أحد بمنأى عن الخطر ولا أحد يمكنه أن يتكهن بحجم المُتغيّرات التّي ستحصل، والتّي قد تُفضي إلى زعزعة ركائز النظام الدولي القائم منذ الحرب العالمية الثانية، وتأسيس نظام عالمي جديد بإعادة رسم الخريطة العالمية ومواقع القوى الكبرى وتحديد نصيب كل دولة.

كشف انتشار الوباء عن ترهل السياسة الأوروبية التّي بقيت سائرة خلف القيادة الأمريكية المُتخبّطة

ولكنّ التغييرات العالمية لن تحصل دفعة واحـدة إنّما بشكل تدريجي، وقد بدأ التمهيد لذلك منذ أحداث 11 سبتمبر وما تلاها من الحرب على أفغانستان والعراق، ومن انتشار الحركات المُتطرّفة في الشرق الأوسط وظهور داعش في سوريا والعراق، وسط فشل أمريكي واضح في التعامل مع هذه الملفات الساخنة، وهو ما فتح الباب أمام التدخل الروسي- الصيني كلاعب دولي جديد.

كما كشف انتشار الوباء عن ترهل السياسة الأوروبية التّي بقيت سائرة خلف القيادة الأمريكية المُتخبّطة والفاشلة في أخذ القرارات مقابل نجاح الإدارة الصينية في قدرتها على القيادة وفي ابراز التضامن العالمي مع الدول المنكوبة، يرافق ذلك نجاح روسي في التعامل بشكل أفضل من واشنطن واستثمار ناجح في الأزمات.

كلّ هذه الأحداث تُشير في مجملها بحدوث تغييرات جذرية على السياسة العالمية وعلى العلاقات الجيوستراتيجية، لعلّنا لا نستطيع الجزم في هذه المرحلة الراهنة بمآلات المتغيرات الدولية وموازين القوى الجديدة، ولكننا نستطيع على الأقل أن نرسم ملامح المستقبل بناء على توجهات استراتيجية وسيناريوهات مُستقبلية محتملة لهذا النظام الجديد.

استخدم الرئيس الأمريكي «دونالد ترامب» الفيروس كذريعة للتراجع عن التضامن والتكامل العالمي

أ- السيناريو الأول: الهيمنة الصينية وسط الانقسام العالمي وتضارب المصالح:

استخدم الرئيس الأمريكي «دونالد ترامب» الفيروس كذريعة للتراجع عن التضامن والتكامل العالمي، في حين تستخدم الصين الأزمة لإظهار استعدادها للقيادة بصفتها الدولة الأولى التّي عانت من الفيروس وتعافت منه. هذه القُدرة على التعافي منحتها فرصة كبيرة للتأثير على سلوك الدول الأخرى بفضل طريقتها الجيّدة في مُعالجة الأزمات وبفضل مخزونها الكبير من المعدات الطبية. وكثّفت الحكومة الصينية لفتات التضامن الطبي تجاه أوروبا، التّي أصبحت مركزاً لوباء كورونا بعد مدينة «ووهان» في مقاطعة «هوبي» الصينية، ويقع هذا الكرم الصيني في قلب عملية علاقات عامّة واسعة النطاق، قام بها الرئيس الصيني «شي جين بينغ» والحزب الشيوعي، لتحويل الانتقادات ضدّ مسؤوليتهم في انتشار وباء مُميت.[9]

(9) مدني قصير، «لماذا تساعد الصين أوروبا في مواجهة فيروس كورونا؟»، مجلة حفريات، 20 أفريل 2020، www.hafryat.com

يرى عدد من الخبراء أنّ الصين تُحاول التموقع كزعيم عالمي بديل مُتعلّلة بفشل الولايات المتحدة الأمريكية في التعامل مع انتشار وباء كورونا وما يرافقها من سياسة الانكفاء على الذات، إضافة إلى مواقف ترامب العدوانية تجاه الدول الأخرى. وقد كانت واشنطن تعلم علم اليقين أنّ الاقتصاد الصيني الصاعد بقوّة الصاروخ سيُزيحها عاجلا أو آجلا عن عرش العالم الاقتصادي والمالي، فالنموّ الاقتصادي الأمريكي لا يزيد عن اثنين في المئة منذ زمن، بينما وصل معدل النمو الصيني قبل مدة إلى ثلاثة عشر في المئة ثم انخفض إلى ثمانية في المئة والآن استقر على ستة في المئة. بعبارة أخرى، إنّ الاقتصاد الصيني ينمو بمُعدّل ثلاثة أضعاف الاقتصاد الأمريكي، ولو استمرّ هذا النمو لعشرة أعوام فقط فهذا يعني أنّ الصين ستكون صاحبة أكبر ناتج اجمالي قومي في العالم، بينما ستتراجع أمريكا إلى المرتبة الثانية.

يرى عدد من الخبراء أنّ الصين تُحاول التموقع كزعيم عالمي بديل

وقد جاءت جائحة كورونا الآن لتزيد مخاوف أمريكا من النهوض الصيني العظيم، والسؤال المطروح هنا ماذا لو تمكّنت الصين من انتاج لقاح ناجع لفيروس كورونا

أفضل من اللقاح الأمريكي وبسعر تنافسي جدا؟، لذا يمكن القول إذا نجحت الصين في اكتشاف لقاح أو دواء للمرض فستكون أقدر من الولايات المتحدة على تصنيعه بسرعة أكبر وتكلفة أقل وسيكرس ذلك ريادتها العلمية والتقنية.[10]

إنّ الاقتصاد الصيني ينمو بمُعدّل ثلاثة أضعاف الاقتصاد الأمريكي

كما استغلّت الصين الانقسام العالمي وتضارب المصالح الدولية لطرح اسمها كبديل مُنقذ، وللمسك بزمام المبادرة من جديد بعد رفض دول الاتحاد الأوروبي مدّ يد العون لبعضها البعض وتخفيف الضغط عن الدول المنكوبة. إضافة إلى ذلك حظرت كل من روسيا وتركيا تصدير الأقنعة الطبية وأجهزة التنفس، وكذلك فعلت ألمانيا بالرغم من أنّها عُضو بارز في الاتحاد الأوروبي التّي تقضي قوانينه بفتح الأسواق الأوروبية والتجارة الحرّة، كما قامت فرنسا بالاستيلاء على جميع الأقنعة المُتاحة.

أمام انقسام وعجز دول الاتحاد الأوروبي في حربها ضدّ فيروس كورونا وتصاعد الشعبوية تأييدا لسياسة الانكفاء على الداخل، تدخّلت الصين بإرسال مليون قناع طبّي إلى فرنسا وبلجيكا وإسبانيا، كما أوفدت أطنانا من المعدات الطبية وفرقا من خُبرائها لنقل تجربتها في مُجابهة الفيروس إلى عدّة دول من بينها إيطاليا، «ففي أوائل مارس، دعت إيطاليا دول الاتحاد الأوروبي إلى مُساعدتها في توفير مُعدّات طبية، ولم تستجب أي دولة للطلب الأوروبي، لكنّ الصين فعلت ذلك، وعرضت بيع أجهزة التهوئة والأقنعة الطبية والملابس الواقية والقطن، وذلك في إطار سعي بكين إلى تصوير نفسها على أنها رائدة الكفاح العالمي ضدّ فيروس كورونا، من أجل تعزيز نفوذها. ويُعد ذلك أمرًا مُحرجًا بالنسبة لإدارة «ترامب»، التّي اتسمت ببطء الاستجابة للفيروس، واختزلت خُطوات مواجهته في حظر السفر من أوروبا. وبعيدًا عن كونها تُعتبر مزوّدًا عالميًّا للسلع العامّة؛ فإنّ الولايات المتحدة لديها القليل من الموارد التّي يمكن أن تُقدّمها للدول الأخرى، بل إنّها قد تجد نفسها قريبًا تتلقى الدعم من مُؤسّسة خيرية صينية»[11]

كما أرسلت الصين مُساعدات وإمدادات طبية إلى كلّ من اليونان وصربيا وجمهورية التشيك وبولندا وبعض الدول الإفريقية.

لكنّ قلة المساعدات ونقص الإمدادات الطبية من شأنهما أن يشعلا فتيل أزمة دبلوماسية بين الدول يصعب توقع مآلاتها ونتائجها، فقد اجتاحت العالم إثرها موجة من الهستيريا والقرصنة أسقطت شعارات العولمة الكاذبة وقيم التضامن العالمي،

(10) سعيد حسني علي، «إفلاس النظام العالمي في مواجهة كورونا وسيناريوهات ما بعد كورونا»، المركز الديمقراطي العربي، 29 مارس2020، www.democraticac.de

(11) هنري فاريل وابراهام نيومان، «هل تعيد أزمة كورونا تشكيل الجغرافيا السياسية في العالم؟»، عرض إسراء إسماعيل، مركز مستقبل الأبحاث والدراسات المتقدمة، 25 أفريل 2020، www.futureuae.com

حيث أعلن وزير الخارجية التونسي «محمد المسليني» عن قيام السُلطات الإيطالية بقرصنة باخرة مُحمّلة بشحنة كُحول طبية كانت في طريقها إلى تونس، كما اتّهمت إسبانيا السلطات التركية بسرقة شُحنة مُعدّات طبية اشترتها من الصين قبل أن تُفرج عنها تركيا، كما واجهت الولايات المتحدة الاتهامات نفسها من قبل كندا وفرنسا، وفي هذا السياق رفضت الولايات المتحدة التعليق على تقارير بثتها وسائل إعلام فرنسية وكندية تتهمها بقرصنة مستلزمات طبية كانت في طريقها إلى باريس وأوتاوا قادمة من الصين.

لعلّ المسيطر اليوم هو منطق من يدفع أكثر ينال ما فاض عن حاجة بيكين، تلك هي القصّة باختصار وتبدو الصين وحدها من تمتلك الأجوبة الشافية والكافية.

وإن صحّ ما قيل فالاتهامات تتطلّب دلائل والدلائل ستقود التحقيق، لكن الواقع أنّ جميع الدول- ومنها الولايات المُتحدة- تحتاج لهذه المستلزمات بشدّة، ونقصها بالأسواق المحلية والعالمية يُؤدّي إلى القرصنة والمُضاربات في النهاية وسيشعل اتهامات وحروب لا رابح فيها.

صفوة القول إنّ نجاح الصين في سعيها من أجل تبوء مركز قيادي عالمي هو رهينة استمرار القصور الحالي في الأداء الأمريكي حيال أزمة كورونا وتخبط ترامب وغرقه في الشأن الداخلي دون النظر إلى الدول الأخرى مع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية.

ب- السيناريو الثاني: استغلال فيروس كورونا لمواصلة الهيمنة الأمريكية

شهد العالم، خاصّة في الأوساط السياسية، نقاشات وجدالات واسعة حول حجم التغييرات التّي ستصيب النظام العالمي على خلفية تفشي فيروس كورونا خُصوصا مع طول الأزمة وضعف الدول في مواجهتها، ومع تراجع الدور الأمريكي مقابل تنامي الدور الصيني، إضافة إلى الهند والبرازيل وروسيا وبعض الدول الأوروبية.

كما راجت أخبار تُفيد بأنّ تكتل دول شرق آسيا بقيادة الصين سيقود العالم عوضا عن الولايات المتحدة الأمريكية، ما يفضي إلى قيام نظام عالمي جديد يُنهي الهيمنة الأحادية الأمريكية التّي ألقت بظلالها على العالم بعد سقوط الاتحاد السُوفياتي.

أنّ ما بعد كورنا لن يكون كما قبله

«وتذهب جدالات أخرى للقول بأنّ هذا الوباء مُقدّمة لإثبات فشل النظام الرأسمالي والليبرالية المتوحشة لحساب النظام الاشتراكي العالمي؛ على خلفية مُقارنات مُتسرّعة بين تعامل دول تنتمي لكلا

النظامين مع كورونا، لكنّ الحقيقة المُؤكّدة أنّ ما بعد كورنا لن يكون كما قبله، لكن ليس بالطريقة التي يتم تداولها والتي لا تخلو من انحيازات مُسبقة وتقديرات إمّا مبالغ فيها أو مُتسرّعة؛ فباستثناء الآثار الاقتصادية للأزمة التّي انعكست على أسواق المال العالمية وهبوط أسعار النفط وتوقف الدورة الاقتصادية بين الدول والتكتلات الاقتصادية، وداخل كلّ دولة جراء توقف انسياب البضائع والسلع والخدمات كالسياحة وغيرها من قطاعات، فإنّ المزاعم بتغييرات عميقة قد تصل لتغيرات في الخرائط السياسية للدول تبدو توقعات مُتسرّعة.[12]

إنّ المزاعم بتغييرات عميقة قد تصل لتغيرات في الخرائط السياسية للدول تبدو توقعات مُتسرّعة

(12) عمر الرداد، «هل ستحكم أمريكا قبضتها على العالم بعد كورونا؟»، مجلة حفريات، 1أفريل 2020، www.hafry-at.com

والحديث عن ظهور معسكر شرقي في مقابل معسكر رأسمالي مُتوحش يحتاج إلى مراجعة وتمحيص، لأنّ التأثيرات السلبية لكورونا ستُصيب جميع الدول بما فيها الصين ولن يستثني من تداعياتها أي طرف، ولعلّ الفرق سيكون بين قُدرة كل دولة على التكيف مع الأزمة القادمة والخروج منها بأخف الأضرار. وقد أثبتت التجارب التاريخية أنّ الولايات المتحدة هي الأقدر على التكيّف وعلى مُواجهة الأزمات بفضل سياستها الخارجية وشبكة علاقاتها وتأثيرها في الرأي العام الدولي.

وستُحاول الولايات المتحدة ابرام اتفاقيات ثنائية مع حلفائها المنتشرين في العالم، مع الهند وكوريا الجنوبية واليابان لمُحاصرة الصين والحدّ من تنامي قوتها الاقتصادية والعسكرية- التي قال عنها نعوم تشومسكي أنها مجتمع متنام لكنها تظل بلدا فقيرا بالنظر إلى مؤشر الأمم المتحدة للتنمية البشرية، فعلى مقياس صحة المجتمع تحتل الصين المرتبة 90 وتحتل الهند 130، وكل هذا الحديث عن سيطرة الصين والهند على العالم هو بارانويا خالصة. الولايات المتحدة فقط في العالم من تمتلك إمكانية توقيع عقوبات على أي بلد، وهي لديها أكثر من 1000 قاعدة عسكرية في جميع أنحاء العالم، ويمكنها تجاوز الإنفاق الكلي للعالم بإنفاقها العسكري فقط، ولديها مزايا استثنائية لا تشاركها فيها دولة أخرى مثل المساحة الشاسعة والموارد الضخمة-[13]ومع حليفها الأوروبي بريطانيا وأوكرانيا ودول البلطيق للتضييق على الأنشطة الروسية، ولا ننسى هنا شبكة علاقاتها الاستراتيجية مع دول الخليج وتركيا لمقاومة التوسع الإيراني.

(13) محمد محروس، «حوار مع نعوم تشومسكي: العالم يتغير وهذه مهمتنا، فهل نحن مستعدون؟»، موقع الاشتراكي، 26 أفريل 2020، www.revsoc.me

هذه الاتفاقيات ستُمكّن الولايات المتحدة الأمريكية من لعب دور قوي في إدارة الصراع السياسي والعسكري مع الصين وروسيا وإيران وستضمن لها قيادة العالم دون الحاجة إلى حروب مع هذه البلدان.

ونلاحظ أنّ تداعيات الفيروس على النظام العالمي الجديد تتوافق مع مقاربات الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، التّي طرحها في حملاته الانتخابية وتلك التي نفّذها منذ تسلّمه إدارة البيت الأبيض، والمتمثلة في تعزيز مقاربة الدولة الوطنية والدولة العميقة، بكل ما يتبع ذلك من سياسات لاحقة، مقابل إضعاف دور المُؤسّسات الأممية والاتحادات الدولية؛ إذ غابت الأمم المتحدة بمُؤسساتها ومُنظّماتها عن المساهمة الحقيقية في مواجهة كورونا، بالتزامن مع طرح تساؤلات حول جدوى منظومة الاتحاد الأوروبـي بعد إحجام دول أوروبية عن تقديم المُساعدة لإيطاليا وإسبانيا واليونان بمواجهة كورونا، حيث أصبح مقبولاً لدى شعوب هذه الدول اليوم اتخاذ الخُطوة التّي أقدمت عليها بريطانيا بالانفصال عن الاتحاد الأوروبي، وهو ما يُشّجع عليه ترامب[14]

(14) عمر الرداد، «هل ستحكم أمريكا قبضتها على العالم بعد كورونا؟»، مجلة حفريات، 1أفريل 2020، www.hafry-at.com

4- منطقة الشرق الأوسط منطقة صراع دائم ومتجدد:

أ - تأثيرات فيروس كورونا على منطقة الشرق الأوسط:

عاشت منطقة الشرق الأوسط أزمات وحروبا وانتفاضات شعبية عديدة أدّت إلى قتل وتهجير وتشريد الملايين، خاصّة في العراق وسوريا واليمن، وقد عصفت هذه الاضطرابات المُتتالية بأمن المنطقة، وجعلت عملية التعايش على المحك. ونظرا لهشاشة منطقة الشرق الأوسط فإن العديد من الأسئلة رافقت رحلة فيروس كورونا عن تداعياته على كل من السياسة والأمن والإرهاب والاقتصاد وبنية الصراعات والتحالفات في المنطقة.

وقد أثّر تفشي فيروس كورونا على جهود الوساطة الدولية، وأخّر اتمام عملية حفظ السلام في اليمن خاصّة مع حالة الفوضى والاقتتال التي تعيشها البلاد منذ سنوات، وما رافقها من ضعف البنية التحتية والصحية وانعدام اللقاءات بين أطراف النزاع اليمنية والتحالف الخليجي، الشيئ الذّي عطل أي جهود لإدارة الأزمة في البلد أو انهائها، كما تعطّلت مشاريع الإغاثة وإدارة شؤون اللاجئين.

هذا الفراغ الذي أحدثته كورونا قد تستفيد منه بعض الأطراف المتصارعة في الداخل اليمني أو السوري لتعميق سيطرتها على مناطق النفوذ أو استرجاع المناطق القديمة من الخصم، وبالتالي قد نرى مزيدا من الأعمال العدائية والعسكرية ومزيدا من الفوضى.

إنّ الأحوال في سوريا ليست بأفضل من اليمن فقد دمّر النظام السوري بالتعاون مع

الطيران العسكري الروسي المستشفيات والعيادات الصحية في المناطق التي تتبع المعارضة، مما أدّى إلى انتشار الوباء في مدينة ادلب المحاذية لتركيا، وزادت بذلك معاناة اللاجئين. وعادة ما تكون مشاعر النقمة والغضب فرصة مناسبة للتنظيمات الإرهابية لتجنيد مقاتلين جدد واستمالة مشاعر السكان لتوفير الحماية. وفي حالة عدم احتواء فيروس كورونا فإننا قد نشهد عمليات إعادة لجوء، بمعنى انتقال اللاجئين من المناطق التي يستقرون بها حاليا إلى مناطق أخرى توفر لهم مستوى معقول من الأمان بحيث لا يُصابوا. وهو ما سيشكل ضغطا على العديد من دول المنطقة، حيث تم تسجيل ارتفاع في محاولات الهروب بين الحدود السورية- اللبنانية نحو الداخل اللبناني.

سوف تعمل إيران على ترويج نفس الرسالة في الأمم المتحدة للدعوة لرفع العقوبات عن إيران

كما ستستمر إيران في استثمار الأزمة داخليا وخارجيا، حيث سيتم التوسع في ترويج رسالة مفادها أن عجز إيران في مكافحة الوباء ما أسفر عن سقوط مئات الضحايا، إنّما جاء بسبب العقوبات الأمريكية المفروضة على إيران، وبطبيعة الحال فإن الأمر يصب في مصلحة جبهة المتشددين في الداخل الإيراني بالتأكيد على صحة رؤيتهم بضرورة مواجهة المستكبرين. بينما في الخارج سوف تعمل إيران على ترويج نفس الرسالة في الأمم المتحدة للدعوة لرفع العقوبات عن إيران. وترى دول مختلفة في الشرق الأوسط أن رفع العقوبات عن إيران قد يأتي بتهديدات أمنية مختلفة.[15]

(15) أحمد الباز، «كيف سيؤثر فيروس كورونا على حالة الأمن والصراع في الشرق الأوسط؟»، مجلة حفريات، 6 ماي 2020، www.hafryat.com

ومن جهة ثانية رغم محاولات عديد الحكومات على غرار لبنان والعراق في السيطرة على الشوارع من خلال فرض حضر التجول ونشر قوات الأمن والجيش، إلا أن ذلك لم يمنع من عودة الاحتجاجات المُطالبة بالتنمية والتغيير ومحاربة الفساد والقطع مع المحسوبية والطائفية، بمعنى أن فيروس كورونا أصبح عاملا مساعدا في تحريك الشعوب وفي بناء الثورات، حيث كشفت الأزمة الناتجة عن هذا الفيروس عن مواطن الخلل والضعف والأزمة في عديد القطاعات (البنية التحتية، والمنظومة الصحية) إضافة إلى البطالة وتسريح العمال بلا تأمين ولا تغطية صحية، وتغليب الدول لمصالحها الاقتصادية على حساب مصلحة مواطنيها وسلامتهم.

ومن الأفكار المنبثقة بين الناظرين إلى المستقبل أن كورونا ستقلب التوازنات في المنطقة وستُعيد تشكيل التحالفات، وبناء شبكة العلاقات من جديد في ظلّ محاولة الصين الاستفادة من الأزمة بأي شكل عبر توطيد علاقاتها بعديد دول المنطقة، ونظرا إلى أن الولايات المتحدة لا ترغب في وصول الصين إلى مستويات نفوذ عالية قد

تهدد المكاسب التي حققتها في منطقة الشرق الأوسط طيلة السنين الماضية، فإن الشرق الأوسط قد يصبح مسرح تجاذبات بينهما بما يؤثر على استقراره الأمني الهش.

أحفاد ماوتسي تونغ يفهمون جيدا لعبة القوة الناعمة مع اتقانهم استخدام القوة الصارمة

فقد زادت الصين مؤخرا من حجم دعمها للنظام الإيراني عبر توقيع معاهدات اقتصادية جديدة، كما زادت من حجم استثماراتها في العراق في قطاعات مختلفة كالإسكان وبناء الطرقات ونقل الغاز والصناعات النفطية بالشراكة مع الدب الروسي.

أحفاد ماوتسي تونغ يفهمون جيدا لعبة القوة الناعمة مع اتقانهم استخدام القوة الصارمة، فحين يتراجع الدور الريادي للولايات المتحدة الأمريكية (مبدأ الانكفاء على الذات في عهد ترامب والتنصل من الاتفاقيات كالانسحاب من مؤتمر المناخ والاتفاق النووي الإيراني) تستخدم الصين هذه الظاهرة العالمية لوضع نفسها بشكل استراتيجي في مرحلة السياسة العالمية الجديدة وذلك من خلال ترسيخ وجودها في جميع قارات العالم المختلفة.

على مدى السنوات الماضية، كان حضور الصين ينمو في أجزاء كثيرة من العالم، ففي إفريقيا على سبيل المثال، استحوذت الصين على العديد من المشاريع الاقتصادية. كما أنها تحاول تأكيد قوتها الاقتصادية والسياسية من خلال مبادرة «الحزام والطريق» أو كما يشار إليها أحيانًا، بطريق الحرير الجديد التي أطلقتها الصين عام 2013. تقوم مبادرة الحزام والطريق على مجموعة من مشاريع البنية التحتية المرتبطة ببعضها البعض، على شكل خطوط للسكك الحديدية، وخطوط الطاقة والطرق السريعة. بالإضافة إلى ذلك، تهدف المبادرة إلى توسيع فرص التجارة البحرية، من خلال الاستثمار في تطوير الموانئ على طول المحيط الهندي، من جنوب شرق آسيا، وصولاً إلى شرق إفريقيا وأجزاء من أوروبا. وهو مشروع طموح للغاية يهدف إلى إدارة التدفق الاقتصادي في آسيا وفي نفس الوقت يعوض التأثير الأمريكي في القارة.

على مدى السنوات الماضية، كان حضور الصين ينمو في أجزاء كثيرة من العالم

مبادرة الحزام والطريق هي المشروع الرئيس الذّي يتحدى الهيمنة الأمريكية، ولكن بجانبها يوجد تعاون آخر بين القوتين العظيمتين، الصين وروسيا، على المستويين الاقتصادي والسياسي. كلا البلدين في طريقهما للتخلي عن الدولار في نشاطهما الاقتصادي واستخدام عملاتهما بدلاً منه. ولديهما أيضًا العديد من الاتفاقيات حول

ما يحدث على المسرح العالمي، بما في ذلك الشرق الأوسط. فعلى مدى السنوات الماضية، حاولت روسيا ملء الفراغات التي تركتها أمريكا في الشرق الأوسط، من خلال التدخل في سوريا وليبيا. لكن روسيا ليست وحدها، فالقوى الإقليمية الأخرى مثل إيران وتركيا تتمتعان بنفوذ كبير في المنطقة أيضا.[16]

على مدى السنوات الماضية، حاولت روسيا ملء الفراغات التي تركتها أمريكا في الشرق الأوسط

ب- الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في الشرق الأوسط في ظل تفشي فيروس كورونا:

تحضى منطقة الشرق الأوسط بمكانة كبيرة في حسابات الولايات المتحدة الأمريكية ودول أخرى، كون هذه المنطقة من المناطق الغنية التّي تتركّز فيها المصالح الأمريكية الحيوية التيّ لا يمكن الاستغناء عنها، بل إنّ واشنطن على أتمّ الاستعداد لاستخدام قوتها العسكرية في حال تعرض أيّ من مصالحها في الشرق الأوسط للتهديد. وتتأسّس الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط على مجموعة من الأسس تتمثل بالتحكم بالنفط والسيطرة على القنوات المائية والحفاظ على أمن إسرائيل ومراقبة الخطر الإيراني وحماية المصالح الأمريكية الأخرى.

لقد طرحت الولايات المتحدة الأمريكية، في بداية التسعينات وبعد انهيار النظام السوفياتي، مجموعة أفكار وأسس على أساس أنّها النظام العالمي الجديد القائم على ما يُسمّونه الديمقراطية وحقوق الإنسان والانفتاح على العالم الحر تحت مُبرّرات فكرية وإيديولوجية شمولية، وفرض الهيمنة الأمريكية على مناطق حيوية مثل منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي، إذ تمّ بعد مؤتمر مدريد اتباع منهجية خطيرة بهدف إضعاف قوّة العرب السياسية والاقتصادية والثقافية وقدرتهم الدفاعية والتبشير بنظام الشرق الأوسط كنظام إقليمي يكون فيه لإسرائيل دور مركزي ومحاولة فعلية لتهميش الدور العربي الإقليمي وتبديد مصادر قوته الحقيقية. كما سعت الإدارة الأمريكية كزعيمة لذلك النظام من تفكيك بعض الدول العربية والأقاليم نزولا عند رغبة السلام الإسرائيلي المزعوم، ووضع سياسات خاصة لبعض الدول كسياسة الاحتواء باتجاه إيران[17]

وعلى هذا الأساس فإنّ الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط ارتكزت على عدة مفاهيم منها:

- ردع أي اعتداء أو عدوان خارجي على الاسطول الأمريكي أو على مصالح الحلفاء داخل منطقة الخليج وخارجها.

(16) يوسف خليل، «فيروس كورونا والحاجة إلى نظام عالمي جديد»، شبكة الجزيرة الإعلامية، 17 أفريل 2020، www.aljazeera.net

(17) حارث قحطان عبد الله، «الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط (مرحلة ما بعد أحداث 11 سبتمبر)، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العدد 2، السنة 2، أكتوبر 2010.

- الاستناد إلى حلفاء محليّين كإسرائيل وتركيا ضمن مشروع يهدف إلى ربط الشرق الأوسط بتحالف أمني واقتصادي وعسكري.
- مُراقبة تحركات إيران في المنطقة ومحاولة عزلها وتوقيع أقصى العقوبات عليها ومنع ظهور قوى إقليمية جديدة، كذلك وضع ترتيبات أمنية جديدة من خلال إعادة الانتشار والتموقع والاحتفاظ بتواجد الأسطول البحري الخامس بصورة دائمة في مياه الخليج.
- التشجيع على التطبيع (الاقتصادي والثقافي) مع إسرائيل من أجل تحقيق السلام وإنهاء ما تُسمّيه بالمقاطعة التي تخلق حروبا اقتصادية (يظهر ذلك في توقيع الإمارات لمعاهدة سلام مع إسرائيل).
- دعوة دول الخليج (الإمارات والسعودية والبحرين ومعها مصر) إلى انهاء مقاطعتهم لقطر وحثّهم على التحاور واعتماد الدبلوماسية لرأب صدع البيت الخليجي مقابل ابرام قطر مع واشنطن صفقة أسلحة ضخمة ومتطورة وقبولها بتوسيع قاعدة العديد العسكرية وضخّ استثمارات كبيرة في مشاريع تطوير البنية التحتية الأمريكية.

وقد استمرت الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط على الأسس المذكورة، إلا أن تغييرات طفيفة قد تطرأ عليها بين فترة وأخرى تخصّ بعض الأدوات والوسائل التّي تستخدمها واشنطن.

وواصل الرئيس دونالد ترامب العمل وفق منهج الاستمرارية التّي تعني مواصلة عملية الانتاج ونقل البترول والغاز، وتأمين ومراقبة الممرات المائية الحيوية في المنطقة، ومحاربة الحركات الإرهابية والمُتطرّفة في المنطقة (داعش وتنظيم القاعدة وحركات أخرى) وحظر الانتشار النووي والصاروخي وحماية إسرائيل.

ج- محاولة تأسيس نظام جديد في الشرق الأوسط برعاية أمريكية:

- التطبيع الإماراتي- الإسرائيلي:

إنّ المُتتبّع والمراقب لأحوال الشرق الأوسط يلاحظ أن الدول العربية قلقة من تزايد النفوذ الإيراني والتركي في المنطقة، وهي تحاول بناء منظومة أمنية جديدة برعاية أمريكية، خصوصا وأن اجتماع وارسو قبل عامين يتحدّث عن فكرة نيتو عربي بوجود دول عربية مُعتدلة (مصر السعودية البحرين الإمارات، الكويت، الأردن) وبمساعدة إسرائيل، بمعنى أن إسرائيل هي الجزء الأساس في هذا التحالف، تظهر معالم هذه

المشروع بوضوح من خلال التطبيع الإماراتي- الإسرائيلي الذّي هو في حقيقة الأمر تحالف استراتيجي الشقّ الأهم فيه هو الجانبين الأمني والعسكري.

مراقبة إيران ومُحاربتها والتضييق عليها بشتىّ الطرق والوسائل لأنّها تمثل خطرا وجوديا واستراتيجيا على المصالح الإسرائيلية

تُريد إسرائيل عبر هذا التحالف أن يكون لها موقع قدم في قلب الخليج وفي قلب الجزيرة العربية، كما تريد بناء قاعدة عسكرية دائمة للتجسّس على إيران والتحكمّ في الجزيرة العربية وفي باب المندب وبحر العرب أيضا نيابة عن الأمريكان، والهدف الأساسي هو مراقبة إيران ومُحاربتها والتضييق عليها بشتىّ الطرق والوسائل لأنّها تمثل خطرا وجوديا واستراتيجيا على المصالح الإسرائيلية، فإيران تدعم حزب الله في لبنان وتدعم الحشد الشعبي في العراق وتدعم الحوثيين في اليمن (تمدّهم بالأسلحة وبتقنيات متطورة وطائرات مسيرة لضرب أهداف خليجية)، كما أنهّا تدعم النظام السوري وتحميه من السقوط، وهي من تدعم المقاومة الفلسطينية من خلال اعطائها تكنولوجيا الصواريخ ومدّها بصواريخ الكورنيت التّي أذلت الاحتلال الإسرائيلي، لهذه الأسباب يُركّز التحالف الجديد على كيفية مواجهة إيران وضربها والتجسّس عليها، وأحسن منصة لذلك هي دولة الإمارات التّي تمتلك نفوذا كبيرا ومؤثرا في المنطقة ولها شبكة علاقات قوّية مع مصر، ولها وجود في ليبيا وأثيوبيا والصومال وارتريا ولها مليشيات عسكرية في اليمن تُسيطر من خلالها على باب المندب وعلى إحدى ضفتي مضيق هرمز بالاشتراك مع سلطنة عمان. وما دعم ترامب لهذا التحالف إلاّ رغبة منه في وضع إسرائيل على الشاطئ الغربي لمنطقة الخليج وعلى حدود إيران، وبالتالي ضرب إيران ضربات سريعة وخاطفة انطلاقا من قواعد خليجية قريبة، وإذا تمعنّا الخريطة جيدا نكتشف أنّ مُعظم المفاعلات والمنشآت النووية الإيرانية هي على الخليج (أراك / يزد/ نطانز / فوردو / بوشهر)، كذلك مُعظم حقول النفط والغاز الإيرانية وموانئ التصدير موجودة على الخليج.

يُركّز التحالف الجديد على كيفية مواجهة إيران وضربها والتجسّس عليها، وأحسن منصة لذلك هي دولة الإمارات

وقد أعلن دان شيفتان رئيس مركز دراسات الأمن القومي بجامعة حيفا أنّ الهدف المبطن من هذا التحالف هو فعلا إلحاق الأذى بإيران التّي تُريد فرض هيمنتها على الشرق الأوسط، وهذا خطر حقيقي على إسرائيل والدول العربية وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية. يسود اعتقاد في طهران أنّه بإمكانها السيطرة على الشرق الأوسط، وقد نجحت في ذلك فعلا في سوريا والعراق واليمن وجهودها في هذا الشأن خطيرة جدا، وتحاول كلّ من الولايات المتحدة وإسرائيل والدول

العربية مُجتمعة مواجهة هذه الجهود وإيقاف التمدّد الإيراني بكلّ الوسائل.

وبدون شكّ سيحدث هذا التحالف تغييرا كبيرا في المنطقة، كما لا أستبعد في المقابل تأسيس تحالف إيراني- تركي لمواجهة التمدد الإسرائيلي رغم حجم الخلافات الحاصلة بينهما لأنّه في النهاية هناك خطر وجودي إسرائيلي يُهدّد مصالحهما القومية المُشتركة.

ولا أحد منّا قادر على أن يتخيل ما ستؤول إليه هذه الأحداث، ولا حجم تداعيتها على منطقة الشرق الأوسط التّي تُعاني أصلا هشاشة أمنية وتذبذبا في سياساتها وتوترا في علاقاتها.

- مشروع الشام الجديد:

تحالف آخر هو أيضا برعاية أمريكية، وهو مشروع الشام الجديد مشروع ضخم سيُغيّر وجه المنطقة بلا شكّ، وسيعمل هذا المشروع على ربط العراق بمصر من خلال الأردن ليكون نُسخة مُصغّرة من الاتحاد الأوروبي، ويعتمد على العراق كمصدر للنفط، وعلى مصر التّي ستُوفّر العمالة البشرية، والأردن كحلقة وصل مع إمكانية انضمام السعودية وسوريا إلى هذا المشروع.

جعل إسرائيل كجسر برّي والأردن كمركز لنقل إقليمي مع إنشاء سكك حديدية تربط دول الخليج والعراق مع إسرائيل

وسيعتمد المشروع أيضا على طاقات المنطقة التجارية والاقتصادية والسياحية التّي ستجعلها أرضا خصبة للاستثمارات، كما سيرتبط بمشروع آخر تبنته تل أبيب ويقوم على جعل إسرائيل كجسر برّي والأردن كمركز لنقل إقليمي مع إنشاء سكك حديدية تربط دول الخليج والعراق مع إسرائيل.

ورغم أهمية مشروع الشام الجديد الاقتصادية والتجارية إلاّ أنّه يحمل غايات سياسية تتمثّل في تضييق الحصار على مضيق هرمز، وعزل إيران تجاريا في إطار التماهي مع سياسة الضغوط القصوى التّي تمارسها إدارة الرئيس دونالد ترامب على طهران.

وفي النهاية فحالة التخبط التي يعيشها العالم أجمع اليوم بسبب فيروس كورونا، وما خلّفه من خسائر اقتصادية كبيرة تجعل هذا التجمّع الاقتصادي مُهمّا للغاية، خُصوصا وأنّه يملك أسباب القوة والشراكة الاقتصادية التي تجمع بين الثروات الطبيعية والكتلة البشرية.

تعمل واشنطن دوما على خلق التوازن من خلال تكوين التحالفات مع دول المنطقة

لحماية مصالحها الاستراتيجية هناك من دون تحمّل تكاليف كبيرة خاصّة مع الأزمة الاقتصادية، والاعتماد على مبدأ الانسحاب التكتيكي وعدم التورط العسكري المباشر والابقاء على القوات الأمريكية في حالة تأهب واستعداد لإفشال أي هجوم قد تواجهه.

وقد استشعرت الولايات المتحدة حجم الخطر المُحدق بمصالحها في منطقة الشرق الأوسط في الفترة الأخيرة مع تفشي فيروس كورونا، وفي هذا الإطار، ووعيا منها بحجم الاستنزاف الذّي تعرضت له جراء احتلال العراق وأفغانستان، عمدت الولايات المتحدة إلى التعامل بعقلية جديدة مع متغيرات الواقع وذلك بتوقيع الاتفاقيات (يظهر ذلك من خلال توقيعها مذكرة تفاهم مع حركة طالبان والحوار الاستراتيجي مع العراق) وتخفيف وجودها في البلدين، والتقليل من التورط العسكري المباشر، واتّبعت مقابل ذلك سياسة الضغوط القصوى في تعاملها مع النظام الإيراني من خلال العقوبات الاقتصادية القاسية، ومراقبة التحركات الإيرانية في مياه الخليج عبر أسطولها المنتشر هناك، كما عملت من جهة أخرى على التخفيف من التوتر مع حليفتها تركيا من خلال دعم واشنطن عملية غصن الزيتون التركية وتبرير التدخل التركي في الأراضي السورية للجم التوسع الروسي شرق الفرات ومنعه من الوصول إلى الطريق الدولية، كما عملت على إعادة تموقعها من جديد في الشمال السوري بنشر جنودها هناك من أجل محاربة داعش وحماية حقول النفط وتأمين تدفقها إلى العراق بمساعدة قوات الشعب الكردية.

يبدو شعار «أمريكا أولا» مُتّسقا مع أطروحات اليمين الأمريكي على تنوّعها وتطرفها وتحقيق المصلحة القومية، وكراهية الأجانب

وهنا لا يفوتنا التأكيد على مصطلح الصفقة التّي تعتمده السياسة الخارجية الأمريكية وهي مزيج من سياسة التاجر الشاطر الذي يأتي بالأموال والحلول في زمن القحط والتقشف، وقد تقمّص ترامب هذا الدور بشكل جيّد- فهو الرئيس التنفيذي والقائد العام للقوات المسلحة وكبير الدبلوماسيين- تجاه دول الخليج العربي، حيث يُؤكّد في كلّ تصريحاته الإعلامية على ضرورة أن تدفع دول الخليج ثمن حماية واشنطن لها بشكل مباشر أو غير مباشر عبر صفقات الأسلحة الضخمة أو التعاون في مجالات الطاقة والاقتصاد، وباستخدام القوة الناعمة أم الصلبة يبدو شعار «أمريكا أولا» مُتّسقا مع أطروحات اليمين الأمريكي على تنوّعها وتطرفها وتحقيق المصلحة القومية، وكراهية الأجانب، كما أنّها متسقة مع شخصيته وتركيبته كرجل أعمال يؤمن بمبدأ الصفقة، وتوصف بعض سياساته بأنها بمنزلة حيل تكتيكية تهدف إلى تقوية

صورته الشخصية كقائد حاسم وقادر على الوفاء بوعوده الانتخابية، كما أنّه يهدف إلى إثارة المشاعر الحزبية والقومية والعنصرية وإثارة الروح الوطنية من خلال رؤيته لاستعادة المكانة الأمريكية.[18]

والاتجاه الغالب في السياسة الأمريكية اليوم هو استخدام عوامل القوة غير الصلبة، أي نحو مزيد من التوظيف لأسلوب القوة النّاعمة القائمة على المساومة والتهديد والابتزاز (مثالا ابتزاز المملكة العربية السعودية مقابل التغاضي عن جريمة قتل خاشقجي) واستهداف قواعد بيانات وتأليب الرأي العام واستخدام نظام العقوبات، وجعل استخدامات القوة العسكرية محدودة جدا في إطار الضربات الخاطفة كون أنّ أي عمل عسكري مرتبط بعوامل الردع وتوازن الرعب النووي بين القوى النووية ومرتبط أيضا بمنطق الربح والخسارة وبشكل التحالفات القائمة، ولعل دول الشرق الأوسط وحدها من ستعاني من تأثير هذه الصراعات والتحولات من خلال التداخل الحاصل في علاقات الصراع الإقليمي والأبعاد المحلية والدولية.

الخاتـمــة:

مُواجهة كورونا لا تتطلّب كمّامات فقط بل تحتاج أجهزة تنفس وأدوية ومُختبرات وأطباء وكوادر صحيّة مُجهّزة، ومع تصاعد أعداد الوفيّات والمُصابين فلا ربّما تُجبر بعض الدول على التضحية بعدد من الأصدقاء والحلفاء. يضع كورونا العالم على مُفترق طرق في العلاقات الدولية أمّا اتهامات الصديق للصديق والحليف للحليف فهي دليل ربّما على دخول العلاقات الدولية في أزمة أخلاقية لم تضر الدول فحسب بل ستُعيق أوّلا من يُحاول النجاة من الفيروس أو الشفاء منه.

وسيُعيد خلط الأوراق من جديد وسيُبعثر الحسابات التّي لطالما كانت المُسيطرة والمُحدّدة لموازين القوى في العالم، لعلّ هذا الفيروس لا يعترف بالأقوى بل بالأذكى والأدهى في إدارة هذه الأزمات، والبلدان التّي سجلت أعداد كبيرة من المصابين والضحايا يعود إلى سوء إدارتها لهذه الأزمة واستخفافها بضرورة التوقّي المُبكّر من هذا الوباء. مهما يكن من أمر سيقلب كورونا الطاولة رأسا على عقب وسيُعيد تشكيل ملامح العالم من جديد وبالتالي تغيير حصص كل دولة من الثروات العالمية... ومن المُفارقات أنّ الدول الكبيرة فشلت في احتواء هذا المرض رغم ما تمتلكه من امكانيات كبيرة في المقابل تشق الدول الفقيرة طريقها نحو السيطرة على هذا المرض بفرض اجراءات وتدابير أكثر صرامة، هذا ما تقوله مُنظمة الصحة العالمية.

وما لم يقوله الزعماء صراحة في تصريحاتهم ويقوله كثيرون ليسوا في مواقع السُلطة أنّ أمم الأرض باتت في مركب واحد، وأنّ سياسة الاستمرار بنهب خيرات البقاع الفقيرة في العالم وتركها في مهب الفقر والجهل والمرض والصراعات سيُؤدي إلى نتائج كارثية ليس عليها وحدها وإنّما على البقاع الثرية القوية التّي تسترخي منذ عقود وكأنّها تعيش في كوكب آخر، وتستخدم شعارات حقوق الإنسان مكياجا يُساعدها على أن ترى ذاتها أجمل وأكثر إنسانية.

كورونا إذن لم يُطح بالحدود فحسب بين البلدان بل كسر مرايا النرجسية لدى الإنسان المعاصر في ذروة وهمه بتفوقه وقُوته وجبروته، وفتك برئتي النظام العالمي إلى حدّ قد تعكسه عواصف التصريحات والهلع التي يبثها صُنّاع القرار في الغرب، ومعها حال الحرب التّي أعلنوها ضدّ عدو لا يعترف بقوتهم وربّما يضحك عليهم ساخرا من استنفار جيوشهم وإمكاناتهم اللوجستية لمواجهته.

قائمة المصادر:

1 - أبو الخير كارن، «هل ينذر انتشار كورونا بتراجع روابط العولمة؟»، مركز مستقبل الأبحاث والدراسات المتقدمة، 1مارس 2020.

2 - أحمد الباز، « كيف سيؤثر فيروس كورونا على حالة الأمن والصراع في الشرق الأوسط؟»، مجلة حفريات، 6ماي 2020.

3 - إسماعيل إسراء، عرض مقال لهنري فاريل وابراهام نيومان» هل تعيد أزمة كورونا تشكيل الجغرافيا السياسية في العالم؟»، مركز مستقبل الأبحاث والدراسات المتقدمة، 25 أفريل 2020.

4 - جابر علاي ستار، العلاقات الأمريكيةـ الإيرانية في عهد دونالد ترامب»، المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، القاهرة، 25 أوت 2020.

5 - حسني علي سعيد، «إفلاس النظام العالمي في مواجهة كورونا وسيناريوهات ما بعد كورونا»، المركز الديمقراطي العربي، 29 مارس2020.

6 - خليل يوسف، «فيروس كورونا والحاجة إلى نظام عالمي جديد»، شبكة الجزيرة الإعلامية، 17 أفريل 2020.

7 - الرداد عمر، «هل ستحكم أمريكا قبضتها على العالم بعد كورونا؟»، مجلة حفريات، 1أفريل 2020.

8 - الشادلي فيروز، «التأثيرات السلبية لانتشار فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي وانعكاساتها على تونس»، أنباء تونس، 15 مارس 2020.

9 - الصاوي عبد الحفيظ، «دول عربية أكثر تأثرا: تداعيات كورونا ترسم مستقبلا قاتما»، شبكة الجزيرة الإعلامية، 4أفريل 2020.

10 - عبد الله حارث قحطان، «الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط (مرحلة ما بعد أحداث 11 سبتمبر)، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العدد 2، السنة 2، أكتوبر 2010.

11 - قصير مدني، «لماذا تساعد الصين أوروبا في مواجهة فيروس كورونا؟»، مجلة حفريات، 20أفريل 2020.

12 - محروس محمد، حوار مع «نعوم تشومسكي: العالم يتغير وهذه مهمتنا، فهل نحن مستعدون؟»، موقع الاشتراكي، 26 أفريل 2020.

13 - ملحم هشام، «جائحة كورونا: آخر ويلات عقد من الآلام في الشرق الأوسط»، معهد دول الخليج العربي في واشنطن، 24 أفريل 2020.

جائحة كورونا...
بين الحقيقة والمؤامرة

هبة علي حسين* **ضحى حميد كريم**
باحثتان من العراق

* باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات
Hibaali341@gmail.com

الملخص:

كورونا فيروس اشبع العالم بالاشاعات والنظريات لاسيما نظرية المؤامرة، حتى اصبحت الاخبار المتعلقة بكورونا بحاجة الى دليل واثبات لتصديقها، لكن هذا لم يمنع من كون هذا الوباء حمل في طياته ابعاداً سياسية واستخباراتية في النظام العالمي الذي تتصارع فيه الدول من اجل ولادة نظام عالمي جديد تكون فيه هي المسيطر الاول.

لذلك نجد انه في زمن الأزمات، دائما ما تشيع نظرية المؤامرة، ولكن قبل التصديق بهذه النظرية لابد من معرفة آلية التعامل معها، وأول خطوة في ذلك هي معرفة من المستفيد الحقيقي من هذه النظرية، هنا قد تأتي الأرقام والحقائق بما يخيب ظن المؤمنين بنظرية المؤامرة، سيما وأن هذا الوباء الكاسح لم يستثن دولة في كافة أرجاء العالم، واصبحت الدول بسبب وباء كورونا- لأول مرة- أمام عدو واحد.

لذا، وحتى يومنا هذا، ليس هناك شعب مستفيد. ولو أن أحداً من البلدان استفاد لتبعه الجميع واتبع حلوله من اجل التخلص من هذا الوباء، لكننا نشاهد من يطبق الإغلاق التام، ثم يحظر، ثم يغلق، ثم يحظر جزئياً، ثم يحظر كلياً، وهكذا في محاولات هنا وهناك لإيجاد حل لا يبتعد كثيراً عن فكرة التجربة والخطأ، أو محاولات تحقيق أقل خسائر ممكنة، مما يستبعد نظرية المؤامرة في تفشي هذا الوباء بشكل قطعي.

كلمات افتتاحية: كورونا، نظرية المؤامرة، تداعيات الوباء، الحرب البيولوجية.

Corona Pandemic... Between The Truth and The Conspiracy

Hiba Ali Hussain **Dhuha Hameed Kareem**

Two Researchers From Iraq

Researcher at Hammurabi (*) Center For Research and Studies

Abstract:

Corona is a virus that has saturated the world with rumors and theories, especially the conspiracy theory, until the news about Corona need an evidence and proof to be believed, but this does not prevent the fact that this epidemic carries with it, political and intelligence dimensions in the global system in which countries are fighting for the birth of a new world order in which they are the first dominant.

Therefore, we find that in times of crisis, the conspiracy theory is always popular, but before this theory is approved, it is necessary to know the mechanism of dealing with it, and the first step in that is to know who is the real beneficiary of this theory, here the numbers and facts may come to disappoint the believers in the conspiracy theory, Especially since this sweeping epidemic has spread significantly and almost did not exclude a country from the countries of the world, and due to the Corona epidemic - for the first time - countries are facing one enemy.

So, to this day, there is no beneficiary people. Even if one of the countries benefited, everyone would follow him and follow his solutions in order to get rid of this epidemic, but we see those who implement the complete closure, then it is ban, then it is close, then partially banned, then completely banned, and so on in attempts here and there to find a solution that does not deviate much from the idea of trial and error, or attempts to achieve the least possible losses. This definitely excludes the conspiracy theory in the outbreak of this epidemic.

Key words: Corona, conspiracy theory, repercussions of the epidemic, biological warfare**.**

المقـدمــة:

تعد الحروب والأوبئة والكوارث والاضطرابات السياسية اكثر الاحداث التي تجلب معها نظريات المؤامرة. اذ يعمل الكثيرون على الاجابة عن هذه الاحداث من خلال ارجاعها الى هذه النظرية، سما إذا كان الحدث معقدا أو غير مألوف سابقاً، أو إذا كانت المعلومات الأولية عنه غير كاملة. كما هو الحال في وباء كورونا الذي اجتاح العالم بشكل سريع ومخيف دون سابق انذار، لذا نجد ان نظرية المؤامرة تعمل

على اعطاء اليقين للمؤمنين بها حول الاجابة عن تساؤلاتهم المتعلقة بالأحداث المفاجئة والغريبة.

فمع ظهور المرض في مدينة ووهان الصينية، ظهر معه معتنقي نظرية المؤامرة الذين تمسكوا بالمؤامرة من خلال بثهم العديد من الاخبار والوثائق وحتى الفيدوهات على مواقع التواصل الاجتماعي التي تدعي بأن فيروس كورونا هو امر مدبر وليس فيروسا عاديا. اذ نجدهم مرة يدعون انه مؤامرة صينية من اجل تدمير الاقتصاد الامريكي ودول الاتحاد الاوربي، ومن ثم الاستيلاء بمفردها على السوق العالمية، ومرة من قبل الولايات المتحدة الامريكية، ووكالة الاستخبارات «سي آي إي»تحديدا، فهي التي أشرفت على صنع هذا الفيروس في رأيهم، ثم نشره في بعض المدن الصينية في نطاق حربها على منافسيها من القوى العظمى. كذلك ذهبت طائفة أخرى إلى القول إنها خطة يشترك فيها كبار هذا العالم للتخلص من جانب من البشرية والاستئثار بثرواته، خصوصا تلك الشعوب التي تتكاثر دون إنتاج، وتبحث عن خلاصها في الهجرة.

ونجد أن تلك المزاعم لا تنطلي على العامة وحدهم، بل تنطلي أيضا على المتعلّمين، اذا ما كانوا الفئة الاكثر اقتناعا بنظريات المؤامرة، لأنها تستعمل العقل لتأكيد موقعها داخل المجموعة، وكلما كان الفرد ذكيّا، كان أقدر على إقامة الحُجّة لصالحه، أي أن العقلانية والمعرفة عند تلك الفئة تستعملان لتدعيم أفكار تسلّم بصحّتها، وتحرص على نشرها على أوسع نطاق.

كما ان نظرية المؤامرة تجد من يتمسك بها ويصدقها في المجتمعات الديمقراطية والمفتوحة، خاصة وأن وسائل الاتصالات الحديثة وشبكة الإنترنت ووسائل الاتصال الاجتماعي تجعل نشر نظريات المؤامرة سهلا للغاية مع غياب كبير لسبل محاسبة ومساءلة المسؤولين عن نشر هذه التصورات بلا أدلة.

اهمية البحث: تتأتى اهمية البحث من كونه يناقش موضوعاً حديثاً يشغل العالم منذ قرابة عدة اشهر، فموضوع فيروس كورونا حديث العالم من حيث طريقة انتشاره وكيفية ظهوره وهل هو حقيقة ام مجرد مؤامرة تستفيد منها جهة معينة؟

اشكالية البحث: تكمن إشكالية البحث في هل نظرية المؤامرة حول فيروس كورونا حقيقة أم أنها مجرد وهم؟ وهل استغلت الدول الكبرى (الولايات المتحدة الامريكية والصين) احداث وباء كورونا ووجهتها لخدمة مصالحها؟

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها ان الاعتماد على المؤامرة في تبرير ظهور وانتشار فيروس كورونا هو من اجل محاولة التوظيف السياسي من قبل بعض الدول حتى تستطيع الخروج من هذه الازمة والهروب من مسؤولية الفشل في عملية التنمية في القطاعات التي تخص حياة الناس، فلا وجود علمي لهذه النظرية في مسألة ظهور فيروس كورونا.

منهجية البحث: من اجل ذلك تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة كونه اكثر ملائمة في عرض نظرية المؤامرة وتداعياتها.

هيكلية البحث: تم تقسيم البحث الى ثلاثة مباحث رئيسية، فضلاً عن المقدمة والخاتمة، ناقش المبحث الاول: تعريف نظرية المؤامرة، اما المبحث الثاني شرح موضوع: كورونا ونظرية المؤامرة، في حين جاء المبحث الثالث لبيان: كورونا الحقيقة والرؤية العلمية.

المبحث الاول: تعريف نظرية المؤامرة

نظرية المؤامرة مصطلح يشير إلى شرح حدث معين أو موقف ما استناداً إلى مؤامرة ما، عندما لا يوجد سبب واضح يبررها أمام الناس، وعندما تكون حادثة غير مسبوقة. وبشكل عام يكون مضمون هذه المؤامرات إما أفعالاً غير قانونية، أو مؤذية تقوم بها حكومات الدول لأغراض سياسية أو اقتصادية.

وبحسب العالم السياسي مايكل باركون، فإن نظريات المؤامرة تعتمد على قاعدة معينة، وهي أن الكون محكوم بتصميم ما، ولنظرية المؤامرة ثلاثة مبادئ هي: لا شيء يحدث بالصدفة، ولا شيء يكون كما يبدو عليه، وكل شيء مرتبط ببعضه.

نظرية المؤامرة:

ورد مصطلح «مؤامرة» لأول مرة في مقالة اقتصادية عام 1920، ولكن جرى تداوله في العام 1960، وتمت بعد ذلك إضافته إلى قاموس أكسفورد سنة 1997. وتختلف تعريفات المؤامرة باختلاف وجهات نظر أصحابها، حيث تحتوي المؤامرة في مضمونها على أفعال غير قانونية أو مؤذية تجريها حكومة أو جهات أخرى قوية. وعرفها قاموس أكسفورد بأنها: «خطة سرية من قبل جماعة من الناس للقيام بما هو مؤذٍ أو مخالف للقانون».[1]

إن تعريف هذا المصطلح يتغير بحسب وجهة نظر أصحاب المصطلح، فالمؤامرة (Conspiracy) عادة لها حدين أساسيين: الحد الأول (المتآمر Plotterer)، والحد

(1) مختار بونقاب، نظرية المؤامرة حقيقة أم وهم؟ (قراءة فكرية فلسفية)، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 25، مركز جيل البحث العلمي، 2019،، ص15.

الثاني (المتآمر عليه Conspirator)، والمتآمر في العادة هو (الحكومات Governments)، بينما المتآمر عليه هو (الشعب Peoples) أو دول أخرى وشعوبها، وذلك بهدف إخفاء الحقيقة عليهم. وكما هو واضح فالاسم مقتبس من فعل (التآمر)، أي بمعنى صياغة الأكاذيب بطريقة منظمة. وفعل التآمر قد يحدث في أي مكان (في المنزل أوفي العمل مثلاً.....)، وقد يحدث في الدولة، وعلى مستوى عالمي، هذا بالنسبة للمكان، أمّا بالنسبة للزمان فحدوث (التآمر) غير محدود، ومن الثابت أنه لا بد من وجود (المتآمر) ووجود (المتآمر عليه) وقد يكون المستهدفون بامؤامرة على علم بها أو لا علم لهم بها أو قد يعلمها البعض منهم.[2]

(2) إسماعيل صبورة، ماهي نظرية المؤامرة؟ https://www.magltk.com/conspiracy-theory/

ويمكن تعريف المؤامرة أيضاً بأنها: «اتفاق بين أشخاص أو منظمات أو حكومات تعمل معا في السر مستغلة قدرتها وعناصر الضعف لدى الآخرين على نحو مخالف للقيم والأخلاق من أجل تحقيق هدف معين يتضمن الإضرار بطرف آخر». وتتجلى المؤامرة بهذا المعنى في مظاهر متعددة كالجريمة المنظمة، الإرهاب، التجسس المخابراتي وغيرها.[3]

(3) مختار بوتقاب، مصدر سبق ذكره.

يتم استخدام نظرية المؤامرة لمحاولة تفسير حدث معين قد يكون سياسياً او تاريخياً او اجتماعياً، وغالباً مايكون مرتكب هذا الحدث منظمة سرية او شخص قوي.

كما تخلق العقلية التي تؤمن بنظرية المؤامرة نمطاً من التفكير لدى الاشخاص تجعلهم مع الوقت فريسة للأوهام والخيالات، كما يمكن أن يتطور إلى حالة انفصال كامل عن الواقع، وهي حالة مرضية بكل المقاييس، وتصبح المشكلة ملحة وعلى درجة من الخطورة عندما يصل الذين يؤمنون بنظرية المؤامرة هؤلاء إلى مواقع السلطة والقرار.[4]

(4) نظرية المؤامرة» والمهدئات العقلية، https://www.alhurra.com/different-angle/2019/07/26/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9

المبحث الثاني: كورونا ونظرية المؤامرة

لم يتوقّف العلماء والباحثون منذ بدء انتشار فيروس كورونا عن محاولات معرفة مصدر الوباء، وفي ظل غياب المعرفة بمنشأ الفيروس الجديد، انتشرت نظريات متنوّعة بلا دليل واضح في محاولات مستميتة لمعرفة أصل الفيروس، واعتبرت بعض النظريات فيروس كورونا مؤامرة إقتصادية، واتهمت أخرى تكنولوجيا إنترنت الجيل الخامس، في حين قالت نظريات إنّه سلاح بيولوجي صنع في الصين، أو صنعه الجيش الأميركي وجلبه إلى الصين، لكن أكثر النظريات شعبية كانت تلك التي تؤكد أنّ مصدره سوق مدينة ووهان.

من أخطر تداعيات انتشار فيروس كورونا في شقه السياسي بروز نظرية المؤامرة

كان من أخطر تداعيات انتشار فيروس كورونا في شقه السياسي بروز نظرية المؤامرة، على الرغم من ان استخدام مفردة (نظرية) غير دقيق كون اكثر الطروحات هي فرضيات، فهناك من قال إنها سلاح بيولوجي أمريكي أو صيني، وآخرون اتهموا دولاً بالمساهمة في نشرها.

لذلك نجد ان النظريات الاكثر رواجاً في تفسير ظهور فيروس كورونا هي:

1 - التفسير الديني

من بين التفسيرات الاولى لسبب ظهور فيروس كورونا كان تفسيراً دينياً، خاصة لدى عدد من المسلمين الذين يرجعون السبب الى انتقام إلهي من جرائم الصين ضد المسلمين الإيغور، وايضاً كونه علامة من علامات الساعة الصغرى. وارجع البعض الاخر ظهوره بسبب الاستخدام الخاطئ لأكل الحيوانات في الصين، فهم يأكلون الحيوانات من الكلاب والقطط والخفافيش وغيرها من الحيوانات المحرمة في الشريعة والمسببه للعديد من الامراض الخطيرة.

وعندما نتأمل تجليات الكوارث والمصائب في الخطاب القرآني نجدها تقدم تفسيرات متنوعة، فهناك من المصائب التي تحل بالناس بغرض العقاب الرباني لهم بسبب انتشار الفواحش والظلم، كما جاء في خطاب الله تعالى لبني إسرائيل: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾، (طه، 81)؛ وهناك من المصائب ما تحدث لزجر الناس وإنذارهم حتى يرتدعوا عن ارتكاب المعاصي ويتوبوا إلى الله تعالى، كما يؤكد ذلك القرآن الكريم في أكثر من موضع؛ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، (الروم، 41)، وهكذا يمكن للمصيبة أن تحمل الخير للناس من خلال إنذارهم بأنهم قد انحرفوا عن جادة الصواب وأنه لا مناص من التوبة إلى الله، فضلاً عن ذلك قد تحدث المصائب على أنها ابتلاء رباني للإنسان حتى تظهر حقيقته أمام ما يمتحن به، فهو بهذا يوضع على المحك الحقيقي الذي تقاس به درجة إيمانه وتجلده؛ ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، (العنكبوت، 2).[5]

(5) د. التجاني بولعوالي، ظاهرة كورونا؛ تعدد التفسيرات والخطر واحد، https:// www.raialyoum.com/index.php

لكن بعد انتشار الوباء في كل انحاء العالم نجد إن من الصعب التعامل مع التفسير الديني لانتشار الفيروس القائل بأن وباء كورونا عقاب وانتقام إلهي من الصين، خاصة بعد ما تمكنت من الحد من تفشيه وأصبح العالم يستنجد بها ويطلب خبرتها.

ولكن ظلت فكرة أن الفايروس عقاب إلهي مطروحة ومتداولة، مع أن العديد من البلدان الإسلامية قد ابتليت به.

2 - نظرية المخابرات الامريكية

تشير هذه النظرية الى ان الفيروس تم تطويره من قبل وكالة الاستخبارات الأمريكية «سي اي إيه» كسلاح من أجل استخدامه في شن حرب اقتصادية على الصين، وهذه النظرية تلقى قبولاً بين أعداد كبيرة من الناس خصوصاً في الشرق الأوسط، فهناك من يرى بأن الفيروس يندرج في اطار حرب بيولوجية جرثومية تشنها أمريكا على الصين بهدف تحجيم قوتها الاقتصادية المتنامية ودورها المتصاعد في العالم.

3 - التفسير الاقتصادي- السياسي

خلقت ظاهرة فيروس كورونا حالة هلع كبيرة حول العالم ادت الى شلل الاقتصاد العالمي، خاصة مع اعتراف الخبراء والمسؤولين بأن إيجاد لقاح لن يتم قبل سنة أو اكثر من ذلك، ومع استمرار الغموض والجدل حول كيفية احتواء الوباء أو كيفية استئناف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، وأن تنتشر نظريات المؤامرة عبر وسائل الاتصال الاجتماعي حيث يروجها أولئك الذين يميلون إلى التشكيك بالتفسيرات الرسمية حتى عندما تكون مقنعة وعلمية، فضلاً عن أولئك الذين يروجونها لأسباب سياسية وتخريبية. لذا نجد ان هناك تفسيراً آخر يرى وباء كورونا على أنه صناعة أمريكية بهدف إلحاق الضرر بالدول التي تشكل تهديدا لمصالحها الاستراتيجية والاقتصادية كإيران يطاليا والصين، واتهمت الصين بشكل رسمي الجيش الأمريكي بأنه هو الذي جاء بفيروس كورونا إلى منطقة ووهان.

كل النظم السياسية في العالم اليوم امام اختبار

ولأن العالم كان محتقِناً، والنظام العالمي كان على شفا هاوية وتسوده حالة من انعدام الثقة ليس فقط بين واشنطن والصين وروسيا الاتحادية، بل حتى داخل مكونات المعسكر الغربي، فقد اطلق وباء كورونا العنان لنظرية المؤامرة لتصول في ساحة التنظير والبحث، ولتطال حتى منظمة الصحة العالمية. وما يساعد على ذلك عدم اليقين في ما إذا كان كورونا فيروسا تطور طبيعيا عن فيروس سابق؟ أم أنه نتاج مختبرات لإنتاج أسلحة بيولوجية وجرثومية؟ وهذا ما تعكسه الاتهامات المتبادلة بين بكين وواشنطن.[6]

(6) كورونا واحتمالات حرب عالمية ثالثة، https://middle-east-online.com/%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7

لذلك كل النظم السياسية في العالم اليوم امام اختبار وامتحان عسير بغض

ان أزمة «كورونا» من الصعب استيعابها في إطار نظرية المؤامرة

النظر عن توجهاتها السياسية والاقتصادية، فهي مطالبة اليوم بإيقاف الحروب والتسلح الباطل لمحاربة عدو مفتعل لا يعني شيء امام بقاء الانسان والانسانية جمعاء، واليوم تقف الانسانية ونظم العالم كافة امام مفترق طرق، فأما البقاء أو الفناء، وبالتالي على امريكا والصين وروسيا أن تدرك أن الغرق في بحر التفكير المؤامراتي لا يجلب للإنسانية إلا الفناء، وان المدخل السليم لإنقاذ الإنسانية هو المصالحة مع الذات اولا ومع الآخر المختلف ثانيا، وإلا فأن كل دعوات اسعاد الأنسان هي كذب ورياء أذا لم يجري التضامن والتحالف الدولي وغير المشروط للنضال من اجل وضع حد لكورونا وتداعياتها السوسيو اجتماعية والسيكولوجية.[7]

لذا نستنتج ان أزمة «كورونا» من الصعب استيعابها في إطار نظرية المؤامرة، لأن تداعياتها السلبية لن تتوقف على دولة بعينها دون غيرها من الدول، بل ستنال من جزء كبير من العالم، وقد رأينا حالة التأهب القصوى في مناطق كثيرة من العالم تحسبا لانتقال فيروس كورونا لها.

(7) د. عامر صالح، كورنا المستجد» كوفيد 19 « بين سيكولوجيا نظرية المؤامرة والوعي المجتمعي، https:// www.iraqicp.com/index.php/sections/platform/34139-19-2

المبحث الثالث: كورونا الحقيقة والرؤية العلمية

إن ظهور فيروس كورونا المستجد في مدينة ووهان تحديدًا له تفسيرات علمية بعيدًا عن الخرافات ونظريات المؤامرة المنتشرة وضحها الكثير من العلماء مرارًا وتكرارًا، ولكن المشكلة هي أن الأدلة العلمية لا تحظى ولو بعشر الرواج الذي تحظى نظريات المؤامرة التي تنتشر عادة في حالات الذعر وعدم اليقين كما هو حال العالم الآن مع الفيروس الجديد.

1 - نظرية مختبر ووهان

تشير هذه النظرية إلى أن الفيروس مصدره معهد ووهان لعلم الفيروسات التابع للأكاديمية الصينية للعلوم، والذي يتضح من اسمه أنه موجود في مدينة ووهان التي ظهر فيها الفيروس لأول مرة. كما ان مروجي هذه النظرية يدعون أن هذا الفيروس تمت هندسته في إطار اختبارات كانت تجرى داخل المعهد بغرض تصنيع سلاح بيولوجي، وذلك قبل أن يتسرب بالخطأ خارج المختبر ويخرج عن نطاق السيطرة ويتسبب في العدوى المنتشرة حاليًا في جميع أنحاء العالم.[8]

في حين يعتقد البعض الاخر بأن الفيروس تم تخليقه في المختبرات وتسرب الى

(8) أبعاد المؤامرة.. هل فيروس «كورونا» هو بالأساس سلاح بيولوجي يستخدم في شن حرب اقتصادية على الصين؟، مصدر سبق ذكره

الخارج. وهنا تتفاوت النظريات بين الزعم بأن المختبر الذي خرج منه هو مختبر صيني، والزعم بأنه في الحقيقة مختبر امريكي في أفغانستان او في غيرها. وزعم البعض ان جنوداً أمريكيين أصيبوا بالفيروس في أفغانستان وهم الذين نقلوه الى الصين.

2 - نظرية شركات الادوية الغربية

يذهب البعض الى أن شركات الادوية العالمية الكبرى والمؤسسات العلاجية لها دور في نشر فيروس كورونا والتهويل من امره سعياً الى انتاج اللقاحات والمعدات والأجهزة الطبية المرتبطة به وجني المليارات من وراء ذلك، وأيضا هناك مقولة أخرى مفادها ان أبراج الجيل الخامس هي المسؤولة عن انتشار الفيروس باعتبار ان الاشاعات التي تصدرها تضعف من مناعة الانسان وتجعله فريسة للفيروس.[9]

(9) لموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، https://www.google.com/search?q1

وسواء كانت الأزمةُ مُدَبَّرَةً أم غير مدبرة، فإن هذا لن يغير من حقيقة الأزمة شيئًا، وأن تبعاتِها باتت أكيدةَ الحدوث. وهذه التبعات ستلقي بظلالها على العالمِ كلِّه كما ضربَ الفيروس العالمَ كلَّه، الأثر الأكبر الذي سيضرب العالمَ سيكون من الناحية الاقتصادية والسياسية أكثر من أثره من الناحية الصحية.

عمقُ هذا التغيير معتمدٌ بشكل كبير على المدة التي ستستطيع فيها المنظومةُ الصحيةُ العالمية السيطرةَ على المرض، كما سيعتمد كذلك على كفاءة أو عدم كفاءة الدول في مواجهة الأزمة. فكلما كانت المدةُ التي سيُسيطَر فيها على المرض أقل، كلما كان تعافي النظام العالمي من آثار كورونا أسهل وأقرب، والعكس صحيح. وحيثما ستكون الإدارةُ الأقدرُ والأنجح في السيطرة على الأزمة سيكون التغيرُ لصالحها، فإن استطاعت الولاياتُ المتحدةُ إدارةَ الأزمة بشكل فعال فإنها ستتمكن من الحفاظ على موقعها ومكانتها في قيادة العالم، وإذا ما أخفقت الولايات المتحدةُ ونجحت الصين أو روسيا، فإن كفةَ المصلحة والاستفادة ستؤول في نهايتها إلى الشرق. نعم، من المستبعد أن تنتقل القيادةُ إلى الشرق بشكل كامل، إلا أن الدفَّة ستميل قليلاً لصالحه.[10]

(10) كورونا.. بين نظريات المؤامرة، وسيناريوهات المستقبل المفتوحة، http://www.umayya.org/articles/arabic-articles/20479

3-التفسير العلمي

يرى اصحاب هذا التفسير ان فيروس كورونا هو مجرد فيروس، لكنه مستجد ومتطور نوعا ما، مما جعل امر اللقاح الخاص به شبه مستحيل في الوقت الحالي.

اذ أوضحت منظمة الصحة العالمية أنه أمر طبيعي، لأن فيروس كورونا هو اسم أسرة من الفيروسات المسؤولة عن عدد من الأمراض بدءاً من الزكام البسيط وحتى مرض السارس، بل وفيروس آخر أطلق عليه كورونا ظهر قبل أربع سنوات في السعودية بسبب الجمال.

ويتفق الباحثون على أن الفيروس انتقل من الحيوان إلى الإنسان، وكتب 27 باحثا في مجال الصحة العامة، من جميع أنحاء العالم. ورسالة في الصحيفة الطبية «ذا لانسيت»، تدين نظريات المؤامرة، وجاء فيها أنّ «نظريات المؤامرة لا تفعل شيئًا سوى خلق الخوف والشائعات، والتحيزات التي تعرقل التعاون العالمي في مكافحة الفيروس الخطير».

واستشهد الخبراء بأدلة علمية تدعم نظرية أن الفيروس نشأ في البرية، وأحد هؤلاء كان بيتر داسزاك، وهو خبير فيروسات بارز يعمل في الصين منذ 10 سنوات. وذكر إنّهم واثقون من أن «كوفيد-19» جاء من الخفافيش، لكنّهم لا يعرفون المكان الذي انطلق منه بالضبط، أو أي أنواع الخفافيش بالتحديد، كما يجهلون عدد الفيروسات الأخرى الموجودة التي يمكن أن تظهر في المستقبل.[11]

من يستمع لكلام العلماء يستطيع أن يدرك حقيقتين واضحتين، الأولى أن الفيروس الجديد لا يختلف كثيرًا عن الفيروسات المنتمية لعائلة كورونا التي كان من بينها- على سبيل المثال- «سارس» الذي ظهر قبل 17 عامًا في الصين أيضًا، أي أنه ليس شيئًا جديداً تماماً تم تطويره في المختبرات كما يدعي البعض، اما الحقيقة الثانية فهي أن العائل أو المضيف الوسيط لأغلب الفيروسات المنتمية لعائلة كورونا هي الخفافيش، وفي مدينة ووهان حيث ظهر الفيروس الجديد توجد أعداد كبيرة من الخفافيش التي تعيش داخل المدينة وحولها.[12]

الخاتمــة:

نستخلص من دراستنا هذه ان التفسيرات التي رافقت ظهور وانتشار جائحة كورونا متعددة ومنها نظرية المؤامرة، إلا أنّ جميعها لم تأتِ بدليل علمي كامل موثوق على صحة فرضياتها، لاسيما تفسير المؤامرة الذي اثبتت كل الأبحاث والأوراق العلمية صعوبة أو استحالة تصنيع الفيروس مختبريّاً، كما ان العلاقة بين نظرية المؤامرة وبين سلسلة من الأحداث تقوم على خلل معرفي يضع النتائج قبل الأسباب، فالمؤامرة عنصر لاحق ومصاحب للحدث ينتج عنه ويحاول أخذ موقف منه، وقد يُستخدم في اختزاله، تبسيطه، تحويل معناه، أو إضافة مزيد من المعاني عليه من قبل الوعي

(11) اتيايوسف بين نظريات المؤامرة وفرضيات العلماء... أين وُلد كورونا؟، https://www.alaraby.co.uk/%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D9%86%D8%B8%D8%B1-%D9%8A%D8%A7%D8%AA

(12) أبعاد المؤامرة.. هل فيروس «كورونا» هو بالأساس سلاح بيولوجي يستخدم في شن حرب اقتصادية على الصين؟ https://www.argaam.com/ar/article/articledetail/id/1353649

الجمعي الشعبي حينًا، أو من قبل السلطة نفسها حينًا آخر، ما قد يؤدي إلى تسطيح الحدث وتقديمه بشكل ترميزي مبسط أكثر مما هو عليه في الواقع، ما يتسبَّب بخلل في تقدير الموقف، وتشتُّت في القرارات الصحيحة اللازمة للتعامل مع الاضطراب الناجم المفاجئ.

لذلك وفق المصادر الطبية الموثوقة، فإن كورونا هو فيروس لجينات من سبع سلالات من أسرة كورونا، وكلها اصابت البشر وليس فيروساً مُنتج عبر صناعة معملية او تلاعباً بشرياً لذلك لا يمكن مواجهته الا بتظافر جهود العالم، وهذا هو الواقع فالكل متفق على هزيمته، ولا يوجد مجتمع بمنأى عن تداعياته الصحية والاقتصادية، وعندما يُهزم سينتهي الجدل حوله، وبصرف النظر عن صحة نظرية المؤامرة من عدمها، ثمة وباء يجتاح البشرية وجعل دولها محميات مغلقة بعدما تغنّت لسنوات بالعولمة وفوائدها، كذلك ثمة مئات مليارات الدولارات خسائر أولية في الإنتاج والتجارة العالمية، والتي ستتحول إلى ركود وكساد كبيرين تؤدي إلى خلق منافسات غير منضبطة، كما تؤدي إلى نزاعات بين دول سرعان ما ستتحول إلى حروب إقليمية ودولية واسعة. لذا فأن تداعيات هذا الفيروس متعددة وعلى جميع الاصعدة، لاسيما الاقتصادية والسياسية منها فهي اكثر من سيتأثر بهذه الجائحة.

قائمة المصادر

اولاً: المجلات العلمية

1 - حسن سلمان خليفة البيضاني، كورونا (أكوفيد 19) بين الحروب البيولوجية والحروب الاقتصادية، مجلة حمورابي للدراسات، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، العدد 33-34، بغداد، 2020.

2 - مختار بونقاب، نظرية المؤامرة حقيقة أم وهم؟ (قراءة فكرية فلسفية)، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 25، مركز جيل البحث العلمي، 2019.

ثانياً: شبكة الانترنت

1 - إسماعيل صبورة، ماهي نظرية المؤامرة؟، https://www.magltk.com/conspiracy-theory

2 - الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، https://www.google.com/search?q

3 - د. التجاني بولعوالي، ظاهرة كورونا؛ تعدد التفسيرات والخطر واحد، https://www.raialy-oum.com/index.php

4 - د. عامر صالح، كورنا المستجد» كوفيد ـ 19 « بين سيكولوجيا نظرية المؤامرة والوعي المجتمعي https://www.iraqicp.com/index.php/sections/platform/34139-19-2

5 - كاتيايوسف (بين نظريات المؤامرة وفرضيات العلماء... أين وُلد كورونا؟، https://www.alaraby.co.uk/%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%AA-

6 - كورونا.. بين نظريات المؤامرة، وسيناريوهات المستقبل المفتوحة، http://www.umayya.org/articles/arabic-articles/20479

7 - كورونا واحتمالات حرب عالمية ثالثة، https://middle-east-online.com/%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7

8 - نظرية المؤامرة» والمهدئات العقلية!، https://www.alhurra.com/different-angle/2019/07/26/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%

تداعيات جائحة فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي

م.م. علي سعدي عبد الزهرة جبير Ali.saady1122@gmail.com
باحث من العراق

الملخص:

عرف العالم في أواخر عام 2019 فيروساً قاتلا اجتاح العالم عرف باسم كورونا الجديد، تسبب في أزمة اقتصادية عالمية، الامر الذي أدى التي توقف جميع النشاطات الاقتصادية، وكان العراق من تلك الدول، إذ تسبب الفيروس في إضعاف الاقتصاد العراقي نتيجة اعتماده على النفط، مما أدى إلى عجز مالي في خزينة الدولة، كما كان لهذا الفيروس آثار على المجتمع، إذ ارتفعت نسبة البطالة وأزداد الفقير فقراً، وتراجعت العملة المحلية مقابل العملة الأجنبية، وارتفعت أسعار بعض المواد الغذائية.

الكلمات المفتاحية: كورونا، الاقتصاد العراقي، النفط.

The Repercussions of The Corona Virus Pandemic on The Iraqi Economy

MSC. Ali Saadi Abdulzahra Jubeir
Researcher From Iraq

Abstract:

The world knew in late 2019 a fatal virus invaded the world known as the new Corona, which caused a global economic crisis, which led to the suspension of all economic activities, and Iraq was one of those countries, as the virus caused the collapse of the Iraqi economy due to its dependence on oil, which led to a financial deficit in the state treasury, as this virus had effects on society, as the unemployment rate increased and the poor became poorer, the local currency collapsed against the foreign currency, and the food commodity rose.

Key words: Corona, the Iraqi economy, oil.

المقـدمــة:

اجتاح العالم في نهاية عام 2019م فيروس قاتل يطلق عليها كورونا الجديد، مما أدى إلى إصابة الملايين من سكان الكرة الأرضية ووفاة الألاف، واستمرت الاعداد بالازدياد من حيث الاصابات والوفيات، وتم تحديد ذلك الفيروس القاتل في مدينة ووهان الصينية، ومنذ تلك اللحظة تفشى بسرعة في ارجاء العالم مسبباً أزمة اقتصادية في جميع دول الكرة الأرضية، إذ توقفت الحركة التجارية بين الدول، وتوقف النشاط الاقتصادي وعلى كافة المهن، الأمر الذي أدى إلى زيادة البطالة بين السكان وارتفاع نسبة الفقر. والعراق أحدى تلك الدول، إذ أعلنت الحكومة العراقية فور تفشي الفيروس عن تشكيل خلية أزمة واتخاذ جملة من الإجراءات للحد من انتشار الفيروس ومنها فرض حظر للتجوال وتعطيل المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، وبالرغم من توصيات خلية الأزمة لتطويق الفيروس، إلا أنها لم تراع الآثار الاقتصادية وما تخلفه من كارثة انسانية، لاسيما أن الاقتصاد العراقي هو اقتصاد ريعي يعتمد على النفط بنسبة كبيرة، ونتيجة انخفاض أسعار النفط بسبب قلة الطلب العالمي عليه، وبالتالي فإن العراق يواجه أزمة مالية ستؤثر على جميع فئات المجتمع العراقي.

وتظهر أهمية البحث عبر كيفية تأثير جائحة فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي، وانعكاساتها على الوضع الاجتماعي (الفقر والبطالة)، والسياسي (أزمات وتحديات).

ويهدف البحث إلى التعرف على ما هو فيروس كورونا؟ وما هي الاجراءات التي اتخذها الحكومة للحد من انتشار هذه الجائحة؟ وما هي آثار هذه الجائحة على الاقتصاد العراقي؟

وينطلق البحث من إشكالية مفادها أنه نتيجة اعتماد العراق على مورد واحد فقط واهمال الموارد الأخرى (الزراعة والصناعة)، فإن أي أزمة يتعرض لها العراق سيؤثر على الاقتصاد ومن ثم المجتمع برمته، وأن فرضية البحث تنطلق من أن جائحة فيروس كورنا قد آثرت على الاقتصاد العراقي وبشكل كبير.

وتم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي وذلك عبر كيف أثرت تلك الجائحة على الاقتصاد العراقي؟ وماهي القدرات الحكومية لمواجهتها؟

وتم تقسيم البحث إلى أربعة مباحث، تناول المبحث الأول ما هو فيروس كورونا؟

أما المبحث الثاني تناول الإجراءات الحكومية العراقية في مواجهة جائحة فيروس كورونا، في حين تناول المبحث الثالث بنية الاقتصاد العراقي، أما المبحث الرابع تناول أثر فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي.

المبحث الأول: ما هو فيروس كورونا

فيروس كورونا المستجد هو نوع من الفيروسات الجديدة من نوعها، يصيب الجهاز التنفسي للمرضى المصابين بالتهاب رئوي، وهو مجهول السبب إلى الآن، ظهر في مدينة (ووهان الصينية) في أواخر العام 2019م، وفي 8 شباط من عام 2020م أطلقت لجنة الصحة الوطنية في جمهورية الصين الشعبية تسمية (فيروس كورونا المستجد أو الجديد)على الالتهاب الرئوي الناجم عن الإصابة بفيروس كورونا، ثم غيرت في 22 شباط من نفس الشهر الاسم الانجليزي الرسمي للمرض الناجم عن فيروس كورونا الجديد إلى (COVID-19)، قبل أن تعتمد هذه التسمية رسمياً من قبل منظمة الصحة العالمية في 11 شباط/ فبراير، في حين بقي الاسم الصيني لهذا الفيروس بلا تغيير[1].

الاسم الإنجليزي للمرض مشتق كالتالي: (CO) هما أول حرفين من كلمة كورونا (CORONA)، أما حرفا (VI) فهما اشتقاق لأول حرفين من كلمة فيروس (Virus) وحرف (D) هو أول حرف من كلمة مرض بالإنجليزية (disease) وفقا لتقرير نشرته منظمة اليونيسف التابعة للأمم المتحدة، وأن «فيروس (كوفيد-19) هو فيروس جديد يرتبط بعائلة الفيروسات نفسها التي ينتمي إليها الفيروس الذي يتسبب بمرض المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سأرز) وبعض أنواع الزكام العادي[2].

وينتمي كل من فيروس كورونا المستجد وفيروسي (السارس SARS) و(الميرس MERS)، إلى عائلة فيروسات كورونا، وتلك الفيروسات تنتمي إلى فصيلة الفيروسات التاجية، رتبة الفيروسات العشية (Nidovirales)، أنه نوع من فيروس الحمض النووي الريبي (رنا RNA) المغلف أحادي السلسلة، موجب الاتجاه، موجود على نطاق واسع في الطبيعة، ويصيب الفقاريات فقط، ويرتبط بمجموعة متنوعة من الأمراض لدى البشر والحيوانات مثل أمراض الجهاز التنفسي والجهاز الهضمي والجهاز العصبي[3].

في 23 من كانون الأول لعام 2019م استطاع أحد الأطباء الشباب، دكتور (ونليانق Li Wenliang)، أن يتعرف على الفيروس، فقام على الفور بنشر تحذير صارم

(1) فونغ هوي، ترجمة: كلية المهن هانان الأعمال الدولية، دليل الوقاية من فيروس كورونا المستجد، المستقبل الرقمي، الصين، 2020، ص10.

(2) لماذا سمي فيروس كورونا بـ«كوفيد 19» وماذا يعني؟، العربية CNN، على الموقع الالكتروني .https://arabic.cnn com/health/article/2020/02/28/ covid-19-corona-virus-meaning، 22/2/2020.

(3) تساو تشاو لونغ، دليل الحماية الذاتية للأسر ضد فيروس كوفيد ـ 19 ، ترجمة ونشر الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2020، ص9.

لزملائه الأطباء على صفحته الخاصة، لكن سرعان ما تم استدعاؤه إلى مكتب الأمن العام ووجه له اتهام بأنه ينشر معلومات كاذبة تضر بالأمن القومي وطلب منه سحب الإعلان، وبعد أيام قليلة أصيب الدكتور نفسه بأعراض المرض فأخذ إلى المستشفى وقام للمرة الثانية بنشر صورته وهو على سرير الموت، ويتنفس عبر الاجهزة الصناعية، وكان ذلك هو المشهد الذي أرعب العالم كله، إذ أثار موجة الغضب بين الوسائط الاجتماعية في الصين مطالب الحكومة بالاعتذار، وهذا ما حدث لكن بعد وفاة الدكتور، وأصبحت أزمة فيروس كورونا كارثة عالمية[4].

وأن انتشار الفيروس من منطقة جغرافية أكثر محدودية يعني تفشي الفيروس إلى الوباء، وإذا خرج الفيروس عن نطاق السيطرة، أي أن المرض بدء ينتشر بنشاط في بلد أو مجتمع بعينه، أو عدة مجتمعات معينة، وبسبب عدم السيطرة على الوباء تحول إلى جائحة، وهذا يعني نشر الفيروس في العديد من البلدان والقارات. ويستخدم في وصف المرض الذي يصيب العالم بأسره وهو أكبر وأعلى من الوباء، وهذه المرحلة التي أعلنت منظمة الصحة العالمية أن فيروس كورونا قد دخلها.

والجائحة تعني كل شيء لا يستطيع دفعه لو علم به، كالبرد والحر والمطر، وقيل هي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها، وكل مصيبة عظيمة وفتنة مبيرة، والجائحة المصيبة المستأصلة التي تستأصل المال أو الناس، وهي ما يصيب الإنسان من مصيبة في ماله أو أمنه واستقراره فيسلط عليه الخوف، أو في صحته وعافيه فيسلط عليه المرض، أو في حياته عامة فيسلط عليه الحرب، إضافة إلى الزلازل والبراكين والفيضانات، ولا يمكن دفع هذه المصيبة إلا بإذن الله تعالى[5].

وأن جائحة فايروس كورونا انتشرت في جميع دول العالم، إلا بعض الجزر صغيرة المساحة والسكان، وبلغ عدد المصابين حتى تاريخ يوم 2020/6/13 م (7,631,335)، وعدد الوفيات إلـى(425,372)[6]، فضلاً عن إصابة أغلب سكان العالم بحالة من الرعب، وقد اجبرتهم السلطات المعنية في كل دولة على البقاء في منازلهم، ومنع التجوال إلا للضرورة القصوى عن طريق فرض الحجر الصحي المنزلي عليهم، مما ترتب على ذلك آثار كارثية على الاقتصاد العالمي من توقف للصناعات وانهيار في أسواق المال العالمية وانخفاض في أسعار النفط، وفقدان الملايين الوظائف في القطاعيين العام والخاص. وبينما كانت الأزمة تتفاقم يوماً بعد يوم صار الأطباء والممرضون يتعرضون هم انفسهم للخطر في المستشفيات، ويرجع السبب في ذلك إلى نقص شديد في المعدات الطبية والاقنعة الواقية من المرض، وبينما كان العلماء والباحثون يعكفون في مختبراتهم ليلاً ونهاراً للتعرف

(4) أحمد محمود الكرطاني وآخرون، آثـار جـائحـة كـورونـا فـي الـعـراق وتداعياتها الأمنية، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد ـ 19)، لندن، 6 ـ 8 حزيران2020، ص369.

(5) عباس حسين فياض عبد الله، الجوائح العائمة في منظور القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد ـ 19)، لندن، 6ـ8 حزيران2020، ص393.

(6) جميع الاحصائيات واردة من جامعة جونز هوبكنزJHU بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية ومراكز السيطرة على الأمـراض والـوقـاية منها في اوروبـا ومنظمات الصحة المحلية.

على طبيعة الفيروس القاتل وكيفية مواجهته، كان السياسيون وقادة الدول يعلنون الحرب على عدو غير معروف لديهم، وبأسلحة غير متوفرة في مخازنهم، وبناءً على هذا فقد أصيب الكثير من الدول بالعجز التام عن أي فعل يوقف الكارثة، وانحصر دور السياسيين في إصدار التعليمات بمنع السفر والدعوة إلى التباعد الاجتماعي والبقاء في المنازل إلى مدة غير معلومة[7].

(7) التجاني عبدالقادر حامد وآخرون، أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مركز أبن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة قطر، الدوحة، 2020، ص63ـ64.

وأن جائحة كورونا التي تعرضت لها البشرية ليست أول الأوبئة التي تعرضت لها البشرية ولا آخرها، فقد سبق لمرض الطاعون والكوليرا أن قتلا الملايين من البشر في أوروبا والشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا، وكذلك فتكت الحصبة والملاريا والجدري بالملايين من سكان البشرية، وفي العصر الحديث انتشرت أمراض الإيدز وكورونا السارس والميرس وإيبولا، والآن يأتي صراع البشرية ضد مرض كورونا الجديد ليمتحن قدرة الإنسان على هزيمته دون اللجوء إلى نظرية المؤامرة التي تقول إن كورونا جزء من حرب بيولوجية سرية شنتها الولايات المتحدة ضد الصين، أو تقول إنها حرب اقتصادية طاحنة منذ سنوات بين شركات تصنيع الأدوية والعقاقير الطبية التي تنشر الفايروس ثم تخترع عقارا طبيا للعلاج منه، وبذلك ترتفع أرباح الشركات الطبية إلى المليارات من الدولارات[8].

(8) ماجد السامرائي، العراق.. السياسيون أخطر من كورونا، صحيفة العرب، لندن، العدد 11631، 2020/2/28

نستنتج من هذا المبحث هو أن فيروس كورونا هو نوع من الفيروسات الجديدة من نوعه يصيب الجهاز التنفسي للمرضى المصابين بالتهاب رئوي، ظهر في مدينة (ووهان الصينية) في أواخر العام 2019م، أطلق عليه اسم فيروس كورونا الجديد (COVID-19) من قبل منظمة الصحة العالمية، وأن هذا الفيروس لم يستثن أي بقعة جغرافية، إذ تعرضت جميع الدول على اختلاف مساحتها لهذا الفيروس، بالرغم من الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها حكومات هذه الدول.

المبحث الثاني: الإجراءات الحكومية العراقية في مواجهة جائحة فيروس كورونا

يعاني العراق كغيره من دول عالم الجنوب من نقص في المستشفيات والمستلزمات الطبية والكوادر الطبية، وتظهر بيانات منظمة الصحة العالمية أن الحكومة المركزية في العراق أنفقت خلال السنوات العشر الأخيرة مبلغا أقل بكثير على الرعاية الصحية للفرد من دول أفقر كثيرا، إذ بلغ نصيب الفرد من هذا الانفاق 161 دولارا في المتوسط بالمقارنة مع 304 دولارات في الأردن و649 دولارا في لبنان، ويوجد في العراق أقل من عشرة أطباء لكل عشرة آلاف مواطن بحسب أرقام منظمة الصحة

العالمية، وقال وزير الصحة الاسبق (علاء علوان) لرويترز في آب عام 2019م أن (الوضع الصحي في العراق تراجع بشكل كبير جدا خلال العقود الثلاثة أو الأربعة الماضية، وأحد أسباب هذا التراجع هو عدم إعطاء أولوية من قبل الحكومات المتعاقبة للصحة في العراق)، واستقال (علاء علوان)- الذي سبق أن شغل مناصب عليا في منظمة الصحة العالمية- من منصبه الوزاري بعد أن أمضى عاما واحدا في المنصب مستشهدا بفساد لا يمكن التغلب عليه وتهديدات من معارضين لجهوده الإصلاحية[9].

(9) الصحة العالمية: حكومة العراق تنفق على الرعايا الصحية أقل من دول فقيرة كثيرا، روداو، على الموقع الالكتروني، https://www.rudaw.net/arabic/middleeast/iraq/030320208، 3/3/2020.

وبدأ الهلع في العراق من إمكانية دخول فايروس كورونا إلى البلاد، عندما ضرب سريعا إيران المجاورة، وفور الإعلان الإيراني عن تسجيل إصابات بالفايروس، شكلت العاصمة بغداد غرفة عمليات على أرفع المستويات، سرعان ما اجتمعت 3 مرات معلنة عن إجراءات سريعة من بينها حظر الرحلات الجوية بين العراق وإيران وإيقاف التبادل الحدودي بين الجانبين بشكل شامل ومؤقت، وقالت الحكومة إنها فرضت إجراءات صارمة لفحص الآلاف من الشاحنات التي تدخل العراق قادمة من إيران يوميا لنقل مختلف البضائع، وتعد إيران ثاني أكبر بلد مصدر للعراق، والعراق وجهة مقصودة من الزوار الإيرانيين الذين يتوافدون على مدار السنة إلى مدينتي النجف وكربلاء المقدستين وغيرها من الاماكن المقدسة، كما يتوجه العديد من العراقيين إلى إيران لأغراض السياحة والعلاج الطبي والدراسات الدينية، وأقفل العراق حدوده مع إيران التي تمتد على مسافة مئات الكيلومترات ومنع السفر منها وإليها[10].

(10) العراق وخطر تفشي وباء فيروس كورونا: التدابير والتداعيات والسيناريوهات، مركز الامارات للسياسات، على الموقع الالكتروني، https://epc.ae/ar/topic/iraq-and-risk-of-spread-of-corona-virus-pandemic-measures-conse-quences-and-scenarios 24/3/2020.

وأول إصابة حدثت في العراق يوم 24 شباط 2020م عندما أعلنت وزارة الصحة عن أول حالة اصابة مؤكدة بالفيروس في النجف لطالب دين إيراني الجنسية، واودع المصاب في الحجز الصحي في مستشفى الحكيم وحجر على تسعة أشخاص لامسوا المريض وكانوا برفقته وأعلنت المديرية العامة للتربية في محافظة النجف تعطيل الدوام الرسمي في مدارس المحافظة كافة حتى إشعار آخر، وبعد يوم 24 شباط توالت الإصابات بمرض فيورس كورونا إلى أن وصل عدد في 10حزيران من عام 2020م إلى (15414) حالة اصابة، وبلغ عدد الوفيات (426) حالة[11].

(11) وزارة الصحة العراقية، الموقف الوبائي اليومي للإصابات المسجلة لفيروس كورونا المستجد في العراق، على الموقع الالكتروني https://moh.gov.iq/index.php?name=News&-file=article&sid=15455، 10/6/2020.

وبعد يوم 24 شباط من عام 2020م، أعلنت الحكومة العراقية دخول العراق فعليا في دائرة تفشي فيروس كورونا في أغلب المحافظات، وأعلن رئيس الوزراء السابق (عادل عبد المهدي) عن تشكيل خلية أزمة بموجب الأمر الديواني رقم 55 في شباط 2020م، تنحصر مهامها بمتابعة الحد من انتشار الفيروس، ومنع انتقاله قدر الإمكان

في المناطق الأخرى التي لم تسجل أي فيها، والعمل على تطبيق قرارات هذه الخلية في عموم مناطق العراق، وسرعان ما تطورت الحالة في أغلب المحافظات، فأعلنت خلية الأزمة جملة من الإجراءات بتأريخ 15 آذار 2020م، ومنها، فرض حظر تجوال في بغداد بشكل شامل ابتداء من 17 آذار ولغاية 23 من نفس الشهر، وتعطيل الدوام الرسمي في جميع الوزرات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية، ويستثنى من ذلك الاجهزة الأمنية والخدمية والصحية ووسائل الأعلام المصرح بعملهم، والدبلوماسيون والحركة التجارية للبضائع والمواد الغذائية، وقيام الجهات ذات العلاقة بإجراء حملات تعفير وتعقيم، ويخول المحافظين صلاحية فرض حظر التجوال في محافظاتهم، وتعليق الرحلات الجوية، وتقوم وزارة الاتصالات بزيادة سعات الانترنت وتخفيض الاسعار، والتأكيد على ايقاف التنقل بين المحافظات، والتأكيد على اتباع الإجراءات والتوجيهات والارشادات الطبية من قبل المواطنين بما في ذلك تجنب حضور التجمعات والاختلاط والبقاء في المنازل إلا في حالات الضرورة[12].

(12) عبدالرحمن نجم المشهداني، اقتصاد العراق بين أزمة كورونا وانهيار اسعار النفط العالمية وتأثيراتها على الموازنة الاتحادية2020، مركز صنه السياسات للدراسات الدولية والاستراتيجية، اسطنبول، 3 أبريل2020.

كما أقر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في 27 آذار 2020 تشكيل لجنة عليا للصحة والسلامة الوطنية واعتبارها الجهة العليا المعنية بمكافحة انتشار فيروس كورونا المستجد في العراق، برئاسة رئيس مجلس الـوزراء وعضوية عدد من الوزراء والأمين العام لمجلس الوزراء ومحافظ البنك المركزي العراقي وعدد آخر من المسؤولين، وخول مجلس الوزراء مسؤولية وضع السياسات والخطط العامة والإشراف على تنفيذها والتنسيق مع السلطات التشريعية والقضائية والأطراف الدولية ذات الصلة بمكافحة انتشار وباء فيروس كورونا المستجد، كما خول مجلس الوزراء خلية الأزمة مسؤولية الأشراف على الإجراءات الاحترازية وتقديم الخدمات الصحية للمواطنين على أن ترفع الخلية توصياتها إلى رئيس مجلس الوزراء لإقرارها[13].

(13) أحمد محمود الكرطاني وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص372ـ273.

فضلاً عن ذلك تشكلت خلية أزمة نيابية مكونة من (24) نائباً عراقياً بشأن فيروس كورونا لمراقبة ومتابعة الإجراءات الحكومية، وقد ناشدت خلية الأزمة مراجع الدين والوجهاء والنخب الأكاديمية للتدخل العاجل وإيقاف حركة المواطنين لأي ظرف كان، وقال رئيس الخلية وزير الصحة السابق (جعفر علاوي) (خلية الأزمة تشدد على الالتزام بالحظر الصحي) مؤكدا أن (وزارة الصحة مازالت تبذل جهوداً حثيثة في عمليات التعقيم والتطهير، ونقدر جهود الإعلام الوطني لتوعية المواطنين)[14].

(14) نقلاً عن عبدالكريم عبدالجليل الوزان، دور الحكومة العراقية والإعلام العراقي في معالجة أزمة جائحة كورونا، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19ـ)، لندن، 6ـ8 حزيران2020، ص407ـ408.

وأدى رجال الدين في العراق دوراً في منع التجمعات واقامة صلاة الجمعة تجنباً

أدى رجال الدين في العراق دوراً في منع التجمعات واقامة صلاة الجمعة تجنباً لانتقال عدوى الفيروس

لانتقال عدوى الفيروس، إذ دعا المرجع الديني الاعلى في العراق السيد علي السيستاني (دام ظله) الى الالتزام بمنع التجمعات، ومنها المشاركة في صلاة الجماعة، حيث منعت مثل هذه التجمعات بهدف الحد من انتشار فيروس كورونا وأخذ المنع محمل الجد، وبين سماحته فيما يخص حكم تعمد نقل العدوى انه لا يجوز ذلك، فإن أدى إلى موت المنتقل إليه ولو بعد مدة من الزمن جاز لوليه القصاص من الناقل إذا كان ملتفتا في حينه إلى كونه موجباً للهلاك عادة، وأما لو كان جاهلاً بذلك، أو غافلا عنه آنذاك، فليس عليه سوى الدية والكفارة، وبالإضافة إلى ذلك حملة التبرعات التي قادتها المؤسسات الدينية والمدنية في توزيع المواد الغذائية للعوائل الفقيرة والمتضررة من حظر التجوال، ولاسيما تلك التي تعتمد على القوت اليومي، وأكدت منظمة الصحة العالمية أن العراق حقق معجزة طبية بتسجيل إصابات قليلة بفيروس كورونا بالرغم من قربه بإيران.

واتخذ العراق قرار رفع (حظر التجوال)[15] جزئياً نتيجة تراجع معدلات الإصابات اليومية، وأضاف وزير الصحة السابق (جعفر صادق علاوي) أن اللجنة اتخذت إجـراءات جيدة أثبتت نجاحها، مؤكدا أن الإصابات بكورونا في البلاد قليلة مقارنة بباقي دول العالم. ومن بين قرارات اللجنة أن يكون للمساجد والحسينيات والكنائس حرية القيام بما تراه مناسباً، كما طالب عضو مجلس النواب (سلام الشمري) بالإسراع بتخصيص الأموال اللازمة للمحافظات المتضررة من كورونا وقال في بيان صحافي: (إن الكثير من المحافظات باتت في وضع حرج لقلة الموارد المالية من التعامل مع هذا الوباء، وعلى الحكومة والجهات المعنية الإسراع بتخصيص كافة الإمكانيات المالية وغيرها لهذه المحافظات لمكافحة جائحة فيروس كورونا حصراً)[16].

ورغم أهمية توصيات خلية الأزمة لتطويق انتشار فيروس كورونا، إلا أنها لم تراع التداعيات الاقتصادية لحظر التجوال وما قد تخلفه من اضرار على طبقة العمال والكسبة والعوائل الفقيرة التي تحصل على قوتها بشكل يومي عبر العمل في مهن ذات طبيعة يومية كعمال البناء والباعة المتجولين وغيرها من المهن، مما أدى إلى عدم التزام هذه الفئة بقرارات خلية الأزمة، فضلاً عن عادات المجتمع العراقي في الزيارات والمناسبات، فأغلب هذه العادات استمرت مما زاد من صعوبة الأمر على خلية الأزمة في تنفيذ قراراتها، وبالرغم من استثناء خلية الأزمة المحال الغذائية وأسواق الخضار وغيرها مما يحتاجه المواطن حاجاته اليومية، غير أنها واجهت

(15) وحظر التجوال هو عبارة عن إجراءات تفرضها الدولة على مواطنيها قسرا، تتضمن إلزام المواطنين بالبقاء في منازلهم ومنعهم من الخروج سواء للعمل أو التسوق أو الترفيه أو لأي غرض آخر يستوجب الخروج من المنزل، وقد يفرض حظر التجوال على منطقة معينة، أو مدينة معينة، أو يفرض في وقت معين دون وقت آخر، مثل فرض حظر التجوال في الليل وإلغاءه في النهار وهو ما يعرف بـ (حظر التجوال الجزئي) وقد يفرض حظر التجوال على كل مواطني الدولة وكل مدنها ومناطقها وقد يشمل الأوقات كلها الليل والنهار معا على حد سواء وهذا ما يُعرف بـ (حظر التجوال الكلي)، وفي الغالب تكون دواعي فرض حظر التجوال دواع أمنية وسياسية مثل حدوث أعمال شغب أو اندلاع ثورة وغيرها، وقد تكون دواعي فرض حظر التجوال دواع طبيعية بسبب وقوع كارثة طبيعية مثل انفجار بركان أو اندلاع حرائق أو حدوث عواصف وفيضانات وغيرها، وقد تكون دواعي فرض حظر التجوال دواع صحية مثل انتشار وباء أو مرض خطير يمكن أن يؤدي بحياة العشرات بل الألاف من الناس في حال عدم فرض حظر للتجوال مثل انتشار وباء كورونا جميل عودة إبراهيم، الآثار الاقتصادية لفرض حظر التجوال، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://an-nabaa.org/arabic/rights/22987، 25/4/2020.

(16) نقلاً عن عبدالكريم عبدالجليل الوزان، مصدر سبق ذكره، ص410.

اقبالاً ضعيفاً بسبب فرض حظر التجوال الذي تمدد أسبوعاً بعد آخر، وأن حظر التجوال المستمر سيضر بالاقتصاد العراقي من إجراء استمرار إغلاق الكثير من المراكز التجارية والمالية والمطاعم والمقاهي ودور السينما التي أخذت رواجاً كبيراً في بغداد، كما أنها توفر فرص عمل كثيرة لأغلب الشباب البغدادي[17].

(17) أحمد محمود الكرطاني وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص373.

وأن السلطات الحكومية هي التي تقرر فرض الحظر، ويمكن أن يكون سببا لحل الأزمة التي تواجهها، أو أن فرض الحظر سينتج عنه آثار أقل من عدم فرض الحظر، فعلى سبيل المثال لو لم تلجأ غالبية الدول إلى إجراءات فرض حظر التجوال، وسياسة التباعد الاجتماعي، ومنها تعطيل العمل وغلق المعامل والمصانع والمحال التجارية وتعطيل كامل الدورة الاقتصادية بسبب انتشار وباء كورونا لكانت النتائج وخيمة على سكان الأرض كلهم، وإن كانت أرقام الإصابة به وضحايا هذا الوباء مازالت مخيفة جدا رغم كل الإجراءات ومنها حظر التجوال، مع ذلك لا ينبغي الركون إلى حق الدولة بفرض حظر التجوال ودعوة الناس إلى المكوث في بيوتهم، لدرء الخطر الأكبر على كيان الدولة وحياة المواطنين مطلقا بل ينبغي أن تعمل الدولة على دعم إجراءات حظر التجوال بمجموعة من الإجراءات التي تضمن أولا تطبيق فرض التجوال، وثانيا تضمن تحقيق الحد الأدنى من متطلبات العيش المنزلي، نعم يمكن للمواطنين أن يتحملوا إجراءات فرض حظر التجوال إذا ما كان حظرا جزئيا من حيث المكان كأن يفرض في منطقة معينة، أو من حيث الوقت، كأن يفرض في الليل دون النهار، ولكن لا يمكن للمواطنين أن يتحملوا فرض حظر كلي يشمل مناطق واسعة من البلاد ليلا ونهارا، لأن مثل هذا الحظر ينتهك حقا أساسيا من حقوق الإنسان وهو الحق الاقتصادي وحق العيش بكرامة[18].

لا يمكن للمواطنين أن يتحملوا فرض حظر كلي يشمل مناطق واسعة من البلاد ليلا ونهارا

(18) جميل عودة إبراهيم، مصدر سبق ذكره.

وأن الإجراءات اللازمة التي اتخذتها خلية الأزمة، ومنها حظر التجول في مختلف أنحاء البلاد الساري منذ منتصف مارس/ آذار مثلما هو الحال في دول كثيرة، أدت إلى توقف متاجر عن العمل وفرضت على من يعيلون أسرهم البقاء دون عمل في البيوت الأمر الذي أضر بشدة بالقطاعات الضعيفة من السكان، وقال (عبد الزهرة الهنداوي) المتحدث باسم وزارة التخطيط العراقية إن (20%) من السكان يعيشون في فقر، وإن من المتوقع أن ترتفع هذه النسبة إلى ما يقارب (30%) هذا العام بسبب تعطل الناس عن العمل بفعل الأزمة، وأعلنت الحكومة توزيع إعانة شهرية قدرها (25) دولارا للفرد الواحد للأسر التي لا تحصل على أجور من الدولة، وقال

(الهنداوي) إن (13) مليون شخص- أي حوالي ثلث العراقيين- تقدموا بطلبات للحصول على هذه الإعانة، وقد رفعت السلطات لاحقا حظر التجوال أثناء النهار لكنها أعلنت غرامات جديدة على من يخالفونه أثناء الليل، وتقول منظمة الصحة العالمية إن على العراق مواصلة العمل بالقيود السارية[19].

(19) سها جادو، كورونا تدفع بعراقيين أنهكهم الصراع في براثن الفقر، رويترز، على الموقع الالكتروني https:// ara.reuters.com/article/idARAKB-N22I1FO، 6/5/2020.

طبقاً لما تقدم نستنتج أن العراق يعاني من نقص في المستشفيات والمستلزمات الطبية والكوادر الطبية، ويرجع ذلك إلى الفساد المستشري في جميع مفاصل الدولة، وأول أصابه لفيروس كورونا حدثت في العراق في يوم 24 شباط عندما أعلنت وزارة الصحة عن أول حالة اصابة مؤكدة بالفيروس في النجف لطالب دين إيراني الجنسية، ونتيجة لذلك شكلت الحكومة خلية الأزمة ثم تشكيل لجنة عليا للصحة والسلامة الوطنية واعتبارها الجهة العليا المعنية بمكافحة انتشار فيروس كورونا، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الحالات الإصابة ترتفع، بالرغم من الإجراءات التي اتخذتها الحكومة من فرض حظر التجوال، وتعطيل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية وما إلى ذلك.

المبحث الثالث: بنية الاقتصاد العراقي

منذ خمسينيات القرن الماضي تركز الفخ الريعي ومظاهره تدريجياً في العراق، ولاسيما استخدام عوائد النفط في الثواب، والعنف في العقاب في كافة العهود وبدرجات مختلفة، وعند تغيير النظام في عام 2003م كانت المظاهر الريعية قد وصلت شوطاً متقدماً بالرغم من وجود مؤسسات دولة قائم على الفصل والتعاون بين السلطات، وتكررت صورة الدولة الريعية في استخدام الريع النفطي في كسب الولاء عبر التوسع في الاستخدام العام من جهة، وزيادة الرواتب والعطايا السياسية من جهة أخرى، وفي كلا الوضعين تحققت النتيجة نفسها بوجود مناخ اقتصادي غائم[20].

(20) علي مرزا، العراق: الواقع والآفاق الاقتصادية، المؤتمر الأول لشبكة الاقتصاديين العراقيين، بيروت، 30آذار ـ 1 نيسان2013، ص11.

ورغم تبني العراق التحول الاقتصادي نحو اقتصاد السوق بدلاً من الاقتصاد المخطط عام 2003، والاتجاه نحو تنويع مصادره كما متاح في الدستور العراقي 2005، إلا إن هذا التحول لم يكن عملية مدروسة ومخططا لها بل كان عملية عشوائية بامتياز تسببت وبشكل جلي في تعثر التحول الاقتصادي، مما يعني إن العراق لا يزال يخضع للإدارة المركزية في أغلب المجالات ومنها الاقتصاد، ليس هذا فحسب بل يمكن القول إن العراق الآن يعيش حالة الفوضى الاقتصادية نظراً لعدم وجود رؤية واضحة لدى الإدارة السياسية فيما يخص الشأن الاقتصادي من حيث الإدارة،

إدارة الاقتصاد، أي هل هي إدارة مركزية أم لا مركزية أم أدارة وسطية تعتمد الوظيفة الإشراقية والتدخل عند الأوقات الحرجة؟ سيستمر الوضع الاقتصادي على ما هو عليه، أي الاعتماد على النفط في تمويل الاستيراد والاستهلاك وعلى الدولة في التوظيف والبطالة، وبهذا الوضع سيظل الاقتصاد العراقي يعاني من الفوضى الاقتصادية، وبالتالي عدم الاستقرار السياسي[21].

وبالإضافة إلى ذلك ظهرت في العراق عوامل أخرى زادت من عدم اليقين مثل تخلخل الوضع الأمني وتعدد مراكز القرار، والتي تمثلت بتواضع جهود التنسيق للإدارة الاقتصادية في الحكومة المركزية فيما بينها وبين الإقليم والمحافظات، وغياب آلية لفض النزاع في مجال السياسة والاستثمار النفطي بين المركز والإقليم/ المحافظات، وعدم وجود منظور مستقبلي لمسار الاقتصاد العراقي بالرغم من وجود خطة للتنمية الوطنية، وتمحور السياسات حول الميزانية السنوية والتي تمثل تسويات سياسية أكثر منها منظورا مستقبليا واضحاً، وانتشار الفساد في الجهاز الاداري، وظهور طبقة منتفعة من السياسيين ورجال الأعمال تعيش على النفقات الميزانية والمقاولات المتفرعة عنها[22].

وبهذا فأن الاقتصاد العراقي أصبح معتمدا اعتمادا شبه كلي على عوائد النفط، إذ تشكل نسبة (90%) من الناتج المحلي الإجمالي، وبدونها تتوقف أو تشل حركة النشاط الاقتصادي في البلاد، وبالتالي تكون الحكومة وفق مبدأ الدولة الريعية هي المستخدم الأكبر والمستثمر والمتحكم بمصير الاقتصاد والمجتمع، وتترافق مع ظاهرة الحالة الريعية ظاهرة (المرض الهولندي)[23]، وخلاصتها أن ارتفاع عائدات الدولة الريعية سيؤدي في غياب سياسات مالية مناسبة، وإلى ارتفاع سعر صرف عملتها الوطنية وهذا ما يؤدي إلى ارتفاع صادراتها غير النفطية في السوق الدولية، وبالتالي سيؤثر الأمر على تنافسيتها، الأمر الذي يفضي إلى تكسيد بضائعها المصدرة، وبذلك يتعثر نموها الصناعي غير النفطي[24].

وأن خاصية الاقتصاد العراقي المتمثلة بهيمنة القطاع النفطي لم تنعكس بنتائج إيجابية وتغيرات هيكلية واضحة على مسيرة نمو هذا الاقتصاد بكل قطاعاته الانتاجية والخدمية، لذلك ظل الاقتصاد وعلى مختلف المراحل الزمنية يعاني من مشاكل وأزمات اقتصادية، وأن الاستقرار والتوازن أصبح ظاهرة استثنائية، وأن الموارد المالية التي حصل عليها العراق بعد عام 2003م قد نمت بمعدلات متزايدة وحققت طفرات كبيرة مقارنة بالفترات السابقة، إلا أنها لم تحقق نتائج إيجابية وتحولات حيوية في هيكلية الناتج المحلي الإجمالي، ويرجع السبب إلى غياب

(21) حامد عبدالحسين الجبوري، إدارة اقتصاد العراق بين المركزية واللامركزية، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://an-nabaa.org/arabic/economicarticles/22974، 23/4/2020.

(22) علي مرزا، مصدر سبق ذكره، ص21ـ22.

(23) أن مصطلح المرض الهولندي يعبر عن الآثار غير المرغوب بها على القطاعات الإنتاجية وخصوصا القطاع الصناعي نتيجة اكتشاف الموارد الطبيعية، وسمي بالمرض الهولندي نسبة إلى حالة من الكسل والتراخي الوظيفي التي أصابت الشعب الهولندي في النصف الأول من القرن الماضي (1900ـ1950م) بعد اكتشاف النفط والغاز في بحر الشمال، حيث هجع للترف والراحة واستلطف الإنفاق الاستهلاكي البذخي، وبعد أن أفاق الشعب على حقيقة نضوب الآبار التي استنزفها باستهلاك غير المنتج فسمي ذلك بالمرض الهولندي، ونتيجة ارتفاع حصيلة الموارد الطبيعية ارتفعت قيمة العملة المحلية في هولندا، مما جعل السلع الهولندية المنتجة غالية الثمن، في حين أصبحت السلع المستوردة رخيصة في نظر المواطن الهولندي مما قلل من القدرة التنافسية للمنتجات الهولندية في الأسواق العالمية، وبالتالي انعكس سلبا على القطاع الخارجي، والمحصلة النهائية لهذا الوضع تردي النشاط الإنتاجي وخاصة القطاع الصناعي، وفي ظل هذا العزوف عن الإنتاج وهذا الاضمحلال للنشاط الصناعي تنخفض فرص العمل وترتفع معدلات البطالة، وقد حذر الاقتصاديون من الاعتماد فقط على الموارد الطبيعية لأنه يخلق أوطانا غنية ومواطنين فقراء وهذ هو جوهر الإصابة بالمرض الهولندي، مايح شبيب الشمري، تشخيص المرض الهولندي ومقومات إصلاح الاقتصاد الريعي في العراق، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، جامعة الكوفة، النجف، العدد15، 2010، ص36ـ37.

(24) كامل العضاض، هيكلية الاقتصاد العراقي والمسألة الريعية، عوائق أمام تحقيق تنمية مستدامة، المؤتمر الأول لشبكة الاقتصاديين العراقيين، بيروت، 30آذار1ـنيسان2013، ص6.

التخطيط الاستراتيجي وعدم استثمارها بالشكل الأمثل، كما أن هذه الموارد المالية لم تعالج المشاكل المستديمة مثل مشكلة الفقر والبطالة والسكن، وتردي الخدمات الأساسية بالشكل الذي يتوازن وحجم انفاق تلك الموارد[25].

(25) حسين عجلان حسن، تنويع قدرات الاقتصاد العراقي في ظل الهيمنة الريعية الواقع الراهن والحسابات المستقبلية، مجلة المنصور، كلية المنصور الجامعة، بغداد، العدد27، 2017، ص3.

أن التشوهات في هيكلية القطاعات الاقتصادية تظهر بشكل واضح عبر انخفاض نسبة إسهام القطاعات السلعية الإنتاجية الصناعية والزراعية في تكوين الناتج المحلي الإجمالي، إذ أن قطاع الصناعة انخفضت نسبة مساهمته من (4,2%) في عام 2002م إلى (0,4%) عام 2012م، إذ تراجع نمو هذا القطاع بعد هذا العام بشكل واضح وتوقفت أغلب منشاته الإنتاجية بسبب الفوضى الاقتصادية التي شهدها الاقتصاد العراقي بعد هذه الفترة، وعمليات التخريب التي شملت أغلب شركات القطاع الصناعي، فضلاً عن ذلك أن الدولة لم تستثمر العوائد المالية الكبيرة التي حصلت عليها بعد عام 2003م من العوائد النفطية في عمليات تأهيل هذه الشركات وإعادة تشغيلها، وكذلك عدم وجود الحواجز والرسوم الجمركية وأجهزة التنفيس والسيطرة النوعية، وبالتالي أغرقت السوق العراقية بملايين المنتجات المستوردة زهيدة الثمن في الوقت الذي عجزت عن منافستها المنتجات الوطنية، نظراً لشحتها في السوق المحلية وبساطة نوعياتها ورداءتها[26].

أغرقت السوق العراقية بملايين المنتجات المستوردة زهيدة الثمن في الوقت الذي عجزت عن منافستها المنتجات الوطنية

(26) ينظر إلى كل من حسين عجلان حسن، مصدر سبق ذكره، ص4، وكذلك لورنس يحيى صالح وعقيل مكي كاظم، ريعية الاقتصاد العراقي وضرورات تنويع مصادر الدخل بعد عام 2003، مجلة الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد108، 2016، ص17.

أما القطاع الزراعي، فهو الأخر انخفضت نسبة مساهمته من (8,6%) في عام 2002م إلى (2,6%) عام 2011م، وأصبح العرض المحلي من المنتجات الزراعية لا يسد الطلب المتزايد عليها، في الوقت الذي تزخر فيه ارض العراق بإمكانيات مادية وبشرية تؤهلها لتحقيق مراتب متقدمة على صعيد الانتاج، إذ يمتلك العراق مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة، فضلاً عن الموارد المالية الضخمة التي حباه الله تعالى بها، إلى جانب مزايا أخرى تؤهله للعب دور مهم على صعيد الانتاج الزراعي، وبذلك يبدو أن هنالك علاقة عكسية بين تطور قطاع النفط وبين تطور القطاعات الاقتصادية ولاسيما الصناعة والزراعة، إذ أن قطاع النفط ينمو بمعدلات موجبة وعالية والقطاعات الانتاجية تنمو بمعدلات سالبة[27].

(27) ينظر إلى كل من حسين عجلان حسن، مصدر سبق ذكره، ص4، وكذلك لورنس يحيى صالح وعقيل مكي كاظم، مصدر سبق ذكره، ص16ـ17.

أما القطاع الخاص في العراق فأنه يعاني من التذبذب والتردي والركود وعدم وضوح الرؤيا واستقرار الحال، والسبب يرجع في ذلك إلى عدم الاستقرار السياسي وانعدام البيئة الصحية والاستثمارية، كما يعاني القطاع من كوابح التقدم والتطور واهمها شمولية التخطيط وتبعية كل مفاصل الاقتصاد للقطاع العام، مضافا اليه حجم المشاريع وعدد الأيدي العاملة فيه، واستخدام المواد الاولية الرديئة رخيصة

الثمن وإلى لجوء هذا القطاع للميادين ذات المردود الربحي والسريع، والهروب ساعة المواجهة، وكذلك ضعف مصادر التمويل وعدم القدرة على المنافسة مع المنتوج الاجنبي، وإلى عدم ملاءمة السياسات المالية والاقتصادية المنتهجة من قبل الدولة، فضلاً عن المعاناة من تقلبات الوضع الاقتصادي الدولي أبان الازمات وانعدام التواصل وفقدان الثقة مع المؤسسات الدولية ذات العلاقة، كل هذه العوامل أوصلت القطاع الخاص العراقي إلى واقع أقرب إلى العجز[28].

(28) كريم عبيس العزاوي، واقع القطاع الخاص العراقي وسبل النهوض به، مجلة كلية الادارة والاقتصاد للدراسات الاقتصادية والادارية والمالية، جامعة بابل، بابل، العدد1، 2009، ص277.

وأن تراجع القطاع الخاص في العراق يرجع السبب بعدم التوافق بين القطاعين العام والخاص بحسب ما يؤكد الخبير الاقتصادي (عبد الحسن الشمري) الذي يرى أن الاول تغلب على الثاني وهيمن عليه وبات مسؤولا عنه في ظل غياب أي رؤية اقتصادية، وأن هذه الحالة مستمرة منذ عام 2003 الأمر الذي أدى الى تراجع القطاع الخاص ثم اختفاءه تقريبا بفعل إغلاق المعامل والمصانع والورش التي كانت تنتج وتوفر السلع والخدمات للمواطنين والسوق المحلية، ومن جهة أخرى إذ حتى لو استطاع القطاع الخاص في المدى المنظور من استعادة بعض نشاطه، إلا انه سيبقى رهين القطاع العام فجميع الشركات أو المصانع الخاصة تنتج سلعها للداخل العراقي والتي تعتمد على القدرة الشرائية للمواطنين الذين تعد طبقة الموظفين العموميين فيه الأعلى دخلاً والاكثر استقراراً مالياً، وبالتالي فإن أي حدث مفاجئ في الاقتصاد الحكومي سيؤدي الى شلل تام في القطاع الخاص[29].

(29) أحمد الدباغ، العراق.. كيف تدهور القطاع الخاص وهل يمكن إنعاشه؟، نون بوست، على الموقع الالكتروني https://www.noonpost.com/content/35249، 15/12/2019.

وأسباب عدة تعزى الى تراجع القطاع الخاص في العراق ولجوء الشباب للبحث عن وظائف حكومية تؤمن لهم دخلا ثابتا، إذ ذكر تقرير لـ (معهد التمويل الدولي) في واشنطن أن انتشار الفساد في العراق والبيروقراطية الادارية والبيئة الاستثمارية الفقيرة أدت إلى تدهور اقتصاد العراق ومنع نمو القطاع الخاص، واستناداً الى التقرير الدولي فإن طريق العراق نحو تعافي اقتصادي واضح قد يشهد عراقيل أكثر بسبب عدم الاستقرار السياسي الذي ما يزال يشهده العراق، فضلاً عن ضعف كفاءة وقدرة مؤسساته الحكومية، ويشير معهد التمويل الدولي إلى أن هناك ما يقرب من (160) مؤسسة حكومية غير نفطية تذهب نسبة كبيرة من ميزانية البلاد رواتباً لموظفيها دون تقديمهم أي شيء ذي فاعلية في تعزيز الاقتصاد، فضلا عن أن البلاد لا تزال تعتبر من الدول الريعية التي تذهب جل وارداتها رواتبا للموظفين العموميين ولجيوب الفاسدين[30].

(30) أحمد الدباغ، مصدر سبق ذكره.

نستنتج من هذا المبحث أن العراق دولة ريعية يعتمد على النفط كمورد أساس في تمويل نفقاته العامة، واهمال القطاعات الأخرى (كالزراعة والصناعة)، وترجع تلك

الفوضى الاقتصادية نظراً لعدم وجود رؤية واضحة لدى الإدارة السياسية فيما يخص الشأن الاقتصادي، إلى جانب ذلك اهمال القطاع الخاص الذي يعاني من التذبذب والتردي والركود وعدم وضوح الرؤيا والاستقرار.

المبحث الرابع: أثر فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي

تشير توقعات صندوق النقد الدولي الى أن جائحة فيروس كورونا كوفيد 19 تسببت بانكماش في الاقتصاد العالمي هو الأكبر منذ الكساد الكبير عام 1929، وسيدفع وضع الاقتصاد العالمي ملايين القوى العاملة على مستوى العالم الى الشارع، كما انه دفع أسعار النفط العالمية الى الانهيار، وأنها ستواجه المزيد من التدهور قريبا، وأكثر التنبؤات تفاؤلا لا تتوقع تجاوز أسعار النفط حاجز (الـ 45$) خلال السنتين القادمتين، هذه المؤشرات وغيرها تمثل صدمة غير متوقعة للعراق، لأنه يعتمد بنسبة تتجاوز (الـ90%) على صادرات نفطه في رفد موازنته العامة السنوية، وكانت حكومته تعول على ارتفاع الأسعار في تهدئة الشارع الشعبي المنتفض، من خلال امتصاص البطالة وتفعيل البيئة الاستثمارية ومعالجة مشاكل البطالة والفقر وغيرها[31].

(31) خالد عليوي العرداوي، كوفيد19 هل يدفع العراق نحو الهاوية، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على موقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/author-sarticles/22911، 18/4/2020.

وبعد أن كان الاقتصاد العراقي يعاني من ضعف كبير وخلل واضح من حيث الإدارة والتنظيم فأنه تعرض إلى ضربة موجعة حاله حال العديد من اقتصادات دول العالم بفعل جائحة فيروس كورونا، وكان لذلك الأمر اثر واضح على الاقتصاد العراقي بكافة مفاصله، فقد تسببت جائحة كورونا في توقف المعامل والمصانع وتوقف حركة القطارات والطائرات ليس على مستوى العراق فحسب بل في دول العالم اجمع، مما تسبب بقلة الطلب العالمي على النفط الأمر الذي أدى إلى انهيار أسعاره وتراجعها إلى مستويات متدنية بعد أن كانت قد وصلت في نهاية عام 2019 إلى (65$) للبرميل قبل انتشار الوباء، ليصل سعر نفط العراق إلى ما يقارب (26%) للبرميل في اذار 2020م ليواجه العراق مشكلة مالية كبيرة[32].

(32) عماد جاسم حسن، أثر فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد ـ 19)، لندن، 6ـ8 حزيران2020، ص460ـ461.

ومنذ بداية عام 2020م أخذت أسعار النفط تتأثر بشكل سلبي بانتشار الوباء نتيجة قلة الطلب العالمي على النفط ولاسيما الدول المشترية الصين والتي كانت تستقبل كميات كبيرة من النفط العراقي، إذ أنها كانت مستهلكا رئيسا للنفط العراقي بحيث أن أغلب صادرات النفط العراقي قد ذهبت إلى الصين وبنسبة (34%)، تلتها الهند بنسبة (28%)، وأن انتشار كورونا أدى إلى انخفاض الطلب العالمي على النفط بواقع عشرة ملايين برميل يوميا، الامر الذي تسبب بازدياد

المعروض من النفط مقابل قلة الطلب ونتج عن ذلك انخفاض أسعار النفط، إذ أن انخفاض سعر البرميل الواحد من النفط دولارا واحدا يعني خسارة العراق ما يقارب مليار دولار سنويا، وفي ذلك صرح مستشار رئيس الوزراء العراقي للشؤون الاقتصادية (مظهر محمد صالح) أن خسائر العراق من انخفاض أسعار النفط وصلت ما بين (50-75) مليون دولار في اليوم الواحد، وفي السياق ذاته توقع مصرف ستاندرد أند جارتر الدولي أن يشهد العراق انكماشا بنحو(7,5%) وهذا يعني أن الاقتصاد العراقي سيعاني ركودا كبيرا خلال المرحلة المقبلة، إذ سوف تسبب قلة الواردات بعجز كبير في ميزانية الدولة والتي تلقي بضلالها على جميع القطاعات[33].

(33) عماد جاسم حسن، مصدر سبق ذكره، ص461.

ويقترن العجز المالي في العراق دائما بعجز ميزان المدفوعات، ومما يؤسف له أن يكتفي كبار المسؤولين والخبراء بوصف المشكلة في عدم كفاية إيرادات صادرات النفط للإنفاق الحكومي، بل صار من المألوف مقارنة قيمة مبيعات النفط بالرواتب، مع إغفال عجيب لعجز ميزان المدفوعات الخارجية، بينما يعلم الجميع ان إيرادات النفط هي المصدر الوحيد تقريبا، لتمويل مستوردات العراق الحكومية والخاصة من السلع والخدمات والمدفوعات الخارجية الأخرى[34].

(34) أحمد بريهي علي، عجز الموازنة الحكومية وتمويلها في العراق: عرض مبسط، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://an-nabaa.org/arabic/economicarti-cles/23223، 25/5/2020.

ومن الآثار التي تركها انتشار وباء كورونا على الواقع الاقتصادي العراقي كان بفعل القرارات الحكومية، إذ تسبب الحظر الشامل بارتفاع أسعار المواد الغذائية نتيجة لتوقف حركة التجارة مع دول العالم، ووفقا للجهاز المركزي للإحصاء فإن استيراد العراق من السلع الغذائية والمحاصيل الزراعية يبلغ ما قيمته (12) مليار دولار سنويا من أجمالي استيراده الذي يتجاوز (40) مليار دولار، وتوقف حركة التجارة بإغلاق الحدود والمنافذ البحرية وتوقف حركة الطيران، في الوقت الذي لا تمتلك فيه القطاعات الإنتاجية في العراق القدرة على توفير تلك البضائع المستوردة، الامر الذي تسبب بحصول مشكلة أدت إلى قلة المواد المعروضة في السوق نتيجة لاحتكار بعض التجار واستغلالهم لتلك الأوضاع ورفع الأسعار مما أدى إلى أن يكون الامن الغذائي مهددا في البلاد، إذ أن المخزون السلعي ينفذ بمرور الوقت وأن (75%) من الاستهلاك العام هو من السلع المستوردة، وذلك لكون الاقتصاد العراقي اقتصاداً هشاً وما زال ضعيفاً وغير قادر على تلبية الطلب المحلي، وبالتالي فإن الأمن الغذائي العراقي اصبح مهدداً لأنه يواجه ازمتين كبيرتين في آن واحد، الأولى انهيار اسعار النفط التي يعد المصدر الرئيس للدخل العراقي مما يعني

إن استيراد العراق من السلع الغذائية والمحاصيل الزراعية يبلغ ما قيمته (12) مليار دولار سنويا

وجود أزمة مالية، والثانية انتشار وباء كورونا الذي قطع المواصلات بين دول العالم والذي اثر على توفير السلع الغذائية[35].

ومن آثار جائحة كورونا على الاقتصاد العراقي هو انخفاض قيمة الدينار العراقي أمام الدولار، إذ انخفض سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الامريكي الذي وصل إلى (1270) دينار مقابل الدولار بعد أن كان (1200) قبل انتشار الوباء، وإلى جانب ارتفاع الأسعار فقد تسبب الحظر الشامل في ضرر كبير للقطاع الخاص، ولاسيما أصحاب الاجر اليومي والدخل المحدود وأصحاب المهن الحرة من أمثال (سائقي التاكسي، العاملين بالمطاعم... الخ)، إذ أشارت الإحصاءات الحكومية إلى تأثر ما يقارب عشرة ملايين نسمة، والذين يصنفون ضمن طبقة الفقراء، كما كان لانتشار وباء كورونا تأثير واضح في توقف حركة السياحة ولاسيما الدينية منها والتي كانت تشكل مورداً للعديد من العراقيين وبخاصة العاملين في الفنادق وأصحاب المحال التجارية[36].

واستمراراً في هذا التراجع من العائدات المالية، فأن الأثر السلبي يتجاوز المتغيرات الاقتصادية الكلية ليصل إلى المالية، منها عجز حقيقي في الموازنة العامة وتراجع في الاحتياطيات الدولية في محاولة لتمويل عجز الموازنة العامة والذي يقود إلى الاقتراض (داخلي وخارجي) إلى جانب ضعف النفقات العامة، كل هذا يؤدي إلى ضعف الاستدامة المالية، وفي ظل الانكماش الاقتصادي وضغط الانفاق العام فإن ذلك سيقود إلى زيادة معدلات البطالة والفقر على حد سواء في العراق[37].

ومن ناحية القطاع الصحي بما لم يكن العراق الأفضل في التعاطي مع فيروس كورونا إلا إنه من بين الدول الأقل تأثراً مقارنة بالدول الأخرى كالصين وإيران وكوريا الجنوبية وإيطاليا وأمريكا والسعودية وتركيا وغيرها، وعلى الرغم من تواضع إمكانات القطاع الطبي والصحي إلا إن الحق يقال، فقد استنفر هذا القطاع كل ما بوسعه من طاقات لمواجهة هذا الفيروس ومع هذا الاستنفار فقد كان الأثر الأكبر في تقليص حجم الضرر يعود لحظر التجوال الذي فرضته خلية الأزمة وليس لقوة القطاع لان الأخير معروف لدى الجميع كم يعاني من الضعف والإهمال قبل وقوع الأزمة فكيف سيكون الحال في ظل انعدام حظر التجوال، وإن ضعف القطاع الطبي والصحي المعهود الذي خسر العراق بسببه الكثير من العملات الصعبة، إضافة للواقع الاقتصادي المتردي بسبب الاعتماد المفرط على النفط، بالتزامن مع

كان لانتشار وباء كورونا تأثير واضح في توقف حركة السياحة ولاسيما الدينية منها

(35) ينظر إلى كل من عماد جاسم حسن، مصدر سبق ذكره، ص461ـ462، وكذلك علي عبد الحسين سعيد نصر الله، تأثير جائحة كورونا على التعايش السلمي في العراق عام 2020، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد ـ 19)، لندن، 6ـ8 حزيران2020، ص449.

(36) عماد جاسم حسن، مصدر سبق ذكره، ص463.

(37) عمرو هاشم محمد، الاقتصاد العراقي بين جائحتين: والتداعيات الاقتصادية لفايروس كورونا المستجد، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد ـ 19)، لندن، 6ـ8 حزيران2020، ص481.

الفشل السياسي المزمن الذي يعانيه النظام السياسي، هذه العوامل مجتمعةً أسهمت في رسم صورة تشاؤمية خلفها فيروس كورونا على الواقع العراقي[38].

(38) حامد عبدالحسين الجبوري، كورونا في العراق: من التفاؤل إلى التشاؤم، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على موقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/economicarticles/23015، 27/4/2020.

وبهذا فإن جائحة كورونا تركت بصمتها على كل نواحي الحياة، فدول بأكملها شلت وحدود أغلقت واقتصاديات عالمية تباطأت ومدارس أقفلت، ويقول احد المؤرخين الخبير الديمغرافي (باتر يس بور دولية) عن الوباء أنه: (يهدد الروابط الاجتماعية ويطلق العنان بشكل خفي من حرب أهلية يكون فيها كل واحد حذراً من جاره.. انتشار الأوبئة يشكل دوماً امتحاناً للمجتمعات البشرية)، ومن ناحية أخرى وعلى صعيد السلوك أدت جائحة كورونا إلى خلق حد أدنى من المسافة بين الأشخاص تفوق في المجتمعات الغربية ما هي عليه في المجتمعات الأخرى[39].

(39) عبد الحسين سعيد نصر الله، مصدر سبق ذكره، ص450.

طبقاً لما تقدم نستنتج أن جائحة فيروس كورونا قد أثرت على الاقتصاد العراقي، لكونه دولة ريعية تعتمد على النفط كمصدر أساس، وحين أنخفض الطلب العالمي على النفط بسبب الجائحة، انخفضت الأسعار بشكل غير مسبوق ووصل سعر النفط إلى أقل من (20$) للبرميل الواحد، كما أن الجائحة أثرت على المستوى المعيشي للفرد العراقي عبر ارتفاع المواد الغذائية وانخفاض قيمة العملة نتيجة الحظر الشامل التي فرضتها الدولة، وبالتالي ارتفعت نسبة (الفقر والبطالة) في المجتمع.

الخاتمـــة:

1. فيروس كورونا المستجد هو نوع من الفيروسات الجديدة مجهول السبب، ظهر في مدينة ووهان الصينية في أواخر العام 2019م، وفي 8 شباط من عام 2020م أطلقت لجنة الصحة الوطنية في جمهورية الصين الشعبية تسمية (فيروس كورونا المستجد أو الجديد) ثم غيرت في 22 شباط من نفس الشهر الاسم إلى (COVID-19)، قبل أن تعتمد هذه التسمية رسمياً من قبل منظمة الصحة العالمية في 11 شباط/ فبراير2020م، وأن الفيروس انتشر في جميع دول العالم، مما ترتب على ذلك آثار كارثية على الاقتصاد العالمي الأمر الذي أدى إلى فقدان الملايين الوظائف في القطاعيين العام والخاص، فضلاً عن إصابة أغلب سكان العالم بحالة من الرعب، إذ اجبرتهم السلطات المعنية في كل دولة على البقاء في منازلهم، ومنع التجوال إلا للضرورة القصوى عن طريق فرض الحجر الصحي المنزلي عليهم.

2. أن أول أصابه حدثت في العراق في يوم 24 شباط عندما أعلنت وزارة الصحة عن أول حالة اصابة مؤكدة بالفيروس في النجف لطالب دين إيراني الجنسية، وبعد هذا اليوم أعلنت الحكومة العراقية دخول العراق فعليا في دائرة تفشي فيروس كورونا في

أغلب المحافظات، وأعلنت الحكومة تشكيل خلية أزمة، مهمتها اتخاذ القرارات لاحتواء الفيروس، فاتخذت جملة من القرارات كل أسبوع، ومن تلك القرارات فرض حظر التجوال الشامل وتعطيل المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، وبالرغم من أهمية توصيات خلية الأزمة لتطويق انتشار فيروس كورونا، إلا أنها لم تراع التداعيات الاقتصادية لحظر التجوال وما قد تخلفه من اضرار على الطبقة العمال والكسبة والعوائل الفقيرة التي تحصل على قوتها بشكل يومي عبر العمل في مهن ذات طبيعة يومية، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع في نسبة الفقر والبطالة.

3. يعد الاقتصاد العراقي بأنه اقتصاد ريعي يعتمد على النفط بنسبة كبيرة في ناتجها المحلي الإجمالي، وبالتالي فأن انخفاض المورد الوحيد الذي يعتمد عليه سيؤثر على المجتمع، وهذا ما حدث نتيجة انخفاض الطلب العالمي على النفط انخفضت الأسعار الأمر الذي أدى إلى عجز مالي في ميزانية الدولة، ويعد انخفاض أسعار النفط هو أحد آثار فيروس كورونا، وبالتالي قد انخفض قيمة الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي، كما ارتفعت أسعار المواد الغذائية نتيجة اعتماد العراق على دول الجوار من سدة حاجاته من المواد الغذائية.

قائمة المصادر:

اولاً: الكتب

1 - التجاني عبدالقادر حامد وآخرون، أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مركز أبن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة قطر، الدوحة، 2020.

2 - تساو تشاو لونغ، دليل الحماية الذاتية للأسر ضد فيروس كوفيد19-، ترجمة ونشر الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2020.

3 - فونغ هوي، ترجمة: كلية المهن هانان الأعمال الدولية، دليل الوقاية من فيروس كورونا المستجد، المستقبل الرقمي، الصين، 2020.

ثانيا: البحوث والدراسات

1 - أحمد محمود الكرطاني وآخرون، آثار جائحة كورونا في العراق وتداعياتها الأمنية، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19-)، لندن، 6-8 حزيران2020.

2 - عباس حسين فياض عبد الله، الجوائح العائمة في منظور القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19-)، لندن، 6-8 حزيران2020.

3 - عبدالكريم عبدالجليل الوزان، دور الحكومة العراقية والإعلام العراقي في معالجة أزمة جائحة كورونا، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19-)، لندن، 6-8 حزيران2020.

4 - مايح شبيب الشمري، تشخيص المرض الهولندي ومقومات إصلاح الاقتصاد الريعي في العراق، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، جامعة الكوفة، النجف، العدد15، 2010.

5 - حسين عجلان حسن، تنويع قدرات الاقتصاد العراقي في ظل الهيمنة الريعية الواقع الراهن والحسابات المستقبلية، مجلة المنصور، كلية المنصور الجامعة، بغداد، العدد27، 2017.

6 - لورنس يحيى صالح وعقيل مكي كاظم، ريعية الاقتصاد العراقي وضرورات تنويع مصادر الدخل بعد عام 2003، مجلة الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد108، 2016.

7 - كريم عبيس العزاوي، واقع القطاع الخاص العراقي وسبل النهوض به، مجلة كلية الادارة والاقتصاد للدراسات الاقتصادية والادارية والمالية، جامعة بابل، بابل، العدد1، 2009.

8 - عبد الحسين سعيد نصر الله، تأثير جائحة كورونا على التعايش السلمي في العراق عام 2020، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19-)، لندن، 6-8حزيران2020.

9 - عماد جاسم حسن، آثر فيروس كورونا على الاقتصاد العراقي، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19-)، لندن، 6-8 حزيران2020.

10 - عمرو هاشم محمد، الاقتصاد العراقي بين جائحتين: والتداعيات الاقتصادية لفايروس كورونا المستجد، مجلة بحوث، مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية، المؤتمر الدولي التاسع (تداعيات فيروس كوفيد19-)، لندن، 6-8حزيران2020.

ثالثاً: التقارير

1 - جميع الاحصائيات واردة من جامعة جونز هوبكنز(JHU) بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية ومراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها في اوروبا ومنظمات الصحة المحلية.

2 - علي مرزا، العراق: الواقع والآفاق الاقتصادية، المؤتمر الأول لشبكة الاقتصاديين العراقيين، بيروت، 30 آذار- 1نيسان2013.

3 - كامل العضاض، هيكلية الاقتصاد العراقي والمسألة الريعية، عوائق أمام تحقيق تنمية مستدامة، المؤتمر الأول لشبكة الاقتصاديين العراقيين، بيروت، 30آذار1-نيسان2013.

4 - عبدالرحمن نجم المشهداني، اقتصاد العراق بين أزمة كورونا وانهيار اسعار النفط العالمية وتأثيراتها على الموازنة الاتحادية2020، مركز صنه السياسات للدراسات الدولية والاستراتيجية، اسطنبول، 3 أبريل2020.

رابعاً: الصحف

1 - ماجد السامرائي، العراق.. السياسيون أخطر من كورونا، صحيفة العرب، لندن، العدد 11631، 2020/2/28.

خامساً: المواقع الالكترونية

1 - أحمد بريهي علي، عجز الموازنة الحكومية وتمويلها في العراق: عرض مبسط، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/economicarti-cles/23223 ، 25/5/2020.

2 - أحمد الدباغ، العراق.. كيف تدهور القطاع الخاص وهل يمكن إنعاشه؟، نون بوست، على الموقع الالكتروني https://www.noonpost.com/content/35249, 15/12/2019.

3 - جميل عودة إبراهيم، الآثار الاقتصادية لفرض حظر التجوال، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/rights/22987، 25/4/2020.

4 - حامد عبدالحسين الجبوري، إدارة اقتصاد العراق بين المركزية واللامركزية، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/economicarti-cles/22974، 23/4/2020.

5 - حامد عبدالحسين الجبوري، كورونا في العراق: من التفاؤل إلى التشاؤم، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على موقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/economicarti-cles/23015، 27/4/2020.

6 - خالد عليوي العرداوي، كوفيد19 هل يدفع العراق نحو الهاوية، مؤسسة النبأ المعلوماتية، على الموقع الالكتروني https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/22911، 18/4/2020.

7 - سها جادو، كورونا تدفع بعراقيين أنهكهم الصراع في براثن الفقر، رويترز، على الموقع الالكتروني https://ara.reuters.com/article/idARAKBN22I1FO، 6/5/2020.

8 - الصحة العالمية: حكومة العراق تنفق على الرعايا الصحية أقل من دول فقيرة كثيرا، روداو، على الموقع الالكتروني: https://www.rudaw.net/arabic/middleeast/iraq/030320208، 3/3/2020.

9 - العراق وخطر تفشي وبـاء فيروس كورونا: التدابير والتداعيات والسيناريوهات، مركز الامـارات للسياسات، على الموقع الالكتروني، https://epc.ae/ar/topic/iraq-and-risk-of-spread-of-coronavirus-pandemic-measures-consequenc-es-and-scenarios 24/3/2020.

10 - لماذا سمي فيروس كورونا بـ«كوفيد 19» وماذا يعني؟، العربية CNN، على الموقع الالكتروني https://arabic.cnn.com/health/article/2020/02/28/covid-19-corona-vi-rus-meaning، 22/2/2020.

11 - وزارة الصحة العراقية، الموقف الوبائي اليومي للإصابات المسجلة لفيروس كورونا المستجد في العراق، على الموقع الالكتروني https://moh.gov.iq/index.php?name=News&-file=article&sid=1545510/6/2020.

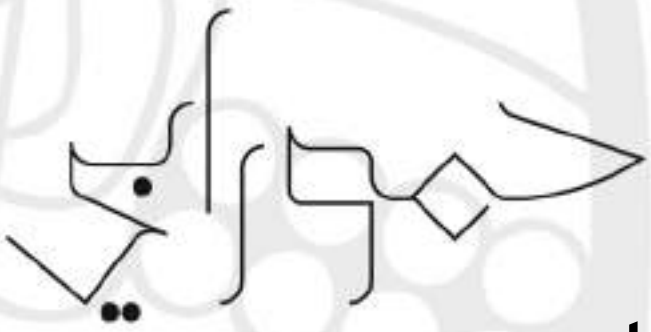

بحوث حمورابي

- **ضبط سلاح القبائل والعشائر العراقية.. الدوافع ـ الأساليب ـ النظرة المستقبلية** — حسن سلمان خليفة البيضاني
- **اتجاهات العراقيين نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني** — أ. د. محمود شمال حسن
- **أثر تقلبات سعر الصرف في الموازنة العامة للعراق** — صابرين عدنان والي و ايمان علاء كاظم
- **دور التعليم ومؤسسات التنشئة الاجتماعية في تدعيم ثقافة السلم الاجتماعي** — موسى بن قاصير و خالد بو منجل
- **انعكاسات تطور القوة المعلوماتية الامريكية في البيئة الداخلية** — أ.م.د دنيا جواد مطلك و أحمد عبد الجبار عبد الله
- **بلفور من اللاسامية إلى إنشاء وطن قومي لليهود** — م.مراد الزير

ضبط سلاح القبائل والعشائر العراقية
الدوافع ـ الأساليب ـ النظرة المستقبلية

الفريق الركن حسن سلمان خليفة البيضاني*
باحث من العراق

* مركز حراب للدراسات والبحوث

الملخص:

بات الامن المجتمعي في العراق مهددا بعد تفاقم ظاهرة ما اطلق عليها بـ (السلاح المنفلت)، ورغم ان هذه الظاهرة لم تكن مستحدثة او طارئة على مجتمع يجد في السلاح ما يعتبره استكمالا للرجولة واستظهارا للقوة. لذا تحاول هذه الدراسة ان تبحر قليلا الى الماضي للإجابة عن تساؤلات كثيرة غالبيتها تتعلق بدوافع هذه العلاقة الحميمية بين السلاح وبين الفرد العراقي، خاصة اذا ما ارتدى هذ الفرد لباس القبيلة والعشيرة، كما انها تحاول ان تجد اجابات محددة لمخاطر هذه الظاهرة سواء على الامن المجتمعي او على عموم مكونات الامن الوطني العراقي، وصولا الى إيجاد الية قابلة للتطبيق لضبط السلاح لدى القبائل والعشائر وليس سحبه او الاستحواذ عليه. فهذا الامر غير ممكن عمليا، متخذين من التجارب السابقة ـ رغم فشلها ـ دليلا على إيجاد صيغ توافقية، سواء امنية او عسكرية او قانونية او تشجيعية لتنفيذ ذلك، إضافة الى دور المرجعية الرشيدة في الارشاد والحث على إنجاح هذه المهمة الوطنية.

الكلمات المفتاحية: السلاح، العشائر العراقية، الأمن المجتمعي

Control The Weapons of Iraqi Tribes and Clans
Motives - Methods - Outlook

Hassan Salman Khalifa Al-Baidani
Researcher From Iraq
Hirab Center For Studies and Researches

Abstract:
Societal security in Iraq has become threatened after the exacerbation of the phenomenon called (the fugitive weapon), although this phenomenon was not new

or urgent for a society that finds in weapons what it considers to be a continuation of manhood and a manifestation of strength. Therefore, this study tries to sail a little into the past to answer many questions, most of which are related to the motives of this intimate relationship between arms and the Iraqi individual, especially if this individual wears the clothing of the tribe and the clan, as it tries to find specific answers to the dangers of this phenomenon, whether on community security or on the whole components of the Iraqi national security, leading to the creation of a viable mechanism for controlling weapons with tribes and clans and not withdrawing or seizing them. This matter is not practically possible, taking from previous experiences - despite their failure – an evidence of finding consensual formulas, whether security, military, legal or encouraging to implement this, in addition to the role of the rational clergy authority (Marje`ia) in guiding and urging the success of this national mission.

Key words: weapons, Iraqi tribes, community security

المقـدمــة:

لا يمكن انكار ما للقبائل والعشائر العراقية من أدوار حاسمة وحيوية وذات ابعاد سوقية في تحديد مسارات البناء المؤسساتي للدولة العراقية وترسيخ الأسس التي ينادى بها الجميع، والمتمثلة بالتعايش السلمي وتامين قدر كاف من الامن المجتمعي، إضافة الى ما تمثله تلك القبائل والعشائر من كتلة حرجة بالإمكان ان تعمل على تغيير مسارات الكثير من الاحداث. والتاريخ القبائلي والعشائري العراقي حافل بمثل تلك المتغيرات التي احدثتها تلك العشائر والقبائل. وبالعودة الى بدايات القرن العشرين فان ثورة النجف عام 1918، والثورة العراقية الكبرى عام 1920، وانتفاضة الفرات الأوسط في الأعوام 1934 وحتى 1938، وصولا الى الانتفاضة الشعبانية عام 1991، نجد ان كل تلك الاحداث الجسام كان للعشائر والقبائل الدور الأكبر تأثيرا في تحديد مساراتها. ولم يقتصر الامر على ذلك، بل ان عشائر الفرات الأوسط والجنوب قدمت الالاف من الشهداء على مذهب الحرية وهي تقارع ظلم الطاغية وجبروته ابتداء من عام 1968 وحتى سقوط الصنم، في ذات الوقت الذي وقفت فيه قبائل الدليم بكل ثقلها وامتداداتها لتجابه الطاغية فيما عرف بقضية اعدام الشهيد محمد مظلوم، في الوقت نفسه كان لقبائل الجبور، والتي تتسع امتداداتها لتشمل العراق من شماله الى جنوبه وقفتها الباسلة وهي تقارع الطاغية بعد اقدامه على اعدام خيرة شبابها في ما سمي حينها بمؤامرة النقيب سطم.

المنعطف الأكبر الذي أعاد للقبيلة والعشيرة العراقية مكانتها هو ما حصل حينما صدرت الفتوى المباركة في الخامس عشر من شعبان الموافق 13 حزيران 2014،

بعد اجتياح داعش للموصل واحتلاله للعديد من المدن العراقية وسيطرته على قرابة 40 بالمئة من الأراضي العراقية، حينها تحركت القبائل والعشائر العراقية بشيبها وشبابها لتسطر أروع الملاحم في اكثر من 57 معركة فاصلة مع الاوغاد أبناء بني امية، ولم يكن الامر يقتصر على من كان يقلد السيد السيستاني صاحب الفتوى ولا على عشائر وقبائل تمذهبت بالمذهب الشيعي، بل ان الذي حصل فاق التصور، فالجميع هب هبة واحدة ويكفي ان احد فروع قبيلة الدليم وهي عشيرة البونمر كادت ان تباد على يد داعش وهي تقاتل تلبية للفتوى المباركة، في ذات الوقت الذي كان فيه أبناء قبيلة الجبور من تكريت، وتقودهم الشهيدة اميمة، في مقدمة الصفوف لمقاتلة داعش. ومن هنا فقد اثبتت القبائل والعشائر العراقية عراقيتها الصميمية التي اريد لها ان ترتبط بالطائفية لكنها كانت اكبر بكثير من مخططاتهم.

العلاقة بين السلاح والرجل العشائري امر من الصعب ادراكه وفهمه، وفي هذا المجال يقول (كافن يونغ) مؤلف كتاب (العودة الى الاهوار)، عن علاقة الرجل الريفي العشائري بسلاحه: «انه يطالع بندقيته اكثر بكثير مما يطالع ما حوله حتى انه لا يعرف تفاصيل وجه زوجته بقدر ما يعرف تفاصيل بندقيته وسلاحه».[1] والسلاح مرتبط بالأساس بمورث لا يمكن ان يتجاوزه الزمن، فالرجل الريفي لا يكتمل الرجولة دون ان يكون قادرا على استخدام السلاح، وأول ما يفكر به الشباب منهم بعد مغادرته مرحلة الصبا وحتى اثنائها هو كيف يقتني سلاحه. ربما ذلك الخيار او الطموح يسبق كل طموحاته الأخرى المتعلقة بالامتلاك. اما صوت الرصاص ولعلعته فهي ليست مثار خوف لدى أبناء العشيرة والقبيلة، بل هي جزء من حياتهم اليومية التي غالبا ما تكون اصعب بكثير من حياة أبناء المدن، لذلك نجد ان مقياس قوة العشيرة او القبيلة تحسب بعدد (تفاكتها)، أي من يكونوا قادرين على حمل السلاح واستخدامه. ومن هنا فان الحديث عن اخلاء العشيرة من سلاحها يعتبر امرا خارج حدود المعقول، ولا يمكن لأي قوة ان تكون قادرة على ان تفعل ذلك. لذلك نحاول هنا في دراستنا هذه ان نجد افضل الخيارات التي يمكن من خلالها ضبط السلاح واستخداماته، وليس تجريد العشيرة او القبيلة من سلاحها.

(1) كافن يونغ، العودة الى الاهوار، مؤسسة المدى للطباعة والنشر، ط:2، بغداد، 2007، ص19.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هكذا دراسات في انها تسبر اغوار واقع امني مترد يحتاج الى معالجات واعية وجذرية وعملية بعيدا عن التنظير والاطر البيروقراطية التي لا تفلح في إنجاح مهمة محفوفة بالمخاطر كونها تطبق او تخاض في بيئة صعبة ومعقدة تتعامل مع الموروث وتجد في أدوات الدولة تهديدا لمكانتها.

إشكالية الدراسة: عانى العراق ويعاني من فوضى عارمة خلفتها جملة من المتناقضات

والتراكمات التي أسهمت بها العهود البائدة، إضافة الى ما خلفه التغيير الجذري في عام 2003 المتمثل بانهيار اركان الدولة العراقية من مستجدات افقدت الدولة قدرتها على التحكم بمفاتيح الامن المجتمعي، لا بل وحتى الامن الوطني. من هنا فان الإشكالية القائمة هي هل نحن قادرون كشعب ان نعي خطورة هذه الظاهرة؟ وهل ان أدوات الدولة وحدها كافية للوصول الى صيغ قادرة على ضبط السلاح في بيئة يصعب التعامل معها بالطرق التقليدية او مظاهر القوة وهي البيئة العشائرية والقبلية؟

فرضية الدراسة: تفترض الدراسة ان امنا مجتمعيا لا يمكن ان يقام اذا ما بقيت أدوات القوة المتمثلة بالأسلحة في وضع منفلت غير مسيطر عليها، وهذا الامر لن يتوقف عند الامن المجتمعي ومخرجات هذه الظاهرة، بل يتعدى ذلك لان تكون هذه الظاهرة جزء من مدخلات ذات تأثير سلبي على البناء المؤسساتي للأمن الوطني العراقي. من هنا فان الفرضية تذهب باتجاه حقيقة لا غبار عليها، وهي ان فوضى السلاح ستؤدي الى ما يمكن ان نسميه هشاشة الدولة امنيا.

محاور الدراسة: تمحورت الدراسة في العديد من المواضيع ذات الصلة بالظاهرة وطرق معالجتها، حيث جرى إيضاح طبيعة التكوين القبلي والعشائري في العراق، وشكل وطبيعة العلاقة القائمة بين الفرد وسلاحه، كذلك بيان ما للنظام السابق من افرازات أدت بمجملها الى استفحال هذه الظاهرة، والبحث في الدوافع والمسببات وما ينجم عنها من تأثيرات سلبية ذات طابع اجتماعي او تهديد قائم على مجمل الوضع الأمني، مع استعراض للتجارب السابقة وأسباب الإخفاق. في حين جرى التركيز خلال الدراسة وبشكل موسع على الطرق والأساليب الكفيلة بضبط السلاح العشائري مع التأكيد على دور المرجعية في ذلك، ولكون أسواق السلاح باتت ظاهرة ملموسة ومعلنة، فقد حاولت الدراسة وضع معالجات عملية للحد منها وتحجيمها، وأخيرا فانه- واستكمالا للدراسة- لابد من استعراض لمعالجات استراتيجية الامن الوطني لهذه الظاهرة كونها تمثل التوجه الحكومي العام للحد منها، محاولين في ختام الدراسة ان نصل الى جملة من الاستنتاجات بنيت عليها مجموعة توصيات تتعلق بمجمل الحالة التي جرت دراستها.

أولاً- طبيعة العشائر العراقية وعلاقتها بالتسليح

لنعود الى عام 1933 حينما وجه الملك فيصل الأول رسالته المشهورة الى السياسيين والنخبة من الشعب العراقي حيث قال: (في الوقت الذي تمتلك فيه العشائر العراقية قرابة 300 الف بندقية لا تملك الدولة اكثر من عشرة الالاف بندقية).[2] من هنا نجد

(2) نقلاً عن: طارق العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة، مؤسسة ثائر العصامي، ط:1، بغداد، 2009، ص21.

ان العلاقة بين السلاح والعشيرة ليس علاقة عابرة، ولا مجرد علاقة تكميلية لمجرد الامتلاك، بل هي جزء من هيبة تلك العشيرة وقوتها ومكانتها بين العشائر والقبائل، هذا اذا ما نظرنا إلى السلاح على أنه مظهر من مظاهر الحياة الريفية والبدوية التي اقتضت ان يكون للسلاح دور متقدم مع باقي الأدوار التي تلعبها المقتنيات الفردية والعامة. وحاولت القوى السياسية التي مرت على حكم العراق ان تغير من تلك العلاقة، فالأتراك ورغم بدائية الأسلحة التي كانت تمتلكها العشائر، وعلى امتداد حكمهم للعراق، حالوا بشكل او باخر تقنين موارد تلك الأسلحة وحصرها، الا انهم لم يفلحوا رغم الحملات القسرية التي شهدتها مناطق الفرات الأوسط لجمع الأسلحة والاستيلاء عليها، خاصة اثناء ثورة الحلة التي أدت الى حصول القطيعة بين العشائر العربية والأتراك بعد ان كانوا يقاتلون في ذات الخندق اثناء تقدم الجنرال مود وقواته الإنكليزية والهندية صوب بغداد في الاعوام من 1914 الى عام 1917، إضافة الى ما حصل بعد ثورة العشرين وحملات ياسين الهاشمي لتجريد القبائل من الأسلحة في الأعوام من 1934 الى 1938 بعد صدور قانون التجنيد الالزامي[3].

(3) العراق وقائع واحداث، القسم الأول 1914ـ1958، المركز العراقي للمعلومات والدراسات، ط:1، بغداد، 2010، ص157.

اما عن عسكرة المجتمع، ومن ضمنها القبائل والعشائر، فان هذه الظاهرة برزت معالمها واثارها بشكل جلي ومؤثر منذ بدايات القرن الماضي، حيث تحولت المؤسسات المدنية العاملة في مختلف ميادين الحياة العراقية- وبحسب رغبة اغلب الأنظمة السياسية التي حكمت العراق وتسلطت على مقدراته- الى مؤسسات مؤدلجة لمقاومة أي فكر مناوى لفكرها، حتى وان اقتضى الامر استخدام القوة، إضافة الى ما تركته ترسبات الثقافات السائدة المبنية على نظرية الخطر الدائم والمتربص المحدق، وكذلك الأوضاع المحيطة بالمجتمع الذي لم تفارق مخيلته صورة الجندي المقاتل بسلاحه ونطاقه وبندقيته، حيث بات المجتمع يتعايش مع نمط حياة المجتمع المحارب او المجتمع الحربي، وبذات مفاهيم ومظاهر العسكرة والتسلح ببعديها الثقافي والمادي التي أخذت تنمو بشكل متسارع وتمحو الصورة النمطية للمجتمع المسالم الى صورة أخرى تتناسب والطبيعة البدوية والريفية حيث الغزو والتسلح خشية ظهور العدو المرتقب او العدو المتخيل.

يضاف الى ذلك فان للبيئة الثقافية والحضارية للعراق اثر بالغ في مجتمعه الداخلي، وخاصة القبائل والعشائر. فما تزال ثقافة الفارس والسلاح والنصر وردع العدو واستعراض القوة والغزوات وغيرها من الرواسب الحضارية المحركة للوجدان العشائري والقبائلي تحرك بداخلهم التوق نحو التشبه والتقليد وتبعث بداخلهم الحماسة كي يكونوا صلة وصل بين ماض يضنون انه مجيدا وحاضر يتوجب ان

يكون بمستوى ما يطمحون، ومستقبل تكون فيه هذه المظاهر سائدة بذات القوة، لذلك نجد ان اغلب القبائل والعشائر تشجع الجيل الجديد من أبنائهم لاقتناء السلاح وتعلمهم أصول استخدامه، لا بل ان من اكثر العطايا والهدايا مدعاة للفخر هي التي يكون للسلاح فيها النسبة الأكبر.

ان اغلب القبائل والعشائر تشجع الجيل الجديد من أبنائهم لاقتناء السلاح وتعلمهم أصول استخدامه

ثانياً- افرازات النظام السابق

لا يمكن مقارنة أي نظام في العالم مع نظام البعث بجمهوريتيه الثانية (1963)، والرابعة (1968-2003)، من حيث هوسه وانشغاله بالعسكرة والتسليح الا النظام النازي في المانيا الهتلرية، فـ (البعث)- ومنذ قيامه في 7 نيسان 1947 في تلك المقهى المنزوية في أحد ازقة دمشق (مقهى الرشيد الصيفي) وحتى سقوطه المدوي في ساحة الفردوس في 9 نيسان 2003 - وهو مجبول بروح المغامرة والتسلح والاستخدام المفرط للسلاح حتى ان المتخيل شعرا منهم وصف الوطن وصفا داميا تكاد صورة الدماء تنزف بغزارة منه حين قال:

وطن تشيده الجماجم والدم تـتهــدم الدنيــا ولا يـتهــدم

من هذا المنطلق الدموي يمكن ان نرسم صورة لافرازات النظام السابق في مجال استباحة السلاح في المجتمع العراقي، اذ حاول هذا النظام- وبكل قوة- ان يحول العراق باسره الى ثكنة عسكرية، وان يصبح كل بيت عبارة عن مشجب للأسلحة، وذلك من خلال جملة من الإجراءات والفعاليات التي عززت عسكرة المجتمع واحالته الى ما يشبه الجيش غير النظامي:

أ - الحرس القومي في جمهورية البعث الأولى (1963) كان بمثابة البداية لعسكرة المجتمع وانتشار السلاح، رغم ان الشيوعيون في مقاومتهم الشعبية كانوا سباقين في هذا المجال ابتداء من عام 1958.

ب - بدايات تأسيس البعث رافقها تأسيس لما سمي حينها (منظمة حنين) تلك البؤرة الإرهابية التي اخذت على عاتقها مهمة اغتيال الشيوعيين والإسلاميين والمعارضين لفكر البعث واشترطت على كل بعثي ان يمتلك سلاحا.

ج - جاء البعث بعد عام 1968 بتجربة الجيش الشعبي والذي وصل تعداده حتى نهاية عام 1990 الى قرابة المليونين وثلاثمائة وستون ألف، وجميع هؤلاء مسلحين ويحتفظون بأسلحتهم في منازلهم، أعقب ذلك إضافة تشكيل جديد

من المتقاعدين من الضباط وضباط الصف أطلق عليه (تشكيل النخوة) وهو الاخر سلح منتسبيه بالأسلحة الخفيفة.

د - عقب انسحاب القطعات العراقية من الكويت وحصول الانتفاضة الشعبانية تركت الالاف من المشاجب الخاصة بالوحدات والتشكيلات العسكرية في ساحة العمليات الوسطى والجنوبية وجرى الاستيلاء عليها من عموم المواطنين. والتقديرات- ورغم سريتها حينها- لكنها تحدثت عن أكثر من مليوني قطعة سلاح قد فقدت وبمختلف العيارات.

هـ - التجربة الأكثر فشلا هي تجربة (جيش القدس) الذي شكل في شباط 2001، والذي بلغ تعداده 22 فرقة قلصت لاحقا الى 18 فرقة، في حين وصل العدد الإجمالي للمنضوين تحت تشكيلات هذا الجيش قرابة مليون ونصف جميعهم زودوا بالأسلحة الخفيفة، وكان طموح صدام ان يصل العدد الى ثلاثة ملايين، والغالبية العظمى من أسلحتهم بقيت في البيوت او جرى بيعها.

و - أصدرت قيادة قطر العراق لحزب البعث المنحل قراراً بان يسلم كل بعثي قطعة سلاح يحتفظ بها في منزله، وقد جرى ذلك ابتداء من عام 1998، وبما ان عدد المنتمين الى البعث ممن هم بدرجة عضو يبلغ قرابة المليون، فقد اضيف هذا العدد الى اعداد الأسلحة الموزعة او المفقودة من معسكرات الجيش سابقا.

ز - ضمن سياقات التكريم المعتمدة في ظل النظام السابق هو ان يمنح المكرم قطعة سلاح، وإذا ما عدنا لأعداد المكرمين بأنواط (الشجاعة) حينها، نجد ان العدد يزيد على النصف مليون، وهؤلاء أيضا اضافوا الى الاعداد السابقة اعداد جديدة.

ح - صدام نفسه، وضمن ما كان يعانيه من ارهاصات نفسية تجاه فئات المجتمع، وخاصة الأكثر رفعة ونسباً ووجاهة اجتماعية منه، حاول خلق ما اطلق عليه حينها (شيوخ التسعينات)، تلك الفئة التي منحها صدام الكثير، ومنها انه اصدر أمرا بتسليح العناصر المنضوية تحت رايات هؤلاء الشيوخ من المنتفعين، ولا يمكن تحديد العدد المحتمل لهم، لكنهم كانوا يشكلون اعدادا كبيرة، خاصة وان هذه الظاهرة تصاعدت اثناء الحصار على العراق، لذلك فان اعداداً كبيرة من المحتاجين التجأت الى أولئك الشيوخ المزعومين بغية الحصول على المرتبات الموعودة، والتي كانت حينها لا تسد الرمق.

ط - الطامة الكبرى هي السقوط المريع للنظام في 9 نيسان 2003، والذي نجم

عنه استباحة كاملة لكل أسلحة وتجهيزات الجيش العراقي بمختلف مسمياته. ورغم ان التقديرات الأولية تتحدث عن أربعة ملايين قطعة سلاح خفيفة ومتوسطة جرى نهبها والاستيلاء عليها، الا ان الواقع يشير الى اكثر من ذلك، خاصة ان مستودعات التاجي وابي غريب وتكريت والشعيبة وغيرها كانت تحتوي على عشرات الاف من الأسلحة، عدا ما كان لدى الوحدات والتشكيلات العسكرية، إضافة الى ما كانت تحتويه (مستودعات المعادة) في التاجي، والتي تكدست فيها ملايين من قطع السلاح المستبدل او المستولى عليه او الذي نفذ عتاده. كل تلك الاعداد كانت مباحة في ظروف انفلات امني كامل كان الامريكان يشجعون على استمراره لأطول فترة ممكنة لغايات منها ان تكون هذه الأسلحة أداة للاقتتال الطائفي مستقبلا.

ثالثاً- الدوافع والمسببات لتصاعد التسلح بعد السقوط

تختلف دوافع التسليح للعشائر والقبائل بعد سقوط النظام عن الدوافع والمسببات التي أدت الى تصاعد ظاهرة التسلح قبل السقوط، والتي كان النظام السياسي في العراق- ووفق نظرياته التي تؤمن بعسكرة المجتمع- هي التي تدفع باتجاه رفع وتيرة التسليح. لكن ما حصل من متغيرات جوهرية تكاد ان تكون شاملة وعامة على عموم الثوابت السائدة في المجتمع العراقي، هي التي دفعت باتجاه تصاعد وتيرة التسليح مجددا بين العشائر والقبائل. ومن اهم تلك الدوافع والمسببات ما يلي[4]:

(4) حسن سلمان البيضاني، العراق وجيشه- الواقع الديمغرافي وتأثيره على بناء الجيش، المكتبة العلمية، ط:1، بغداد، 2020، ص177.

أ - الانفلات الأمني الذي يمكن اعتباره من أكثر المبررات والدوافع التي أدت الى تصاعد وتيرة اقتناء الأسلحة والاحتفاظ بها لدى العشائر والقبائل.

ب - غياب الدولة وأجهزتها الأمنية من الساحة أدى الى الشعور بالحاجة الى الجماعة أكثر من أي وقت مضى. وبالتأكيد فان الجماعة المتمثلة بالعشيرة او القبيلة لابد لها من ان تمتلك مقومات القوة لكي تحمي افرادها، والمعروف ان التسليح يقع في مقدمة تلك المقومات.

ج - غياب القانون والرادع القانوني الذي أدى الى ان المواطن لم يجد سبيلا لحماية نفسه وعائلته وممتلكاته سوى السلاح، والسلاح وحده قد لا يكون ذو فائدة مالم يقترن بالفعل الجمعي المتمثل بالقبيلة او العشيرة.

د - الانتشار غير المسبوق للأسلحة المعروضة للبيع او حتى للاستيلاء نتيجة الانهيار الحاصل بالمنظومة الأمنية، سهل والى حد بعيد قدرات الافراد،

وبالتالي العشائر والقبائل، من اجل الاحتفاظ بأكبر الاعداد والكميات من الاعتدة والأسلحة.

هـ - أسهم الاحتلال الأمريكي في زعزعة ثقة المواطنين بالدولة حينما بدأ الاحتلال بالتحرك لاحتواء عشائر وقبائل بذاتها وأشـرف على تسليحها وتجهيزها كما حصل في المناطق الغربية والموصل وكركوك، مما دفع عشائر وقبائل باقي المناطق بالعمل من اجل خلق حالة من التوازن في هذا المجال.

أسهم الاحتلال الأمريكي في زعزعة ثقة المواطنين بالدولة

و - ارتفاع المستوى المعاشي هو الاخر كان دافعا لغرض شراء واقتناء الأسلحة بعد أن كان من الصعوبة بمكان- خاصة في ظل الحصار- شراء السلاح من قبل الطبقات الفقيرة.

ز - العودة الى أحضان القبائل والعشائر في مرحلة ما بعد السقوط كظاهرة اجتماعية بعد ان بات المتحكم بحسم الأمور والقضايا والمشاكل القائمة هو العرف العشائري نتيجة التراجع الكبير للأدوات والضوابط القانونية في اقناع طرفي النزاع بأنهاء حالة الاختلاف، وهذا الامر يحتاج بكل تأكيد الى ان يكون الفرد فاعلا في عشيرته وقبيلته، لذلك لابد من ان يتسلح ليصبح عنصر قوة مضاف للعشيرة والقبيلة.

ح - الصعود غير المتوقع للمليشيات والمجاميع المسلحة، والتي فرضت قوتها في المجتمع امام تراجع قدرات المحتل لاحتواها او تحجيمها، وهذه الحالة انبثق عنها امران أساسيان يتعلقان بتسليح العشائر:

1 - ان الانتماء الى هذه التنظيمات يتطلب الحصول على سلاح في الغالب من قبل الفرد المنتمي اليها وهذا ما زاد من حجم القوة المسلحة في المجتمع.

2 - في حالات كثيرة، وخاصة في المناطق المختلطة، بات السلاح ضروريا للوقوف بوجه بعض المجاميع المسلحة المنفلتة، والتي لا رادع أمني يمنعها من الاعتداء على المواطنين العزل.

رابعاً- التأثيرات السلبية للتسليح على المجتمع العراقي

يشكل انتشار السلاح بحد ذاته خطرا جسيما على المجتمع مهما كانت درجة انضباطه والتزامه القانوني، فكيف الحال امام انتشار مكثف للسلاح يرافقه في ذات الوقت ضعف عام في درجة الانضباط الاجتماعي، خاصة في ظل غياب

قوة الدولة وتحكمها بالأمن المجتمعي. ان اغلب الدول التي مرت بمخاضات عسيرة نتيجة الحروب او الصراعات الداخلية عانت ومن وطأة الانتشار غير المنضبط للسلاح، وادت تلك الظواهر الى بروز ظواهر اكثر خطورة حتى من الصراعات الداخلية والحروب نفسها تمثلت في نمو سريع وفتاك للجريمة المنظمة وارتفاع وتائر الجرائم الجنائية.

ان اغلب الدول التي مرت بمخاضات عسيرة نتيجة الحروب او الصراعات الداخلية عانت ومن وطأة الانتشار غير المنضبط للسلاح

ان تحديد التأثيرات السلبية لانتشار الأسلحة بشكل غير منضبط بين افراد المجتمع يتطلب قبل كل شي معرفة قدرة الدولة على الحد من هذه الحالة التي تتصاعد بين الحين والأخر تأثيراتها لتضاف تأثيرات جديدة قد لا تكون معروفة او محددة مسبقا، ومع ذلك فان من أكثر التأثيرات السلبية لهذه الظاهرة على عموم المجتمع العراقي ما يلي:

أ - ضياع هيبة الدولة، إذا ان امتلاك المواطن للسلاح غير المرخص والمنفلت يجعل أجهزة الدولة في وضع صعب، فهي امام خيارين اما المواجهة وسحب السلاح، او غض النظر، وكلا العملين فيهما من المجازفة، فالأول قد يؤدي الى عواقب وخيمة، اما الثاني فهو اسقاط لشرعية وهيبة الدولة.

ب - هذه الظاهرة جعلت المواطن غير المسلح في وضع صعب، فلا الأجهزة الأمنية قادرة على تامين قدر كاف من الامن الاجتماعي للمواطن، ولا الموطن قادر على الدفاع عن نفسه، مما يضطره الى اللجوء لشراء السلاح دفاعا عن نفسه.

ج - الاستخدام الاهوج للأسلحة اثناء المناسبات ومنها تشييع الموتى او الشهداء وفي حفلات الزفاف وحتى وصل الامر في العودة من الحج او الخروج من المستشفى او السجن، جعل المواطنين عرضة لحوادث إطلاق النار التي تسببت في ازهاق الالاف من الأرواح البريئة.

د - التذمر المتصاعد اجتماعيا في الحالات التي يتوجب فيها التعبير عن الفرح، ومنها على سبيل المثال فوز المنتخبات الوطنية او أعياد راس السنة او غيرها من المناسبات، حيث يعبر عن الفرح بأطلاق الرصاص، وبكثافة غير معهودة، تتسبب في الغالب بقتل العشرات في كل مناسبة.

أدت ظاهرة انتشار السلاح الى صعوبات امنية جمة اثناء عمليات مكافحة الإرهاب

هـ - أدت ظاهرة انتشار السلاح الى صعوبات امنية جمة اثناء عمليات مكافحة الإرهاب، فكانت القطعات والتشكيلات تعاني عند

قيامها بعمليات التفتيش للمنازل وعثورها على الأسلحة التي يتوجب مصادرتها قانونا، حيث غالبا ما تحصل مشاكل كبيرة، وقد يتدخل بعض المتنفذين سياسيا او عسكريا او دينيا لإعادة الأسلحة المستولى عليها الى أصحابها.

خامساً- التسليح العشائري وتأثيره على الامن الوطني والامن المجتمعي

لم تبرز تأثيرات التسليح العشائري بعد السقوط فقط، بل كانت حاضرة وبقوة في ظل النظام السابق رغم ما يمتلكه من أدوات القوة التي يصعب مجابهتها، ولعل سائل يسال كيف للعشائر او القبائل ان تكون قادرة على الظهور بتسليحها العلني اما جبروت نظام قسري من الصعوبة بمكان مواجهته بالقوة المقابلة؟ وهنا نجد من الضروري إيضاح مسائلة مهمة في فلسفة النظام الصدامي بتعامله مع العشائر والقبائل، فقد وجد ان أي مجابهة مهما حشد لها من قوة لم تكن في صالحه ليس لأنه لا يمتلك أدوات القمع اللازمة، بل لان العشائر والقبائل العربية اثبتت انها صعبة المراس، وانها وان رضخت للقوة لفترة فأنها لا يمكن ان ترضخ الى ما لانهاية، لذلك فهو- أي النظام- تعامل بعقلانية مع الحالة، لكنها عقلانية شيطانية، اذ زج بشيوخ التسعينات عله يستطيع احداث شرخ في البناء العشائري، كما انه وظف قوة الدولة من ان تكون جهة مسؤولة عن تدقيق الانساب من خلال إيجاد دائرة مرتبطة بأعلى مستوى قيادي في الدولة تتخصص بتحديد الانساب ومصادقتها هي دائرة العشائر التي ارتبطت برئاسة الجمهورية ووضع على راس هرمها احد المقربين من صدام من عائلة المجيد (ارشد التكريتي).

من هذا المنطلق فان القبائل والعشائر العراقية لم تغير سلوكها او ميولها بعد السقوط فيما يتعلق بجمعها واستحواذها على الأسلحة، لا بل ان الامر اصبح اكثر اتساعا حيث تبارت العشائر، وخاصة عشائر الجنوب وقسم من عشائر الفرات الأوسط، من اجل ان تملك اكبر ترسانة أسلحة ومن مختلف العيارات، حيث غالبا ما تستعرض قوتها ومقدار الأسلحة التي تمتلكها من خلال ما يطلق علية (العراضة)، وهي واحدة من العادات العشائرية التي يجري فيها استعراض لأفراد العشيرة المسلحين مع بيارغ العشيرة والعشيرة المقابلة، ويتخلل ذلك في اغلب الأحيان اطلاق نار كثيف. وهكذا نجد ان التسليح العشائري بدا بالتعاظم الى الحد الذي لا يمكن مقارنة ما تمتلكه القوة العسكرية او الشرطوية في منطقة ما مع ما يمتلكه مسلحي العشيرة او عشيرة واحدة في تلك المنطقة.

يمكن اجمال تأثيرات التسليح العشائري على الامن الوطني والامن المجتمعي بما يلي:

أ - أصبحت سطوة العشائر والقبائل أكبر بكثير من سطوة وقدرات الدولة العسكرية، ليس على المستوى السوقي بل على المستوى المناطقي.

ب - بات الامن الوطني مهددا إذا ما ارادت الدولة تنفيذ امر معين او التدخل لاتخاذ اجراء معين في منطقة عشائرية او قبائلية، حيث سيكون رد الفعل المقابل رداً عسكرياً محكماً بحكم ترسانة الاسلحة التي تملكها تلك العشائر والقبائل.

ج - غالبا ما تصطدم الاحكام القانونية الصادرة من المحاكم على اشخاص في مناطق عشائرية بعدم إمكانية التنفيذ كون القوة المسلحة العشائرية ستتحول لتكون بمثابة قوة لحماية الشخص المطلوب قانونا.

د - لم يعد الاحتكام للمنطق او الجاه او الحل العشائري قائما في اغلب المنازعات العشائرية، وخاصة في محافظات البصرة والعمارة وأجزاء من الناصرية، إذ حالما تحصل المشكلة يتصاعد الرصاص بمختلف عياراته دون اتاحة الفرصة لأي حل عقلاني بعيد عن جعجعة السلاح.

هـ - الامن المجتمعي بات مهددا بسبب الانتشار غير المسبوق للأسلحة، خاصة وان الفئات العمرية التي تتعامل مع الأسلحة في الغالب ليست مؤهلة او متدربة على الاستخدام الصحيح لتلك الأسلحة مما يعرض الاخرين للخطر، ولا يمكن منع مثل هكذا ممارسات لأنها في الغالب تكون ممارسات ذات عقل جمعي تمثل العشيرة او القبيلة، وان منعها يعتبر وفق العرف العشائري السائد بالوقت الحاضر انتقاص من قيمة تلك العشيرة او القبيلة.

الامن المجتمعي بات مهددا بسبب الانتشار غير المسبوق للأسلحة

و - الأكثر تأثيرا على الامن الوطني هو نوعية الأسلحة التي تمتلكها العشائر والقبائل من ناحية المديات والعيارات والقدرة التدميرية. وفي الواقع ان غالبيتها أسلحة هجومية ذات قدرات تدميرية عالية كالهاونات والصواريخ والرشاشات الثقيلة، وبالتالي فهي ليست ضمن ما يمكن ان يوصف على انه سلاح شخصي لدرء الخطر، بل انها أقرب ما تكون الى منظومة أسلحة الفوج او اللواء في حالة الدفاع او الهجوم.

سادساً- التجارب السابقة في مجال ضبط التسليح في المجتمع

كثيرة هي محاولات الدولة العراقية منذ تأسيسها وحتى الان للقيام بمثل هذه المهمة، الا ان ما نجح منها لا يمكن ان يكون مثالا يحتذى به لأسباب كثيرة اهمها

ان لكل مرحلة ظروفها وطبيعتها الخاصة، اضافة الى التباين الشاسع في قوة الدولة وقوة أدوات تنفيذها بين حقبة وأخرى، ناهيك عن ان العشائر والقبائل ذاتها لم تعد كما كانت من قبل من حيث التماسك العشائري والقبائلي وهيمنة راس العشيرة او القبيلة، أي ان الصوت المسموع او المؤثر في القبيلة او العشيرة الواحدة تشظى الى عدة أصوات او اكثر من ذلك بكثير، مما جعل أوامر او توجيهات الراس ليست ملزمة للجميع، امام كل هذا إضافة الى أسباب أخرى، فان إعادة معالجة هذه الظاهرة وبذات الأدوات السابقة امر محفوف بالفشل، لذلك علينا ان نبحث عن أساليب جديدة غير التي جربت ولم تنجح او نجحت نجاحا محدودا ومن ثم عاودت ذات المعضلة للظهور وبقوة اكبر.

ان إعادة معالجة هذه الظاهرة وبذات الأدوات السابقة امر محفوف بالفشل

وللتذكير فقط فان من اهم محاولات الدولة في هذا المجال كانت:

أ - في عام 1937 قامت قوة من الجيش تساندها القوة السيارة المشكلة حديثا بحملة لجمع الأسلحة من عشائر الفرات الأوسط المنتفضة حينها ضد حكومة ياسين الهاشمي، الا ان المحاولة جوبهت بالرفض مما اجبر الملك على استصدار امر بإيقافها[5].

(5) العراق وقائع واحداث، مصدر سابق، ص204.

ب - بعد فشل حركة الضباط الأربعة في مايس عام 1941عادت الحكومة لذات التجربة، الا أنها هي الأخرى فشلت ولم تحقق الغايات التي حددت لها وهي إعادة الأسلحة التي جرى سلبها من القطعات المنسحبة بعد معارك خاسرة مع البريطانيين.

ج - بعد انتفاضة عام 1948 أصدرت الحكومة أوامر بجمع الأسلحة لقاء مبالغ، ولكن هذه المحاولة كسابقاتها لم تجد من يلبيها.

د - في العهد الجمهوري الأول (1958 – 1963) وحتى جمهورية البعث الأولى (1963) لم تكن هنالك أي محاولات جادة حول سحب الأسلحة من المواطنين او تحديد استخدامها، بل بالعكس ازداد انتشار السلاح في المجتمع بعد ان جرى اعتماد تنظيمين شبه عسكريين هما المقاومة الشعبية والحرس القومي كما بينا سابقا.

هـ - بعد احداث ما سمي حينها (جرائم أبو طبر) عام 1973 حاول البعث في جمهوريته الثانية ان يغتنم الفرصة للقيام بما يشبه الإحصاء السكاني في عموم

العراق مع التأكيد على الأسلحة ان وجدت، وقد جرى لاحقا سحب الغالبية منها وإعطاء اجازات حيازة محدودة للبعض.

و - اثناء الحملة المسعورة التي قام بها نظام البعث على تنظيمات حزب الدعوة ابتداء من عام 1977 وحتى بدء الحرب العراقية الإيرانية، جرت الكثير من المحاولات لغرض جمع الأسلحة من المواطنين ونجحت في البعض منها من الاستيلاء على اعداد كبيرة، خاصة وان التنظيم الحزبي للبعث كان بمثابة العيون الاستخبارية للتبليغ عن تواجد الأسلحة.

ز - في 7 مايس 1982 أصدر مجلس قيادة الثورة المنحل القرار رقم 570 لسنة 1982 والذي نص على معاقبة من يطلق العيارات النارية من سنة واحدة الى ثلاثة سنوات في المناسبات العامة داخل المدن والقرى والقصبات دون ان يكون مجازا بذلك من قبل السلطات المختصة، وحقيقة الامر ان سبب صدور هذا القرار هو كثرة الضحايا اثناء الحرب وقيام ذويهم وعشائرهم بالرمي اثناء توديعهم الى مثواهم الأخير[6].

(6) طارق حرب، القرارات الصادرة من مجلس قيادة الثورة المنحل، المطبعة القانونية، ط1، بغداد، 2011، ص18.

ح - بعد الانتفاضة الشعبانية جرت العشرات من المحاولات، خاصة في المناطق المنتفضة، للبحث عن السلاح وجمعه، وكانت هذه العملية تجري كأجراء روتيني عسكري أمنى بين الحين والأخر حيث تطوق المدن او القرى ويجرى التفتيش مع الصباح الباكر.

سابعاً- الطرق والأساليب الكفيلة بضبط التسليح العشائري

في البدء لابد من التأكيد على مسألة في غاية الأهمية، الا وهي تحديد المهمة المطلوبة، حيث ان هنالك فرق شاسع جدا بين سحب الأسلحة من العشائر وافراغها من قدراتها القتالية التي اثبتت أهميتها الكبيرة ابان تلبية نداء المرجعية (الجهاد الكفائي)، وبين عملية ضبط استخدام الأسلحة، وهذا ما يجب ان يعول عليه. فالفرق بين كلا الحالتين كبير جدا، وتداعيات واثار أي منها تختلف عن الأخرى، لذلك نعول هنا على الضبط كأجراء صحيح وليس على سحب الأسلحة.

نعول هنا على الضبط كأجراء صحيح وليس على سحب الأسلحة

من هذا المنطلق نجد ان من الضروري والحتمي ان يتم تحديد المهمة او الغاية التي تبنى على اساسها الإجـراءات المطلوبة لتنفيذها. ويمكن ان تحدد المهمة او الغاية بما يلي: (ضبط استخدام الأسلحة من قبل القبائل والعشائر وبالطرق التي تتماشى مع روح

القانون والأعراف القائمة وتوجيهات المراجع، مع الاحتفاظ بالسلاح العشائري لدى مالكيه وفق ضوابط محددة، وبما يتماشى مع تحقيق الامن المجتمعي والحفاظ على الدور الجهادي والوطني للقبائل والعشائر العراقية ومساهمتها الخلاقة في ترسيخ ركائز الامن الوطني العراقي).

يمكن ان نقسم الإجراءات المطلوبة لتنفيذ الغاية او المهمة الى ما يلي:

أ- الإجراءات القانونية

أولا: إن السياسة التشريعية التي تهدف إلى الحد من الظاهرة تمثل خطراً على الإنسان بأي شكل من الأشكال في نفسه أو ماله أو مجتمعه، وينبغي ان تحظى بدراسة متكاملة تمكن من تفادي الأضرار أو التقليل منها إلى الحد الأدنى، وتنظيم حيازة السلاح أو استعماله في العراق تكفل بتنظيمها المشرع العراقي في قانون الأسلحة رقم (51) لسنة 2017.[7]

(7) الوقائع العراقية، العدد4439، 2 اذار 2017.

ثانيا: بيد ان المعالجة جاءت أقل ما يقال عنها انها غير متوازنة وقاصرة عن المنع لهذه الظاهرة والحد من النتائج التي أفضت إليها، فالقانون حدد الجهات التي تمنح الإجازة بحمل السلاح وسماها سلطة الإصدار، وهي تتمثل بوزير الداخلية أو من يخوله، وفي المادة السادسة حددت شروط الإجازة وهي تتمثل في (الجنسية بان يكون عراقيا، والعمر بان يكمل (25) سنة من عمره، وبان يكون قويم الأخلاق وحسن السمعة والسلوك، ولم يسبق ان حكم عليه بجناية غير سياسية أو جنحة مخلة بالشرف، وشرط الصحة بان لا يكون مصاباً بعوق بدني أو مرض عقلي أو نفسي، وأخيراً ان يكون مؤهل فنياً لحمل السلاح).

ثالثا: استثنى المشرع من أحكام الإجازة وفق ما ورد بالمادة (14) كل من (رئيس الجمهورية ونوابه، رئيس مجلس النواب ونائبيه وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء ومن هم بدرجتهم، رئيس مجلس القضاء الأعلى والقضاة وأعضاء الادعاء العام، أعضاء السلكين الدبلوماسي والقنصلي العاملين في العراق وفقاً لقاعدة المقابلة بالمثل)، كما ان القانون أتاح لضباط القوات المسلحة والأجهزة الأمنية والاستخبارية بما فيها الحشد الشعبي إمكانية حمل السلاح بوثيقة مجانية يصدرها الوزير المعني، وليس فيما تقدم أي غرابة، ولكن المستغرب ان البند رابعاً من المادة الرابعة عشر سمح للضباط ممن هم برتبة مقدم فما فوق وأعضاء مجلس النواب والوزراء بالاحتفاظ بالوثيقة المجانية وتعد بمثابة إجازة دائمة لحيازة وحمل السلاح الناري، والسؤال ماذا عن القضاة وأعضاء الادعاء العام؟؟.

رابعا: السؤال الأكثر إلحاحاً لماذا الاحتفاظ بالنسبة للوزراء والنواب بالإجازة مدى الحياة وهم أصبحوا مواطنين عاديين ممكن ان يحصلوا على الإجازة من وزير الداخلية شأنهم شأن أي مواطن أخر؟ والسؤال الأخر كيف سمح المشرع العراقي لنفسه أن يجعل الإجازة جزءً من التركة؟ إذ إن الفقرة (ب من البند رابعاً) قضى بانتقال الوثيقة المجانية التي هي بمثابة الإجازة الدائمة إلى أكبر الأولاد إن توافرت في الولد شروط حمل السلاح. وهل يعقل أن يأتي المشرع بمثل هذا الحكم؟ فالفقه الإداري يجمع على أن القرارات الإدارية، ومنها قرارات الإجازات، لا يمكن بحال من الأحوال أن تؤبد، بل هي من القرارات المستمرة التي يعاد النظر بها أو تلغى في أي وقت.

خامسا: لعلنا لا نخطأ التوصيف إن قلنا إن النواب في الدورة الثالثة من دورات مجلس النواب العراقي تفننوا في خلق الامتيازات الخرافية لهم ولذريتهم، ومنها ما تقدم. وهذا ما نصطلح عليه باستغلال السلطة والنفوذ. ليس هذا وحسب، بل إن إعادة النظر بالقوانين، ومنها قانون الأسلحة رقم (13) لسنة 1992، انطوى على تخفيف للعقوبات بحق المتاجرين بالأسلحة النارية، حيث جرى اعتبار الفعل المرتكب بحيازة السلاح بدون ترخيص جنحة وليس جناية. وهذا بحد ذاته يعد إنعطافة سلبية من شأنها أن تشجع البعض على هذه الأفعال الخطيرة، وعند التذكير بما قدمنا أعلاه حول سلوك بعض البرلمانيين، والذي انبرى العديد من النواب والمسؤولين لتبريره والتذرع بمختلف الذرائع لتسويغ الفعل المخالف للقانون، بل إن بعض وسائل الإعلام خصصت حيزاً كبيراً من وقتها لتحليل الظاهرة وكأنها ظاهرة صحية ومطابقة للقانون. نفهم من كل ذلك إننا لازلنا بعيدين عن دولة المواطنة الحقة ونحن أقرب إلى دولة الامتيازات لذوي النفوذ والسلطة.

سادسا: ان الإجراءات القانونية الصادرة جميعها لا تتعدى تنظيم حيازة السلاح وفق ضوابط قانونية محددة، وهذا الامر لابد منه، لكنها لم تعالج موضوع ملايين الأسلحة التي تتواجد لدى أبناء القبائل والعشائر، بل اقتصر الامر قانونا على فئات محددة بضمنها رؤساء العشائر والقبائل او المكرمين منهم بأسلحة من قبل رئيس الجمهورية او رئيس الوزراء. ومن هنا لابد ان نجد مخرجا قانونيا للتعامل مع هذه الحالة، والمتمثلة بضرورة الاحتفاظ بالأسلحة، وبعيارات محددة، مع وجود ضوابط قانونية صارمة لضبط استخدامها.

سابعا: وعليه لابد من اصدار تشريع خاص او لائحة قانونية ملزمة التنفيذ خاصة بالعشائر والقبائل وضبط تسلحيها على ان يجري فيها تحديد الأطر التالية:

(1) الأسلحة المسوح بالاحتفاظ بها ومدياتها وعياراتها.

(2) عمر حامل السلاح ومؤهلاته التدريبية.

(3) الحالات التي يجري بها استعراض الأسلحة دون رمي.

(4) الأسلحة المتوسطة والثقيلة اين تجمع وكيف يجري خزنها ومن الجهة المسؤولة عن الخزن والادامة وتامين الحماية لها.

(5) الجهة الرقابية المسؤولة عن جرد الأسلحة والتأكد من عدم استخدامها لأغراض غير مسموح بها.

ب - الإجراءات الأمنية والعسكرية

للقوات المسلحة والجهات الأمنية الأخرى دور كبير في تنظيم هذه الظاهرة وتحويلها الى فعل منظم وفق ضوابط محددة تتماشى مع متطلبات الامن الوطني وسيادة الدولة، وتتناغم مع الطموحات التي يصبو اليها المجتمع في تحقيق الامن المجتمعي. ورغم ان المؤسسة العسكرية العراقية والجهات الأخرى الفاعلة في المجال الأمني تحددها قوانين وضوابط في التعامل مع الظواهر التي تسود المجتمع، الا أن الحاجة تدعو الى ان يكون لهذه الجهات فعلها الميداني المؤثر، خاصة تلك التي تعمل في بيئات تحتاج الى نوع من الادراك الأمني المختلف كالمجتمعات العشائرية والقبلية التي تأبى تقاليدها الاجتماعية وضوابطها العرفية ان تتخلى عن سلاحها وتعتبر ذلك مساساً بثوابتها.

يمكن ان تعمل المؤسسة العسكرية والجهات الأمنية الأخرى وبالتعاون مع بعضها البعض، ومن خلال علاقاتها مع رؤساء العشائر والقبائل، كعامل مساعد للجانب القانوني والحكومي في هذا المجال، وتحاول ضبط السلاح العشائري من خلال جملة من الإجراءات منها:

1 - القيام بالمسوحات والجرودات الأمنية لضبط أماكن حيازة الأسلحة وانواعها.

2 - اصدار موافقات خاصة بالحيازة ضمن قواطع عملها وبموجب تعليمات تتماشى مع الطبيعة العشائرية والقبائلية لقاطع المسؤولية.

3 - تخصيص ضابط ركن ضمن القيادة، ويفضل من هيئة الأركان المتخصصة بالشؤون العسكرية للأغراض المدنية، ليكون بمثابة الجهة المسؤولة عن التنسيق مع العشائر والقبائل لهذا الغرض.

4 - الرقابة والمتابعة يمكن ان تكون من ذات الضابط المسؤول في الفقرة أعلاه، او تناط بهيئة ركن الاستخبارات والامن وبالتنسيق مع باقي الجهات الأمنية الأخرى، على ان تمتلك هذه الهيئة قاعدة معلومات كاملة عن الأسلحة ضمن قاطع المسؤولية.

5 - عدم اهمال دور مراكز الشرطة ضمن قواطع العمليات سواء في اجراء الجرد او المسح الميداني او في بناء قواعد للمعلومات او تبادلها.

ج - الإجراءات التشجيعية:

غالبا ما ينجح العمل الميداني الأمني إذا ما كانت هنالك أواصر ثقة بين الجهات الأمنية الفاعلة وبين المجتمع المطلوب تامين الامن المجتمعي له. لذلك فان اعتماد أساليب تشجيعية مبتكرة قد تكون ذات فائدة في تحجيم المظاهر المسلحة بشكلها الظاهري والمنفلت وتنظيمها بما يؤمن ضبط تلك المظاهر وادواتها وفقا لمقتضيات الحالة الراهنة مع مراعاة الجوانب القانونية، وكذلك الجوانب الإجرائية المتعلقة بعمل القوات المسلحة والجهات الأمنية الأخرى في تعاملها من السلاح غير المرخص.

ان اعتماد أساليب تشجيعية مبتكرة قد تكون ذات فائدة في تحجيم المظاهر المسلحة بشكلها الظاهري

قد لا تكون هنالك فسحة واسعة من الإجراءات التشجيعية، الا ان الابداع الذاتي ومراعاة الحالة القائمة في كل قاطع والتكوين العشائري والقبائلي في تلك القواطع جميعها عوامل يمكن ان تساعد على إيجاد مثل هذه الإجراءات التشجيعية، ويمكن اعتماد ما يلي كأساس مع إضافة ما يتلاءم وكل حالة قائمة:

1 - منح صاحب السلاح ترخيصا لمدة مناسبة إذا ما قام بالإبلاغ الفوري عن اقتنائه للسلاح الى الجهات المحددة سلفا.

2 - تسهيل عملية تجديد موافقات الحيازة للعناصر التي تستجيب لعمليات الجرد والمراقبة.

3 - تزويد العشائر او القبائل بالأعتدة المصنعة وطنيا مقابل ثمن إذا ما التزمت بالضوابط التي تحدد حيازة السلاح وعدم استخدامه الا وفق تلك الضوابط.

د - دور المرجعية في ضبط تسليح العشائر والقبائل:

لا يمكن اطلاقا انكار ما للمرجعية من دور كبير في تحجيم الكثير من الظواهر المدانة في المجتمع، كما انها استطاعت- وخاصة بعد سقوط النظام- ان تكون

صمام امان للأمن الوطني والمجتمعي العراقي، لذلك فان دورها في هذا المجال المتعلق بإيجاد ضوابط حاكمة لضبط السلاح العشائري يمكن ان يكون اكثر تأثيرا من سواها من الجهات خاصة اذا ما علمنا ان الغالبية العظمى من العشائر والقبائل تعتبر المراجع العظام وتوجيهاتهم بمثابة أوامر ملزمة. ورغم ان البعض يشك في ذلك، خاصة وان المرجعية ولمرات عديدة اكدت حرمة اطلاق النار بالمناسبات، ورغم ذلك فان هذه الظاهرة المدانة دينيا ومرجعيا لاتزال تطفو الى السطح بين الحين والأخر، إضافة الى الاستخدام المفرط للسلاح في النزاعات العشائرية، والتي نوهت عنها المرجعية لمرات عديدة، واعتبر ذلك بمثابة خروج على النصوص الشرعية والفهية التي لا تقبل بالاستخدام الاهوج للسلاح دون تحديد المسببات التي نجمت عنها المعضلة القائمة او النزاع القائم، والتي أدت الى وصول الأمور الى حد استخدام السلاح.

ان الغالبية العظمى من العشائر والقبائل تعتبر المراجع العظام وتوجيهاتهم بمثابة أوامر ملزمة

ان دور المرجعية هو دور توجيهي وارشادي وهو ملزم التطبيق لمقلديها، الا ان الذي يحصل في الغالب هو صعود النزعة القبلية البدوية المتأصلة بالفرد العراقي وتناسيه أصول التقليد المرجعي الذي يستوجب منه ان يطيع ولي الامر المتمثل بالمرجع الديني دنيويا، لذلك فان المرجعية بإمكانها ان تكون عنصرا فاعلا ومؤثر من خلال الحضور الميداني لممثليها عند النزاعات العشائرية وفي بدايتها، وليس في المراحل التي تلي الهجمات المسلحة واستعراض القوة، وهذا الامر ليس غريبا عن المرجعية، حيث كان السادة في جنوب العراق، وعلى وجه التحديد (العمارة)، يتدخلون الى الحد الذي يتوسطون فيه الميدان الذي يترامى فيه الطرفان لغرض إطفاء الفتنة وإيقاف الاقتتال، وهذا ما روي عن ممارسات كثيرة مماثلة قام بها (السيد سروط) في النزاعات التي كانت تنشب بين الحين والأخر بين القبائل والعشائر في مدينة العمارة واريافها. من هنا فان للمرجعية دور حاسم ومهم في بلورة صيغ أكثر فعالية في التعامل مع هذه الظاهرة، والوصول الى حلول فقهية وشرعية مبنية على أساس العقيدة الإسلامية لغرض ضبط السلاح العشائري دون الاخلال بقوة العشائر والقبائل التي شهدت لها ساحات الجهاد الكفائي التي نادت بها المرجعية ذاتها.

ان للمرجعية دور حاسم ومهم في بلورة صيغ أكثر فعالية في التعامل مع هذه الظاهرة

ثامنا- أسواق السلاح وتحجيمها:

ليس بالإمكان انكار حقيقة ان الدولة العراقية باتت عاجزة تماما عن معالجة ظاهرة خطيرة اجتماعيا تتمثل في انتشار أسواق الأسلحة بشكل علني ومباح. ورغم

المحاولات الخجولة لوزارة الداخلية لاستصدار اجازات لبيع الأسلحة، والتي رافقتها هي الأخرى شبهات فساد كبيرة تحدثت عن دفع الالاف من الدولارات من اجل الحصول على هذه الاجازات، الا أنها لم تستطع مجاراة أسواق السلاح المباح، والذي يعتبر سوق مريدي في مدينة الصدر في بغداد بمثابة البورصة والمورد للأسلحة الى باقي المحافظات، إضافة الى أسواق أخرى في البصرة والناصرية والعمارة.

إن تحجيم مثل هذه الأسواق هو جزء من حل معضلة ضبط السلاح العشائري، فما دامت تلك الأسواق قائمة وقادرة على التعاطي الميسر مع عمليات بيع الأسلحة والاعتدة وبمختلف عياراتها، فان من الصعوبة بمكان نجاح عملية ضبط تسلح العشائر. ان الظروف الاقتصادية الحالية التي يعاني منها العراق في ظل ازمتين خانقتين هما ازمة فايروس كورونا وأزمة انخفاض أسعار النفط وتقليص الإنتاج الاجباري للنفط، إضافة الى التصاعد غير المسبوق للعمليات الإرهابية في اغلب المناطق الغربية والشمالية الغربية والشرقية، فان أي معالجة ستصدم بالكثير من المعوقات، لذلك فان على القائمين على الامن الوطني العراقي ان يبحثوا بشكل علمي ومدروس هذه الظاهرة الخطيرة ويضعوا استراتيجية بثلاثة مراحل: (انية، متوسطة، طويلة المدى) للقضاء نهائيا على أسواق الأسلحة غير المرخصة.

تاسعاً- استراتيجية الامن الوطني والأسلحة غير المرخصة

أدت المتغيرات التي حصلت في المجتمع العراقي بعد عام 2003 الى بروز الكثير من الظواهر، الا ان اخطرها هي تلك التي لها مساس بالأمن الوطني أولاً، والامن المجتمعي ثانياً. لذلك فان استراتيجية الامن الوطني العراقي الصادرة في تموز2007 قد عالجت جزءً من المعضلة حينما حددت جملة من الأهداف الواجب تحقيقها في مجال التعامل مع مليشيات الأحزاب وإيجاد منافذ لاستلام أسلحتها مقابل ثمن. ورغم ان الاستجابة كانت ضعيفة للغاية، وانها استغلت لتكون هي الأخرى بوابة للثراء الفاحش والفساد المالي بعد ان جرى تسليم أسلحة منتهية الصلاحية ومدمرة من مخلفات حروب صدام واعتبرها جزءً من تسليح تلك المليشيات والحصول على مبالغ طائلة لقاء ذلك، وبذلك فان استراتيجية الامن القومي العراقي للأعوام من 2007 وحتى 2010 لم تستطع حل ولو جزء من المعضلة[8].

(8) مستشارية الامن الوطني، استراتيجية الامن الوطني للأعوام من2007 ولغاية 2010، ص7.

الامر الأكثر غرابة ان مجلس الامن الوطني عند إصداره استراتيجية الامن الوطني العراقي في عام 2017 لم يشر لا من بعيد ولا من قريب الى وجود مثل هذه المعضلة،

حيث خلت قائمة الأهداف من أي ذكر لهدف سيطرة الدولة على الأسلحة عدا ما أشير اليه في مخاطر المستوى الثالث الفقرة (ذ)، والتي نصت على ما يلي: (ان انتشار الأسلحة الصغيرة والأسلحة الخفيفة بين المواطنين سيؤدي الى استخدامها في اعمال العنف وزعزعة الثقة في دور الدولة بحماية المواطنين، واحتمال انتقال هذه الأسلحة الى الجماعات المسلحة والمتطرفين وايادي الإرهابيين. كما ان شيوع حيازة هذه الأسلحة لدى المواطنين والمجاميع المسلحة والمتاجرة بها يزيد من خطر العنف المسلح داخل المجتمع ويهدد قدرة الدولة على توفير الامن وتهديد شرعيتها).[9] وقد صنف هذا الخطر وفق الاعتبارات الرياضية المعتمدة من خبراء مجلس الامن الوطني على انه خطر من المستوى الثاني، وبتسلسل (14) من بين الاخطار المحدقة بالأمن الوطني العراقي، والذي يحتاج- ووفـق هذا التصنيف- اتخاذ إجراءات على المستوى المتوسط.

(9) مجلس الامن الوطني، استراتيجية الامـن الوطنـي الصـادرة عـام 2017، ص11.

الاستنتاجات:

مما تقدم يمكن ان نستنتج ما يلي:

أ - ان ظاهرة تسلح العشائر والقبائل ليست بظاهرة جديدة او دخيلة على المجتمع العشائري والقبائلي، بل هي محصلة لتراكمات واعراف من الصعب مغادرتها بسهولة.

ب - ان كل المحاولات السابقة لغرض الحد من ظاهرة التسلح في المجتمع العراقي عموما، والمجتمع العشائري والقبائلي على وجه الخصوص، لم تفلح لأسباب كثيرة. لذلك فان ضبط السلاح هو المخرج الأفضل لحل مثل هذه الظاهرة.

ج - لا يمكن حل هذه الظاهرة بعصا سحرية لأنها نتاج تراكمات لعقود من الزمن، لذلك فأنها تحتاج الى وجود استراتيجية فاعلة قابلة للتطبيق توضع من مختصين بالشأن العشائري والعسكري والأمني معا، فالتنظير لا يمكن ان يحل مثل هكذا معضلة متأصلة.

د - هنالك أربعة مخارج يمكن من خلالها حلحلة معضلة ضبط السلاح العشائري، وهي الجوانب القانونية والجوانب الامنية والعسكرية، والجوانب التشجيعية، والاهم من ذلك هو المخرج الرابع المتمثل بالمرجعية ودورها.

أسواق السلاح ستبقى تمثل الخطر الأكبر

هـ - أسواق السلاح ستبقى تمثل الخطر الأكبر، خاصة وأنها أصبحت من أكثر الاعمال التجارية ربحية، ولا يمكن لهذا الامر ان ينتهي دون ان تكون للدولة قوتها القادرة على المعالجة.

و - المتتبع للاستراتيجيات التي يصدرها الامن الوطني يلاحظ انها لا تنظر بعمق وتفحص لمثل هذه الظاهرة الخطيرة، بل تعتبرها من المستويات الأقل خطورة. لذلك لم نجد أي اهتمام في موضوع ضبط التسلح العشائري من قبل الجهات الأمنية المختصة.

التوصيات:

إضافة الى ما ورد في الفقرات اعلاه من إجراءات واجبة التنفيذ، فان بالإمكان إيجاد حلول انية، وعلى المدى المتوسط والبعيد إذا ما اخذت هذه النقاط بنظر الاعتبار إضافة الى ما يلي:

أ - اصدار تشريع جديد يعيد اعتبار الفعل الجنائي المتمثل بامتلاك السلاح بدون تصريح رسمي من جنحة كما في قانون الأسلحة رقم 51 لسنة 2017 الى جناية كما كان عليه الحال في القانون رقم 13 لسنة 1992.

ب - اصدار تشريع او أي اجراء قانوني يحد من نشاطات المتاجرة بالسلاح خارج الضوابط كون ما ورد في قانون الأسلحة لم يعد رادعا بحكم ضعف تطبيق القانون.

ج - يفترض ان تكون هنالك استراتيجية وطنية لضبط التسلح تشترك في صياغتها جهات اختصاصية امنية وعسكرية وعشائرية وقانونية.

د - الصلاحيات المخولة لوزير الداخلية بصدد اصدار هويات حمل الأسلحة استغلت بشكل كبير من قبل مكتبه لأغراض الفساد المالي وتصاعد سعر اصدار هوية السلاح بلا مراعاة للضوابط الى أسعار خيالية، لذلك لابد من إيجاد الية محكمة تمنع مثل هذا الفساد المستشري في المؤسسة الأمنية.

الخاتـمــة:

تعاني اغلب حكومات الدول والشعوب ذات الثقافات المبنية على الموروث الشعبي، والتي يكون فيها للقبائل والعشائر القول الفصل، من صعوبة بالغة في كبح جماح هذه القوة التي لا ينبغي الاستهانة بها. لذلك نجد ان اغلب التجارب السابقة

والحالية لتحجيم دورها بائت بالفشل، ومن هنا فان إيجاد صيغ وسبل لتوظيف هذه القوة بشكل يضمن سلامة الامن المجتمعي والحفاظ على مرتكزات الامن الوطني هو ما يجب ان يجري التركيز عليه في هذه المرحلة.

هنالك فرق كبير وشاسع بين افراغ العشائر والقبائل من قوتها التسليحية، وبين ضبط تلك القوة وجعل استخدامها ينصب لمصلحة الوطن، ومن هنا فان الحديث عن المطلب الأول يعتبر رجماً في الغيب وغير ممكن التطبيق، اما ضبط التسليح فانه يحتاج الى جملة من الإجراءات مع استراتيجية وطنية بمديات مختلفة لغرض تحقيق هذا الهدف الوطني.

قائمة المصادر:

أولاً- الوثائق:

1 - قانون الأسلحة الرقم 51 لسنة 2017. منشور في جريدة الوقائع العراقية، العدد: 4439، 2 اذار 2017.

2 - قرار مجلس قيادة الثورة المنحل الرقم 510 لسنة 1982

ثانياً- الكتب:

1 - حسن سلمان البيضاني، العراق وجيشه- الواقع الديمغرافي وتأثيره على بناء الجيش، المكتبة العلمية، ط:1، بغداد، 2020.

2 - طارق حرب، القرارات الصادرة من مجلس قيادة الثورة المنحل، المطبعة القانونية، ط1، بغداد، 2011.

3 - طارق العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة، مؤسسة ثائر العصامي، ط:1، بغداد، 2009.

4 - العراق وقائع واحداث، القسم الأول 1914-1958، المركز العراقي للمعلومات والدراسات، ط:1، بغداد، 2010.

5 - كافن يونغ، العودة الى الاهوار، مؤسسة المدى للطباعة والنشر، ط:2، بغداد، 2007.

6 - مجلس الامن الوطني، استراتيجية الامن الوطني الصادرة عام 2017.

7 - مستشارية الامن الوطني، استراتيجية الامن الوطني للأعوام من2007 ولغاية 2010.

اتجاهات العراقيين نحو الأحزاب السياسية ذات التوجه العلماني

أ.د. محمود شمال حسن*
باحث من العراق

*كلية الآداب- الجامعة المستنصرية- بغداد
mahmoodshamal69@gmail.com

الملخص:

استهدف البحث الكشف عن طبيعة اتجاهات العراقيين نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني، كما استهدف الكشف عن الفروق في هذه الاتجاهات تبعاً لمتغيرات الجنس والفئة العمرية والمستوى الاجتماعي ـ الاقتصادي. ولتحقيق هذه الاهداف عمد الباحث الى بناء مقياس اعد لهذا الغرض.

سحبت عينة البحث بالطريقة العشوائية البسيطة، اذ بلغت (1000) فرداً، ومن كلا الجنسين، تراوحت اعمارهم بين 19-80 سنة، وبمتوسط بلغ 35,9 سنة. وقد اظهرت النتائج ان الاتجاهات المتكونة نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني تتصف بالسلبية. كما اظهرت النتائج ان الفئات العمرية الواقعة بين(19-38) سنة تشيع بين صفوفها اتجاهات سلبية نحو الاحزاب المذكورة. كذلك اظهرت النتائج أيضا ان افراد المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتوسط يحملون اتجاهات اشد سلبية من اقرانهم في المستويات الاخرى. واظهرت النتائج ايضاً ان متغير الجنس لم يكن له تأثير واضح في الاتجاهات المتكونة نحو هذه الاحزاب.

الكلمات المفتاحية: العلمانية، الاحزاب السياسية، العراق.

Attitudes of Iraqis towards Political Parties with a Secular Orientation

Prof. Dr. Mahmood Shamal Hassan
College of Arts / Mustansiriyah University - Baghdad

Abstract:

The research aimed to reveal the nature of the Iraqi's attitudes towards political parties with a secular orientation, the differences in these attitudes ac-

cording to the variables of gender, age group, and socio-economic level. To achieve these goals, the researcher intended to build a prepared scale for this purpose.

The current research sample was draw by a simple random method, as it reached (1000) individuals, of both gender, whose ages ranged between 19-80 years, with an average of 35.9 years. The results showed, that the attitudes formed towards political parties with a secular orientation are negative, the age groups between 19-38 years disseminate among its their ranks negative attitudes towards the aforementioned parties, the individuals of the middle socio-economic level have more negative attitudes than their peers at other levels, and the gender variable did not have a clear effect on the attitudes formed towards these parties

Key words: secularism, political parties, Iraq

المقـدمــة:

تشير الوقائع الميدانية إلى ان الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني حظيت باهتمام النخبة المثقفة والافراد الذين ينتمون الى فئات مهنية على اختلاف انواعها بعد الاطاحة بنظام الرئيس الاسبق صدام حسين في عام 2003. وكان هؤلاء يتطلعون الى حياة سياسية خالية من القهر والقسر والارهاب، كما انهم اخذوا يتطلون الى حياة انسانية، تشيع فيها الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية بعد سنوات من الحصار الاقتصادي. وكان بأمل هؤلاء الافراد الى ان يعمد النظام السياسي الجديد الذي تسهم فيه هذه الاحزاب الى اصلاح البنية التحتية التي دمرت في الحروب العبثية التي خاضها النظام السابق. وان تؤسس دولة المواطنة على اساس الانتماء الوطني بغض النظر عن طبيعة الجماعة الاثنية التي ينتمون اليها، وان تكون للدستور الكلمة الفصل في تنظيم شؤون المجتمع. بيد ان هذه الاهداف التي كان يتطلع اليها هؤلاء الافراد، وتحديدا من مؤيدي التوجه العلماني، اخذت تضعف تدريجيا، ولا سيما بعد وصول هذه الاحزاب الى السلطة، بدليل ان اعداد هؤلاء بدأت تشهد تناقصاً ملحوظاً في الدورات الانتخابية التي جرت في الاعوام 2010 و2014، وكان اخرها الانتخابات التي جرت في 12 أيار 2018. اذ كانت نسبة الاقبال على المراكز الانتخابية ضعيفة للغاية، وان ثمة مؤشرات دالة على ذلك، منها: ان التقارير الصادرة عن المراقبين والمهتمين بالعملية السياسية، اشارت الى ان نسبة المشاركة في الانتخابات لم تتعد نسبة (10%). كما ان ممثل الامم المتحدة في بغداد اشار في تقريره الذي قدمه الى مجلس الامن في 24 آيار من عام 2018 عن طبيعة الانتخابات التي جرت في العراق.

اشكالية البحث: ان نسبة اقبال الناخبين كانت ضعيفة للغاية، وهذا يؤشر حقيقة واضحة، وهي: ان البرامج التي اشتملت عليها الحملات الانتخابية للاحزاب عموماً كانت عبارة عن وعود نظرية؛ بهدف الحصول على الاصوات التي تمكنها من الوصول الى مجلس النواب، ومن ثم الاسهام مع غيرها من الاحزاب الاسلامية في تشكيل الحكومة. وهناك مؤشر ثالث على انخفاض شعبية هذه الاحزاب تمثل في تصاعد الاحتجاجات الجماهيرية في المدن العراقية، التي نددت بشكل صريح بالاحزاب السياسية على اختلاف توجهاتها، سواء كانت علمانية، او اسلامية، وهذا يدل دلالة قاطعة على انحسار شعبية الاحزاب السياسية بين صفوف مؤيديها. والواقع، ان الدراسة الحالية، هي محاولة للتثبت من حقيقة الاتجاهات السائدة نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني، واهم المتغيرات التي تسهم في تشكيلها.

فرضيات البحث:

1 ـ تشيع بين العراقيين اتجاهات سلبية نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني.

2 ـ تشيع اتجاهات سلبية نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني بين الذكور اكثر من الاناث.

3 ـ تشيع اتجاهات سلبية نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني بين كبار السن اكثر من صغار السن.

4 ـ تشيع اتجاهات سلبية نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني بين الافراد من ذوي المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المنخفض اكثر من اقرانهم في المستويات الاجتماعية- الاقتصادية الاخرى.

محاور البحث: تم مناقشة الدراسة من خلال ثلاثة محاور، فضلاً عن المقدمة والخاتمة:

المحور الاول: الخلفية النظرية للاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني.

المحور الثاني: المنطلقات النظرية للاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني.

المحور الثالث: اجـراءات البحث: العينة، الاداة، الصدق، الثبات، المستوى الاقتصادي والاجتماعي، والنتائج.

المحور الاول: الخلفية النظرية للاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني

مفهوم الحزب السياسي:

يعرف الحزب السياسي انه عبارة عن «منظمة تسعى لتحقيق السيطرة والوصول الى الحكم بطريقة قانونية شرعية عن طريق العملية الانتخابية»[1]. وبذلك، فان الحزب السياسي من وجهة نظر التعريف، هو منظمة تستهدف بالدرجة الاساس الوصول الى السلطة بطريقة شرعية، لذا، فان غاية الحزب الوصول الى الحكم. وينقل احد الكتاب مجموعة تعريفات للحزب السياسي، نوردها على النحو الاتي:

يعرف الحزب السياسي، انه «تنظيم يسعى لتحقيق القدر الاكبر من حاجات (ومقتضيات) افراد معينين من الاعضاء الذين يكرسون جهودهم من اجل استمرارية عمل الحزب»، او هو «جماعة من (الافراد) تعتنق مذهباً سياسيا واحداً»، او «تنظيم دائم يتحرك على مستوى وطني ومحلي من اجل الحصول على الدعم الشعبي، ويستهدف ذلك كله (الوصول) الى ممارسة السلطة، بغية تحقيق سياسة معينة»[2].

ان المتأمل لهذه التعريفات الثلاث يجد ان ثمة اتفاقاً على تعريف الحزب السياسي وهو ان الحزب، منظمة، او جماعة من الافراد، تعتنق اتجاهاً سياسيا معيناً، تسعى الى الحصول على الاسناد الجماهيري؛ بهدف تمكينها من الوصول الى السلطة؛ وذلك لاحداث التغيير الاجتماعي المنشود.

وينقل كاتب اخر، مجموعة من التعريفات للحزب السياسي، نستعرضها على النحو الاتي:

يعرف الحزب السياسي، انه *هيئة من (الافراد) متحدين من خلال حماس مشترك لمصلحة قومية او لمبدأ محدد يتفقون عليه»، او ان الحزب عبارة عن «اتحاد بين مجموعة من الافراد، بغرض العمل معاً لتحقيق (المصلحة القومية)، وفقاً لمبادئ محددة متفق عليها جميعاً»، او هو عبارة عن «جماعة متحدة من الافراد تعمل بمختلف الوسائل الديمقراطية للفوز بالحكم؛ بقصد تنفيذ برنامج سياسي معين»[3].

ان من البين الواضح ان هذه التعريفات لم تخرج عن سياق التعريفات التي سبق ذكرها، وهي تتفق على فكرة ان الحزب السياسي هو جماعة، او هيئة، او اتحاد، او تنظيم، يستهدف الوصول الى الحكم بهدف احداث تغيير اجتماعي في صفوف المجتمع.

(1) انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005)، ص482.

(2) عبدالله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع السياسي: النشأة التطورية والاتجاهات الحديثة والمعاصرة (بيروت: دار النهضة العربية، 2001)، ص336ـ337، ص339.

(3) نعمان احمد الخطيب، الاحزاب السياسية ودورها في انظمة الحكم المعاصرة (الكرك: منشورات جامعة مؤتة، 1994)، ص12ـ13.

من ذلك كله، نصل الى استنتاج هو ان الحزب السياسي:

1 ـ عبارة عن منظمة، او جماعة، او اتحاد، او هيئة من الافراد، تتخذ من العمل السياسي وظيفة رئيسة لها.

2 ـ وهذه المنظمة، او الجماعة، تعتنق اتجاهاً سياسياً محدداً، قد يكون يسارياً، او يمينياً، او معتدلاً.

3 ـ وهي في حقيقة الامر، تسعى الى الحصول على الاسناد الجماهيري؛ بهدف الوصول الى السلطة.

4 ـ ومن اجل الوصول الى السلطة، فأنها تتبع الاساليب الديمقراطية المتمثلة بصناديق الاقتراع لتحقيق اهدافها المنشودة، وفي الوقت نفسه، تثبت شرعيتها على المستوى الشعبي.

واستناداً الى ذلك، نستطيع ان نعرّف الحزب السياسي، انه جماعة من الافراد، اذ تحمل اتجاها سياسيا محدداً، قد يكون يسارياً، او يمينياً، او معتدلاً، وهي تستهدف بالدرجة الاساس، الوصول الى الحكم بطريقة شرعية؛ بقصد احداث جملة من التغييرات الاجتماعية المنشودة، وتتمتع ايديولوجية هذه الجماعة بالجاذبية، وهو الامر الذي يجعلها موضع اعجاب الاخرين.

المحور الثاني: المنطلقات النظرية للاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني

ان المتتبع للظاهرة الحزبية في المجتمع العراقي يجد انها قديمة ترجع الى بدايات الحقبة الملكية؛ ولانها قديمة، فقد اصبحت متعددة ومتنوعة في الوقت نفسه، وهذا معناه: ان الظاهرة الحزبية في المجتمع العراقي اشتملت على عدد من الحركات والتيارات السياسية، فضلا عن تنوع منطلقاتها الايديولوجية.

وما يعنينا في هذا الصدد ان التركيبة الحزبية في المجتمع العراقي اشتملت على عشرات الحركات والتيارات السياسية، وحتى نلم بتفاصيل هذه التركيبة من الاحزاب اثرنا ان نصنفها الى صنفين اثنين هما:

اولاً: الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني

ثانياً: الحركات الاصولية الاسلامية

ان الهدف من هذا التصنيف يرجع في حقيقة الامر الى ان الاحزاب السياسية اما ان تنتمي الى الصنف الاول، واما ان تنتمي الى الصنف الثاني. كذلك فان اطروحات

الخطاب الحزبي يختلف تماماً في الصنفين الاول والثاني. فالاول يدعو الى علمنة الحياة السياسية، اي فصل الدين عن السياسة، والثاني يدعو الى اسلمة الحياة السياسية، اي ازالة الفصل بين الاثنين، فضلاً عن هذا وذاك، هناك اطروحات اخرى تتعلق بالمسألتين الاجتماعية والاقتصادية يختلفان في النظر اليهما، ومن ثم يختلفان في ايجاد الحلول المناسبة لكل منهما، على ان الدراسة الحالية، ستقتصر على تناول اطروحات الصنف الاول، وتأجيل الحديث عن اطروحات الصنف الثاني الى دراسة لاحقة. وفي هذا السياق، نستعرض المنطلقات النظرية للصنف الاول، وهي على النحو الاتي:

1 ـ ان الاحـزاب السياسية ذات التوجه العلماني تدعو الى فصل الدين عن السياسة[4]، وهذا معناه: ان الدين ينبغي ان لا يتدخل في شؤون السياسة، والسياسة بدورها ينبغي ان لا تتدخل في شؤون الدين؛ وسبب الدعوة الى الفصل بين الاثنين يرجع الى فكرة ان الشعب هو مصدر القوانين، وليس الارادة الالهية، كما تذهب الى ذلك الحركات الاصولية.

(4) عبد الـرزاق عيد، الديمقراطية ومسالة العلمانية، في: عبد الرزاق عيد ومحمد عبد الجبار، الديمقراطية بين العلمانية والاسلام (دمشق: دار الفكر، 1999)، ص34.

2 ـ كذلك تركز هذه الاحزاب على ضرورة وجود محاكم مدنية بهدف تنظيم العلاقة بين الافراد من حيث الحقوق والواجبات[5] بعيداً عن المحاكم الشرعية التي تغلب عليها التوجهات الدينية او الطائفية.

(5) حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الاحوال والعلاقات (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000)، ص501.

3 ـ ومن المنطلقات النظرية التي تركز عليها الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني ضرورة توفر الحرية عند اداء الشعائر الدينية[6]، والتركيز على مبدأ تعايش الاديان والطوائف داخل المجتمع الواحد، وضرورة احترام المعتقدات الدينية للجماعات المتعددة. وتقر هذه الاحزاب كذلك بالاديان، شريطة عدم تشريع قوانين تتعارض مع المبادئ الديمقراطية، كما يذهب الى ذلك فالح عبد الجبار[7]، ومن ثم لاغضاضة عنده، من ان يكون الاسلام احد مصادر التشريع[8]، وليس المصدر الرئيس، كما تصر على ذلك السلطة الدينية؛ وبهدف الحفاظ على العلمنة داخل المجتمع، يصر بعض العلمانيين على ضرورة تضمين الدستور، مادة تشير صراحة الى احترام الدولة لكل المراجع الدينية، وفي الوقت نفسه، الزام هؤلاء المراجع باحترام الدستور الذي يحظى بموافقة اغلبية افراد المجتمع[9].

(6)جوزيف مغيزل، الاسلام والمسيحية العربية والقومية العربية والعلمانية، المستقبل العربي، السنة3، العدد26 (نيسان/ابريل، 1981)، ص101.

(7) فالح عبد الجبار، العنف الاصولي في العراق (بغداد]: مجموعة لا الثقافية، 2005)، ص72.

(8) المصدر نفسه، ص72.

(9) المصدر نفسه، ص72.

4 ـ وتركز الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني على اشاعة الثقافة العلمية والعقلانية[10] بين افراد المجتمع، ونبذ الثقافة التي تستند الى الخرافة واللاعقلانية.

(10) احمد الواعظي، الدولة الدينية: تأملات في الفكر السياسي الاسلامي، ترجمة حيدر حب الله (بيروت: مركز الغدير للدراسات الاسلامية، 2002)، ص80.

5 ـ ولعل مساواة المرأة بالرجل امام القانون، تعد من المنطلقات النظرية الاساسية التي تستند اليها الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني.

ان مستوى التأييد الشعبي للاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني قد انخفض بشكل كبير

ان مما يجب الاشارة اليه في هذا الصدد هو ان مستوى التأييد الشعبي للاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني قد انخفض بشكل كبير، بدليل ان القاعدة الجماهيرية لهذه الاحزاب، قد عزفت عن المشاركة في الانتخابات، الى جانب التنديد بها علانية، واذا امعنا النظر في اسباب انخفاض شعبية هذه الاحزاب، نجد انها متعددة، وفي هذا السياق نشير الى اهمها:

1 - لقد شهدت الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني صراعات بين قياداتها حول الزعامة الحزبية. ولقد نشأ هذا الصراع اثر الغياب الواضح للانتخابات الحزبية، وهذا يؤشر بطبيعة الحال، غياب الديمقراطية عن هذه الاحزاب. وقد نجم عن ذلك حدوث ما يسمى بالانشقاقات الحزبية؛ نتيجة بروز تكتلات داخل الحزب الواحد تطالب بالانتخابات، فضلاً عن رغبتها في قيادة الحزب. وهذه التكتلات اعلنت عن نفسها انها احزاب ولها اهداف محددة، الى جانب شعاراتها الحزبية. ولقد اطلقت على نفسها تسميات معينة، وهي عادة ما تكون مستمدة من تسمية الحزب الاصلي، مع اضافة طفيفة على التسمية الاصلية للحزب، او اضافة تسمية اخرى الى جانب التسمية الاصلية؛ في محاولة لتمييز الفرع الجديد عن الاصل، او ان تكون التسمية جديدة تماماً. والحقيقة التي لابد من ذكرها هنا، ان الصراع على الزعامة الحزبية، وما ترتب على ذلك من اثار سلبية، ادى الى تكوين اتجاهات سلبية نحو الاحزاب السياسية عموماً. وبالتبعية ادت هذه الاتجاهات الى شيوع جملة من الصور النمطية التي تنعت هذه الاحزاب بالسلبية، وانها لم تسهم بتقديم اشياء نافعة للمواطن، كما انها تتحمل مع جهات اخرى، المسؤولية عن الفساد الحاصل في مؤسسات الدولة.

2 - تعد الفجوة الحاصلة بين الشعارات التي تطرحها الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني وواقع المجتمع، من الاسباب المهمة التي عمدت الى خفض مستوى التأييد الشعبي لهذه الاحزاب. ولو اجرينا مسحاً للشعارات التي تنادي بها، نجد انها تنطوي على وعود وطنية وانسانية، وهي تشتمل على معالجة احوال المجتمع المتمثلة بالفقر والفاقة والامن والخدمات ومعالجة الفساد المستشري في مؤسسات الدولة. بيد ان هذه الوعود تبقى مجرد شعارات،

تستهدف بالدرجة الاساس حث الناخبين على الادلاء بأصواتهم لمصلحة هذا الحزب، او ذاك، ثم بعد ذلك ينتهي امرها الى حملة انتخابية قادمة.

3 - لقد ادرك الناخبون العراقيون بما لا يدع مجالا للشك ان الادلاء بأصواتهم لا يغير من الامر شيئاً؛ لان النتائج مقررة سلفاً، ذلك ان مسؤولي المفوضية العليا المستقلة للانتخابات يرتبطون بالاحزاب المهيمنة على السلطة، وهؤلاء بدورهم يستلمون تعليماتهم من هذه الاحزاب، وليس من الجهة المشرفة على المفوضية؛ على ان التلاعب يجري في الاوراق الانتخابية عند وصول صناديق الاقتراع الى مركز المفوضية. كما ادرك الناخبون حقيقة ان العملية السياسية الجارية اصبحت فاشلة وغير قادرة على ادارة الدولة والمجتمع؛ والسبب يعود الى ان الاحزاب السياسية المهيمنة عليها اخذت تعيد انتاج نفسها في كل مرة، بدليل ان زعماء هذه الاحزاب، سواء كانوا من ذوي التوجه العلماني او الاسلامي، اخذوا يتحكمون في المشهد السياسي من وراء الكواليس، يقدمون في كل دورة انتخابية نواباً جدد بهدف الايحاء الى الجمهور المستهدف ان الاحزاب التي تشرف على العملية السياسية عازمة على احداث تغيير في المشهد السياسي الذي يفضي بالمحصلة النهائية الى خدمة المواطن ورفاهيته.

4 - تعد المحاصصة السياسية من الاسباب التي اضعفت شعبية الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني، ومن ثم افضت الى تشكيل اتجاهات سلبية نحوها؛ ذلك ان الناخبين العراقيين، وتحديداً من مؤيدي الاحزاب العلمانية، كانوا يعتقدون ان هذه الاحزاب هي علمانية التوجه؛ ولأنها كذلك، فهي تنأى عن اتباع المحاصصة التي تلجأ اليها الاحزاب الاسلامية.

وان جهودها في مجلس النواب ستتركز على ثلاث وظائف: الرقابة على اداء الحكومة والرقابة على تطبيق الدستور والرقابة على فصل السلطات الثلاث. بيد ان الشواهد تشير الى ان هذه الاحزاب انخرطت مع غيرها في اقتسام المناصب الوزارية والدرجات الخاصة عندما استقرت في مجلس النواب، وهو الامر الذي اضعف ثقة الناخبين بهذه الاحزاب، ومن ثم ادركوا انها لا تختلف عن غيرها من الاحزاب التي يكون شغلها الشاغل الوصول الى السلطة بأية طريقة كانت.

5 - عند دخول المحتل الاميركي الى العراق في عام 2003 سارعت غالبية الاحزاب السياسية على اختلاف توجهاتها الايديولوجية الى الانخراط في المشروع

الكولونيالي. واللافت للانتباه، ان الاحزاب اليسارية، وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العراقي، كان من اوائل الاحزاب التي انخرطت في المشروع الكولونيالي، ومما يثير الاستغراب ان اطروحات هذا الحزب تشير بشكل لا لبس فيه إلى انه معادٍ للمشاريع الكولونيالية، والمخطط الاميركي الجاري في العراق، هو جزء من المشروع الكولونيالي. وان الانخراط في العملية السياسية التي اعدها المحتل الاميركي يعد امرأ مناقضاً لأطروحاته الايديولوجية، ومن ثم لا ينسجم مع مسيرته السياسية الحافلة بمعاداة المشاريع الكولونيالية.

الحزب الشيوعي العراقي، كان من اوائل الاحزاب التي انخرطت في المشروع الكولونيالي

وفي هذا الصدد، يقول السكرتير الاول للحزب الشيوعي العراقي في معرض اجابته عن علاقة الحزب بالمحتل ما نصه: «كل الاحزاب الشيوعية، ليس اليوم، بل على امتداد تاريخها، حينما تجد ضرورة في (مرحلة) ما، لإقامة علاقة مع العدو او المنافس الفكري، فانها لا تتردد في ذلك، انسجاماً مع مصلحة شعبها والمصلحة المشتركة لقواه الحية»[11].

(11) البينة الجديدة، 2008/2/11.

واضاف قائلا: «ومن يدرس بعمق تجربة الشعوب في ايران واليمن وجنوب افريقيا وايطاليا وتجربة الحرب العالمية الثانية، حينما تفاقم خطر الفاشية والنازية، يرى كيف تعاملت الاحزاب الشيوعية مع خصومها، وكيف اقامت التحالفات ليس فقط على صعيد الدول، وانما حتى على صعيد الاحزاب، كي تواجه الكابوس الذي يهدد وجود البشرية من اصله، او يهدد شعباً معيناً»[12].

(12) المصدر نفسه.

ثم اوضح قائلا: «نحن نعرف جيدا ما تعنيه الامبريالية الاميركية، ومن جانب ثان لن يغشنا كثيرا الصراخ والشعارات المدوية. حينما كنا نواجه مهمة اسقاط الدكتاتورية، ونحن من القوى الاساسية العاملة على اسقاطها، عملنا على تمييز انفسنا ورفضنا طريق الحرب الذي كانت تروج له امريكا وبعض حلفائها، لكن الحرب وقعت وسقط النظام وحصل ما حصل في البلد، فما المطلوب منا؟ هل المطلوب منا ان ننزوي ونبتعد مكتفين بالرجم الكلامي وندب الخط والجأر بالشكوى والتذمر؟ ام المطلوب ان ننخرط مع زمر الارهاب والتكفير والتخريب الذي يسمي نفسه «مقاومة» وهو في الحقيقة لا يريد اعادة بناء العراق، بل احياء كل مؤسسات الاستبداد السابقة، وهذا ما يعلونه صراحة وعلنا حتى يومنا هذا»[13].

(13)المصدر نفسه.

والواقع ان المسوغات التي طرحها السكرتير الاول للحزب الشيوعي بصدد

الانضمام الى العملية السياسية التي يشرف عليها المحتل الاميركي كانت تتسم بالنفعية السياسية، فضلا عن كونها غير واقعية، وذلك يعني: انه حزب يسعى الى الافادة من مغانم السلطة، بغض النظر عن اطروحاته الايديولوجية. ومما يجدر ذكره، ان المحتل الاميركي حينما استكمل احتلال البلاد، عمد الى تشكيل مجلس حكم شكلي يتولى العراقيون ادارته، على ان يكون اعضائه من جماعات اثنية وسياسية مختلفة؛ في محاولة من المحتل لتمثيل المجتمع العراقي اثنياً وسياسياً. وقد كان الحزب الشيوعي العراقي احد اعضاء هذا المجلس. وقد اشترطت ادارة الاحتلال وعلى لسان بول بريمر الحاكم المدني، العثور على قيادة شيوعية قادرة على التخلي عن الافكار الشيوعية الخاطئة المتعلقة بإدارة الاقتصاد[14]، على حد تعبيره. اذ وجد في قيادة الحزب الجديدة ما كان يصبو اليه، وهو القبول بالمشروع الكولونيالي والتعامل معه على انه امر واقع.

(14) بول بريمر، عام قضيته في العراق: النضال لبناء غد مرجو، ترجمة عمر الايوبي (بيروت: دار الكتاب العربي، 2006)، ص126.
)

6 - تشير البيانات الصادرة عن المنظمات الدولية وهيئة النزاهة في العراق، ان الفساد بأنواعه الثلاثة: المالي والاداري والسياسي، قد انتشر في عموم مؤسسات الدولة. ويكفينا في هذا السياق ان نشير الى ان العراق احتل الترتيب (4) دوليا في مؤشر الدول الفاشلة لعام 2005 فيما احتل الترتيب (2) عربيا[15]، وفي العام 2006 حافظ العراق على الترتيب نفسه دوليا وعربياً.[16] وتشير البيانات إلى ان العراق في العام 2007 احتل الترتيب (2) دولياً وعربياً[17]. وفي السنوات اللاحقة، اخذ الفساد يتصاعد في العراق بدرجة غير مسبوقة، اذ احتل مراتب متقدمة في مؤشر الدول الفاشلة على الصعيدين الدولي والعربي؛ والسبب يرجع الى ان الفساد الحاصل في السلطة السياسية تحديداً، قد مهد السبيل لتفشي الفساد بنوعيه: المالي والاداري. والمتتبع للفساد الحاصل في السلطة السياسية، يجد ان كبار المسؤولين فيها، قد تحولوا الى زعماء مافيا، وهؤلاء يصعب على اية جهة رسمية مساءلتهم، او بتحديد ادق: لا يستطيع احد ان يوجه اليهم تهمة الفساد، ولو باشارة خفية؛ لان الطرف الذي يوجه الاتهام، سيتوقع عواقب لا تحمد عقباها، لذا يلزم الصمت ايثاراً للسلامة، وهو الامر الذي شجع اطراف العملية السياسية على التمادي في الفساد والتفنن فيه؛ ولأنها مطمئنة من انها لا تسأل عما تفعل، فقد بدأنا نشهد نوعاً جديداً من الفساد السياسي، ألا وهو: طرح المناصب الوزارية في مزاد علني على مرآى ومسمع من السلطات الثلاث، من دون ان يصدر من احدها تعليقاً، او بياناً، بل الاخطر من ذلك، ان المافيا السياسية حينما شعرت ان الانتخابات التي جرت

15) كابي الخوري، الملف الاحصائي (110) البلدان العربية في المؤشرات السنوية للدول الفاشلة 2005ـ2007، المستقبل العربي، السنة 30، العدد348 (شباط/ فبراير، 2008)، ص211.

(16) المصدر نفسه، ص212.

(17) المصدر نفسه، ص212.

في 12 آيار من عام 2018 قد تطيح بمواقعها السياسية، ومن ثم تحرمها من الامتيازات التي تتمتع بها، عمدت الى احراق مخازن مفوضية الانتخابات التي تشتمل على الاوراق واجهزة العد والفرز الالكتروني، في محاولة منها لمحو ادلة التزوير، او التلاعب مجددا في الاصوات الانتخابية.

والرأي الذي ننتهي اليه هو ان اشاعة اجواء من الفساد بأنواعه الثلاثة، ادى والحال هذه، الى خفض مستوى الخدمات المقدمة الى عموم المواطنين، وفي بعض الاحيان، تغيب الخدمات تماماً؛ بحجة ان التخصيصات المالية غير كافية، مما دفع بالمواطنين الى التذمر والاستياء، وتحديداً من القاعدة الجماهيرية للأحزاب المشاركة في الحكومة، وذلك يعني: ان هذه الاحزاب، اخذت تفقد شعبيتها بين صفوف مؤيديها.

7 - ومن الاسباب التي اضعفت شعبية الاحزاب ذات التوجه العلماني ان العراق اخذ يعاني من غياب المشروع التنموي. وقد انعكس ذلك على تدهور القطاعات الاقتصادية كافة، وفي الوقت نفسه، اصبح اسهامها في الموازنة العامة يكاد يكون ضئيلاً، فيما ارتفع اسهام قطاع النفط بدرجة كبيرة. ولقد نجم عن ذلك، مشكلات اقتصادية متعددة، ومن اهمها: ان الزيادة الحاصلة في اسعار النفط ستفضي الى زيادة الايرادات، وهذا سيؤدي بالنتيجة النهائية الى زيادة الاسهام في الموازنة العامة، ومن ثم سيجعل الدولة قادرة على تشغيل مؤسساتها وتنفيذ مشاريعها العامة. وعلى النقيض من ذلك، ستنخفض الايرادات المالية في حال انخفاض اسعار النفط، وهذا بدوره سينعكس سلباً على تمويل الموازنة العامة، مما يجعل الحكومة غير قادرة على تقديم خدماتها الى عموم المواطنين، الى جانب الغاء الكثير من المشروعات الاجتماعية التي تؤدي بالمحصلة النهائية الى حرمان بعض الفئات الاجتماعية من خدماتها، وهذا سيزيد من فقرها.

8 - ان البطالة الحادثة بين صفوف الشباب تعد سبباً مهماً في استثارة نفورهم من الاحزاب السياسية التي كانوا يؤيدونها او يتعاطفون معها. اذ تشير البيانات الصادرة في هذا الصدد إلى ان نسبة البطالة بين صفوف الشباب من الفئة العمرية (15-24) سنة، قد بلغت (32,1%)[18]، على ان النسبة الكبيرة من بطالة هذه الفئة هي من خريجي الجامعات والمعاهد.

(18) كابي الخوري، الملف الاحصائي: مؤشرات مختارة. المستقبل العربي، السنة 38، العدد 437 (تموز/ يوليو، 2015)، ص196.

واذا علمنا ان الدرجات الوظيفية التي تطلق سنوياً بالآلاف يذهب جلها الى

الاحزاب السياسية، ادركنا السبب الذي افضى الى خفض شعبية هذه الاحزاب بين صفوف الشباب تحديداً.

9 - ومما زاد من تذمر القاعدة الجماهيرية للاحزاب ذات التوجه اليساري، التحول البنيوي الذي طرأ على الاقتصاد العراقي بعد عام 2003. فلقد كان الاقتصاد العراقي قبل عام 2003 يعتمد على المنهج الاشتراكي الذي يستند بدوره الى سياسة دعم الحاجات الاساسية. اما بعد عام 2003 فقد عمدت سلطة الاحتلال الاميركي الى فرض المنهج الرأسمالي على الاقتصاد، او ما يعرف باقتصاد السوق، الذي يقتضي التخلي عن سياسة الدعم واستبدالها بسياسة اخرى تعتمد بالدرجة الاساس على آليات السوق.

وما يهمنا من تبني اقتصاد السوق هو ان هذا المنهج افضى الى زيادة معاناة فئات اجتماعية واسعة من المجتمع. ويكفي ان نشير في هذا السياق الى ان متوسط الانفاق للاسرة بالنسبة للسكن والمياه والوقود، ارتفع من (13%) عام 1993 الى (29%) عام 2007،[19] كما تضاعفت نسبة الانفاق الشهري للاسرة فيما يتعلق بالنقل من (5%) عام 1993 الى اكثر من (10%) عام 2007[20]. وهذا يدل دلالة قاطعة على ان اقتصاد السوق لايعد منهجاً مناسباً للاقتصاد العراقي في الوقت الحاضر لأسباب متعددة لا يسمح المجال هنا للخوض في تفاصيلها.

(19) وزارة التخطيط والتعاون الانمائي، اللجنة العليا لسياسات التخفيف من الفقر، الاستراتيجية الوطنية للتخفيف من الفقر، 2009 (خلاصة)، ص5.

(20) المصدر نفسه، ص5.

والواقع، ان استمرار هذا المنهج في ادارة الاقتصاد سيفضي الى مزيد من المعاناة لفئات اجتماعية متعددة، وفي مقدمتها: الفقراء والمحرومين، وهو الامر الذي جعل الاحزاب اليسارية تحديداً في حرج من امرها امام قاعدتها الجماهيرية.

المحور الثالث: اجراءات البحث

العينة: سحبت عينة البحث من الموظفين العاملين في الدوائر الرسمية في مدينة بغداد، وبمختلف الدرجات الوظيفية، ومن فئات مهنية مختلفة كالمعلمين والمدرسين والمهندسين واساتذة الجامعة، الى جانب الافراد العاملين في المهن الحرة. وبذلك، فان عينة البحث اتصفت بالتنوع والتباين.

ومما يجدر ذكره هو ان عينة البحث سحبت بالطريقة العشوائية البسيطة، اذ بلغ حجمها(1000) فرداً، وقد اتصفت بالخصائص الاتية:

1 ـ بلغت نسبة الذكور (47,3%) في حين بلغت نسبة الاناث (52,7%).

2 ـ تراوح التحصيل الدراسي لإفراد العينة بين كون الفرد اميا وكونه حاصلا على شهادة عليا. اذ تشير البيانات إلى ان (0,8%) من افراد العينة كان امياً، وان (1,6%) منهم بلغ تحصيله الدراسي المرحلة الابتدائية، وان (2,7%) منهم بلغ تحصيله الدراسي المرحلة المتوسطة. وان (10,8%) منهم بلغ تحصيله الدراسي المرحلة الثانوية، وان (26,1%) منهم بلغ تحصيله الدراسي الحصول على شهادة الدبلوم، وان (49%) منهم بلغ تحصيله الدراسي الحصول على شهادة البكالوريوس، في حين ان (9%) من افراد العينة بلغ تحصيله الدراسي الحصول على شهادة عليا.

3 ـ تراوحت اعمار افراد العينة بين 19-80 سنة وبمتوسط بلغ 35,90 سنة.

4 ـ بلغت نسبة المتزوجين من افـراد العينة (66,8%) وبلغت نسبة غير المتزوجين (26,6%) وبلغت نسبة المطلقين (2,1%)، فيما بلغت نسبة الارامل (4,5%).

الاداة:

1-مقياس الاتجاهات نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني:

اعتمد الباحث على طريقة ليكرت في اعداد المقياس الحالي، ثم بعد ذلك اجرى استطلاعاً اولياً يستهدف جمع الفقرات الدالة على اتجاهات الافراد نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني؛ وذلك بتوجيه سؤال الى عينة من الافراد، بلغ حجمها (100) فرداً، طلب منهم بيان آرائهم فيما يتعلق بالأحزاب السياسية ذات التوجه العلماني، وكيف يرونها. وقد حصل على عدد من الفقرات، ثم اضاف اليها الباحث فقرات اخرى استمدت من خبرته الميدانية، فضلاً عن مراجعة الادبيات في هذا الصدد، ثم بعد ذلك اجرى لها صياغة لغوية. ونتيجة لهذا الاجراء، استبعدت الفقرات التي تحمل معنى واحداً. كما اجرى الباحث تعديلاً للفقرات التي تحمل اكثر من فكرة واحدة. وروعي في الصياغة اللغوية ان تكون الفقرات واضحة ومفهومة، مع مراعاة ان تكون الفقرة الواحدة قصيرة؛ كي لا يحدث تشتت في انتباه المستجيب، وبذلك اصبح عدد الفقرات (20) فقرة. وروعي في المقياس الحالي ان يكون نصف الفقرات ايجابياً، ونصفها الاخر سلبياً؛ وذلك لتجنب المرغوبية الاجتماعية، وفي الوقت نفسه، تجنب التهيؤ للاستجابة. وبعد الصياغة النهائية

للفقرات، اعدت تعليمات المقياس، وروعي فيها ان تكون واضحة وغير مملة. كذلك تضمنت التعليمات الغرض من البحث، مع دعوة افراد العينة ان يجيبوا عن الفقرات بصراحة تعبر عن مواقفهم تجاه الاحزاب السياسية موضوع الدراسة، وان لا يتركوا اية فقرة دون اجابة.

حُسبت الدرجة الكلية للمستجيب على مقياس الاتجاهات نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني على اساس مجموع الدرجات التي يحصل عليها من اجابته عن فقرات المقياس البالغة (20) فقرة. وقد حددت الاوزان من (1-5) لكل بديل، ولما كان المقياس يشتمل على فقرات ايجابية واخرى سلبية، فقد اعطيت الاوزان الآتية:

بدائل الاستجابة	الفقرات الايجابية	الفقرات السلبية
تنطبق عليّ بدرجة كبيرة جداً	5	1
تنطبق عليّ بدرجة كبيرة	4	2
تنطبق عليّ بدرجة معتدلة	3	3
تنطبق عليّ بدرجة قليلة	2	4
لا تنطبق عليّ تماماً	1	5

وبهذه الطريقة تم تصحيح استمارات افراد العينة؛ ولأجل الحصول على مقياس يتمتع بالموضوعية المطلوبة، فان الامر يقتضي استخراج مؤشرات دالة على الصدق والثبات.

الصدق: استخرج صدق البناء عن طريق اختبار الفرضية القائلة: ان الافراد الذين يتمتعون بمستوى ثقافي منخفض تكون اتجاهاتهم نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني اكثر سلبية من اقرانهم الاخرين. وللتحقق من ذلك، سحبت (359) استمارة من عينة البحث الاساسية، ثم قسمت بعد ذلك الى مجموعتين: فاما الاولى، فهي المجموعة التي تشتمل على الافراد الذين حصلوا على شهادة الدبلوم فاكثر، وقد بلغ عددهم (200) فرداً. واما الثانية، فهي المجموعة التي تشتمل على الافراد الذين حصلوا على شهادة الدراسة الثانوية فاقل، وقد بلغ عددهم (159) فرداً؛ ولاختبار دلالة الفروق بين هاتين المجموعتين، فقد طبق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، لاختبار الفروق بين متوسطات الافراد في المجموعتين الاولى والثانية، والجدول (1) يوضح ذلك.

الجدول (1)

يوضح دلالة الفروق بين الافراد الذين حصلوا على شهادة الدبلوم فاكثر ومجموعة الافراد الذين حصلوا على شهادة الدراسة الثانوية فاقل.

مجموعتا الافراد	المتوسط	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة عند مستوى 0.05
الافراد الذين حصلوا على شهادة الدبلوم فاكثر	41,68	13,17	7,11	1,960	دال
الافراد الذين حصلوا على شهادة الدراسة الثانوية فاقل	39,03	11,95			

يتضح من الجدول، ان ثمة فروقاً بين مجموعتي الافراد، وهذه النتيجة، تدعم الفرضية المطروحة، مما يعني ان المقياس الحالي، يتمتع بصدق البناء.

الثبات: استخرج الثبات للمقياس الحالي بطريقة الاتساق الداخلي؛ وذلك بتطبيق معادلة الفا للثبات على عينة عشوائية، بلغت (50) استمارة، سحبت من استثمارات العينة الاساسية، اذ بلغ معامل الثبات (0,63)، وهو مقبول استناداً الى معيار مطلق.

2 ـ المستوى الاجتماعي- الاقتصادي:

لجأ الباحث الى اعتماد عدد من المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية بهدف قياس المستوى الاجتماعي- الاقتصادي لأفراد العينة، وفي هذا السياق نشير الى ابرزها:

أ - عائدية السكن، ان كان ملكاً، او ايجاراً، اذ تعطى الدرجة (1) في حال كون الوحدة السكنية ملكاً، وتعطى الدرجة (صفر) في حال كون الوحدة السكنية ايجاراً.

ب - **عدد غرف النوم:** لقد قسم هذا المؤشر الى اربع فئات، طول الفئة الواحدة غرفتان، واعطيت الدرجات الاتية:

1-2 وتعطى هذه الفئة الدرجة (1)

3-4 وتعطى هذه الفئة الدرجة (2)

5-6 وتعطى هذه الفئة الدرجة(3)

7 فاكثر وتعطى هذه الفئة الدرجة (4)

ج - **عدد افراد الاسرة:** قسم هذا المؤشر الى اربع فئات، طول الفئة الواحدة ثلاثة افراد، واعطيت الدرجات الاتية:

2-4 وتعطى هذه الفئة الدرجة (4)

5-7 وتعطى هذه الفئة الدرجة (3)

8-10 وتعطى هذه الفئة الدرجة (2)

11-13 وتعطى هذه الفئة الدرجة(1)

د - **التحصيل الدراسي:** طلب الباحث من افراد العينة، ان يذكورا تحصيلهم الدراسي، وقد قسم هذا المؤشر، الى سبع فئات، واعطيت الدرجات الاتية:

اذا كان الفرد امياً يعطى الدرجة (1)، وان كان حاصلاً على شهادة الدراسة الابتدائية يعطى الدرجة (2)، وان كان حاصلا على شهادة الدراسة المتوسطة يعطى الدرجة (3)، وان كان حاصلا على شهادة الدراسة الثانوية يعطى الدرجة (4)، وان كان حاصلا على شهادة الدبلوم يعطى الدرجة (5)، وان كان حاصلا على شهادة البكالوريوس يعطى الدرجة (6)، وان كان حاصلا على شهادة جامعية عليا (ماجستير- دكتوراه) يعطى الدرجة (7).

تجمع درجات المستجيب على المؤشرات الاربعة، وحاصل الجمع، يمثل المستوى الاجتماعي- الاقتصادي له. والطريقة المعتمدة في تحديد هذا المستوى تستند الى التقسيم الطبقي الذي يتم بموجبه تصنيف الافراد الى ثلاثة مستويات: عليا ومتوسطة ودنيا، وللتوضيح اتبع الاجراء الاتي: تطرح الدرجة الدنيا من الدرجة العليا، ثم يقسم الناتج على المستويات الثلاثة، اي ان:

16-6= 10 يمثل الفرق بين الدرجتين الدنيا والعليا

10÷3=3,33 الفرق بين كل مستوى، واستناداً الى ذلك، تكون درجة المستوى المنخفض:

6+3=9 اي ان الفرد الذي يحصل على درجة 8 فاقل، يصنف ضمن المستوى المنخفض واما المستوى المتوسط، فان درجته هي:

9+3=12 وتتراوح درجته بين 9-11، واما المستوى الاعلى فان درجته تنحصر بـــ(12) فاكثر.

3 ـ النتائج

الكشف عن طبيعة اتجاهات العراقيين نحو الاحـزاب السياسية ذات التوجه العلماني: لقد استخرج وسيط الدرجات لافراد العينة على مقياس الاتجاهات، اذ بلغ (50)، واستناداً الى قيمة الوسيط، فقد قسمت الدرجات التي حصل عليها افراد العينة الى مجموعتين: فاما الاولى، فهي المجموعة التي تشتمل على الافراد الذين سجلوا درجة عالية على المقياس؛ وذلك بحصولها على درجة اكثر من الوسيط (50)، واما الثانية، فهي المجموعة التي تشتمل على الافراد الذين سجلوا درجة منخفضة على المقياس؛ وذلك بحصولها على درجة اقل من الوسيط (50)، والجدول (2) يوضح ذلك.

الجدول (2)
يوضح النسبة المئوية التي حصلت عليها المجموعتان العليا والدنيا على مقياس الاتجاهات نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني

طبيعة اتجاهات العراقيين نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني	النسبة المئوية
الافراد الذين سجلوا درجة عالية على المقياس	48,1
الافراد الذين سجلوا درجة منخفضة على المقياس	48,5

يتضح من الجدول، ان ثمة فروقا طفيفة بين المجموعتين العليا والدنيا بفارق بقدر بحدود (0,4)، وهذا يعني: ان الاتجاهات نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني، تتراوح بين الايجابية والسلبية، على ان نسبة الافراد الذين يحملون اتجاهات سلبية، كانت اكثر من نسبة اقرانهم الذين يحملون اتجاهات ايجابية. والنتيجة التي تنتهي اليها هي ان الاتجاهات المتكونة نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني تتصف بالسلبية، وبذلك، فان الفرضية الاولى، قد تحققت.

ان الاتجاهات المتكونة نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني تتصف بالسلبية

الكشف عن الفروق في الاتجاهات نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني، تبعاً لمتغيرات الجنس والفئة العمرية والمستوى الاجتماعي- الاقتصادي:

لجأ الباحث الى استعمال تحليل التباين للتصنيف الثلاثي (2×6×3)، والجدول (3) يوضح ذلك:

الجدول (3)

يوضح تحليل التباين للتصنيف الثلاثي لمعرفة دلالة الفروق في الاتجاهات نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني تبعا لمتغيرات الجنس والفئة العمرية والمستوى الاجتماعي- الاقتصادي

مصدر التباين	درجات الحرية	القيمة الفائية المحسوبة	القيمة الفائية الجدولية	مستوى الدلالة عند 0,05
الجنس	1	1,34	3,58	غير دال
الفئة العمرية	5	8,75	2,22	دال
المستوى الاجتماعي- الاقتصادي	2	7,12	3	دال
الجنس× المستوى الاقتصادي- الاجتماعي	2	0,146	3	غير دال
الجنس× الفئة العمرية	4	1,66	2,61	غير دال
المستوى× الفئة	9	2,58	1,95	دال
الجنس× الفئة× المستوى الاقتصادي- الاجتماعي	6	2,08	2,10	غير دال
الخطأ	970			
الكلي	1000			

تشير النتائج الواردة في الجدول (3) الى الاتي:

1 - وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى 0,05 بالنسبة لمتغير الفئة العمرية، وقد صنف هذا المتغير الى ست فئات، هي:
19-28، 29-38، 39-48، 49-58، 59-68، 69 فاكثر

ولتحديد الفئة العمرية الاكثر تأثيراً في اتجاهات الافراد، لجأ الباحث الى استعمال اختبار شيفيه بين كل مجموعتين. وقد اسفرت نتائج الاختبار عن وجود فروق ذات دلالة احصائية بين فئتي (19-28) و(39-48)، وكانت الفروق لصالح الفئة (19-28)، استنادا الى متوسطات كل منهما، كما تبين ان ثمة فروقاً ذات دلالة احصائية بين فئتي (19-28) و(49-58)، وكانت الفروق لصالح الفئة (19-28). كذلك تبين ان ثمة فروقا ذات دلالة احصائية بين فئتي (29-38) و(39-48)، وكانت الفروق لصالح الفئة (29-38) وتبين كذلك ان

ثمة فروقا ذات دلالة احصائية بين فئتي (29-38) و(49-58)، وكانت الفروق لصالح الفئة (29-38)، في حين لم تظهر اية فروق ذات دلالة احصائية بالنسبة للفئات العمرية الاخرى، وهذا يعني: ان الفروق قد تركزت بين فئتي(19-28) و(29-38)؛ وذلك يؤشر ان الفئات العمرية الصغيرة تحمل اتجاهات سلبية نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني اكثر من الفئات العمرية الاخرى، واستنادا الى هذه النتيجة، فان الفرضية الثالثة لم تتحقق.

ان الفئات العمرية الصغيرة تحمل اتجاهات سلبية نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني اكثر من الفئات العمرية الاخرى

2 - تشير النتائج الواردة في الجدول (3) إلى ان ثمة فروقاً ذات دلالة احصائية عند مستوى 0,05 بالنسبة لمتغير المستوى الاجتماعي- الاقتصادي. وقد صنف هذا المتغير الى ثلاثة مستويات: عال ومتوسط ومنخفض؛ ولتحديد المستوى الاجتماعي- الاقتصادي الاكثر تأثيراً في اتجاهات الافراد، لجأ الباحث الى استعمال اختبار شيفيه بين كل مجموعتين. وقد تبين ان ثمة فروقا ذات دلالة احصائية بين المستوى الاجتماعي- الاقتصادي العالي والمستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتوسط، وكانت الفروق لصالح المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتوسط. كما تبين من النتائج ان ثمة فروقا ذات دلالة احصائية بين المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتوسط والمستوى الاجتماعي- الاقتصادي المنخفض، وكانت الفروق لصالح المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتوسط؛ وذلك يشير الى ان الفروق قد تركزت لصالح المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتوسط، وبذلك، فان الفرضية الرابعة لم تتحقق.

3 - كما تشير النتائج الواردة في الجدول(3) إلى ان التفاعل بين متغيري المستوى الاجتماعي- الاقتصادي والفئة العمرية، كان دالا عند مستوى 0,05؛ وذلك يشير صراحة: ان هذين المتغيرين لهما تأثير واضح في تشكيل اتجاهات الافراد نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني عندما يتفاعلان في آن معاً.

4 - كذلك تشير النتائج الواردة في الجدول(3) إلى ان متغير الجنس لم يكن دالاً عند مستوى 0,05 وهذا يعني: ان هذا المتغير لم يكن له تأثير واضح في تشكيل اتجاهات الافراد، واستناداً الى هذه النتيجة، فان الفرضية الثانية لم تتحقق.

كما اظهرت النتائج ان التفاعل الثنائي بين متغيري الجنس والمستوى الاجتماعي- الاقتصادي ومتغيري الجنس والفئة العمرية لم يكن دالاً.

ونشير كذلك الى ان التفاعل الثلاثي بين متغيرات الجنس والفئة العمرية والمستوى

الاجتماعي- الاقتصادي لم يكن دالا هو الاخر؛ وذلك يشير الى ان متغير الجنس لم يكن له تأثير يذكر على مستوى التفاعل الثنائي والتفاعل الثلاثي.

الخاتـمــة:

لقد تبين من النتائج التي اسفر عنها البحث ان الاتجاهات التي يحملها العراقيون نحو الاحزاب السياسية ذات التوجه العلماني قد تراوحت بين الايجابية والسلبية، على ان الطابع السلبي قد غلب عليها في نهاية المطاف، الامر الذي يعني ان هذه الاحزاب قد انخفضت شعبيتها في الاوساط الاجتماعية، ولم تعد تتمتع بالقبول المطلوب؛ وذلك يرجع الى عدد من الاسباب منها: ان هذه الاحزاب انشغلت بصراعاتها الداخلية، ولم تنشغل بالبرنامج السياسي الذي يجعل جمهورها راضياً عنها، مما ادى، والحال هذه، الى خفض مستوى شعبيتها. كذلك يلاحظ على هذه الاحزاب انها انخرطت مع غيرها في اقتسام المناصب الرسمية عندما حصلت على اصوات تؤهلها لدخول مجلس النواب، وهو الامر الذي استثار نفور مؤيديها، ومن ثم ادركوا ان شغلها الشاغل في الميدان السياسي هو الافادة من مغانم السلطة. اما البرنامج السياسي فلا وجود له على صعيد التجربة السياسية، وانه سيظل برنامجاً نظرياً تردده في كل دوره انتخابية بهدف الحصول على الاصوات. كما ان اسهام هذه الاحزاب في الفساد المستشري في عموم المؤسسات الحكومية، افضى الى زيادة مستوى التذمر والاستياء بين صفوف العراقيين، وهذا ادى بالمحصلة النهائية الى انخفاض مستوى شعبيتها. ونشير كذلك إلى ان البطالة الحادثة بين صفوف الشباب، تعد سبباً مهماً في استثارة السخط والتذمر من هذه الاحزاب. واذا علمنا ان النسبة الكبيرة من بطالة هؤلاء تتركز بين خريجي الجامعات والمعاهد، ادركنا السبب الذي جعل هؤلاء الشباب اكثر تذمراً من هذه الاحزاب. كما تبين من النتائج التي اسفر عنها البحث ان الفئات العمرية الواقعة بين (19-38) سنة تشيع بين صفوفها اتجاهات سلبية نحو الاحزاب المذكورة؛ والسبب يرجع الى ان هذه الفئات كانت تأمل من هذه الاحزاب ان تسهم مع غيرها في اصلاح الاوضاع السياسية والاقتصادية، واشاعة اجواء من الرفاهية في عموم المجتمع. بيد ان واقع الحال كان مخيباً للامال، اذ تبين لافراد هذه الفئات ان البرامج السياسية التي تطرحها هذه الاحزاب للجمهور الناخب هي عبارة عن اوهام، بدليل انها تنتهي بعد انتهاء الدعاية الانتخابية. كذلك تشير النتائج إلى ان المستوى الاجتماعي- الاقتصادي يعد من المتغيرات المؤثرة في الاتجاهات المتكونة نحو الاحزاب السياسية. وقد تبين ان افراد المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتوسط يحملون اتجاهات اشد سلبية من اقرانهم في المستويات الاجتماعية-

الاقتصادية الاخرى؛ ولعل السبب يعود الى ان غالبية افراد هذا المستوى تعد من النخبة المثقفة، والمعروف عن افرادها انهم يحترفون العمل الفكري، او الثقافي، وهذا يعني صراحة: ان هؤلاء يشكلون احكامهم، او قراراتهم على اساس الادلة المنطقية، او العقلانية. ولقد تبين لهم بالدليل القاطع ان هذه الاحزاب غير معنية بالمجتمع، وان حملاتها الدعائية مجرد وعود انتخابية، مما يجعلها غير فعالة في اقناع الافراد من ذوي المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتوسط.

قائمة المصادر:

اولاً: الكتب

1 - احمد الواعظي، الدولة الدينية: تأملات في الفكر السياسي الاسلامي، ترجمة حيدر حب الله (بيروت: مركز الغدير للدراسات الاسلامية، 2002).

2 - انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005.

3 - بول بريمر، عام قضيته في العراق: النضال لبناء غد مرجو، ترجمة عمر الايوبي (بيروت: دار الكتاب العربي، 2006).

4 - حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في تغير الاحوال والعلاقات (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000).

5 - عبدالله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع السياسي: النشأة التطورية والاتجاهات الحديثة والمعاصرة (بيروت: دار النهضة العربية، 2001).

6 - عبد الرزاق عيد، الديمقراطية ومسالة العلمانية، في: عبد الرزاق عيد ومحمد عبد الجبار، الديمقراطية بين العلمانية والاسلام (دمشق: دار الفكر، 1999).

ثانياً: المجلات

1 - جوزيف مغيزل، الاسلام والمسيحية العربية والقومية العربية والعلمانية، المستقبل العربي، السنة3، العدد26 (نيسان/ابريل، 1981).

2 - كابي الخوري، الملف الاحصائي (110) البلدان العربية في المؤشرات السنوية للدول الفاشلة 2005-2007، المستقبل العربي، السنة 30، العدد: 348 (شباط/ فبراير، 2008).

3 - كابي الخوري، الملف الاحصائي: مؤشرات مختارة. المستقبل العربي، السنة 38، العدد 437 (تموز/ يوليو، 2015).

ثالثاً: المنشورات

1 - فالح عبد الجبار، العنف الاصولي في العراق (بغداد: مجموعة لا الثقافية، 2005).

2 - نعمان احمد الخطيب، الاحزاب السياسية ودورها في انظمة الحكم المعاصرة (الكرك: منشورات جامعة مؤتة، 1994).

3 - وزارة التخطيط والتعاون الانمائي، اللجنة العليا لسياسات التخفيف من الفقر، الاستراتيجية الوطنية للتخفيف من الفقر، 2009 (خلاصة).

أثر تقلبات سعر الصرف في الموازنة العامة للعراق
حالة دراسية للمدة (2004-2018)

صابرين عدنان والي* باحثة من العراق
ايمان علاء كاظم** باحثة من العراق

* جامعة القاسم الخضراء
saifh.wahab@uokufa.edu.iq

** جامعة الكوفة

الملخص:

ان اسعار الصرف تؤثر على الموازنة العامة من خلال تأثيرها على مكونات الموازنة العامة المتمثلة بالنفقات العامة والإيرادات العامة، ويكون التأثير بشكل غير مباشر عن طريق تغيرات الاسعار المحلية، اذ ان أثر التقلبات في سعر الصرف هو اثقال او خفض كاهل الموازنة العامة والتي عرفت بارتفاع او انخفاض في الاسعار، مما يضطر الدولة الى تحمل التكاليف الإضافية او زيادة نسبة الإيرادات نتيجة زيادة حجم الصادرات من خلال تنويعها، فضلا عن ان هناك علاقة عكسية ببن سعر صرف الدولار وعجز الموازنة العامة، اي ان اي انخفاض في سعر الصرف لأي بلد يؤدي الى ارتفاع الطلب على صادراته، وان انخفاض سعر صرف الدولار يؤدي الى ارتفاع في عجز الموازنة العامة للحكومة.

الكلمات المفتاحية: العراق، الموازنة العامة، سعر الصرف.

The Impact of Exchange Rate Fluctuations on The General Budget of Iraq
Case Study Duration (2004-2018)

Sabreen Adnan Wali
Researcher From Iraq
Al-Qasim Green University

Afraa Riadh Muhammad
Researcher from Iraq
University of Kufa

Abstract:

The exchange rates affect the public budget through its effect on the components of the public budget represented by public expenditures and public revenues, and the effect is indirectly through changes in local prices, as the effect

of fluctuations in the price of exchange is overburdening or depressing the budget that it is known as a rise or fall in prices, which the state is forced to bear the additional costs or increase the proportion of revenues as a result of increasing the volume of exports through diversification, in addition, there is an inverse relationship between the dollar exchange rate and the public budget deficit, that is, any decline in the exchange rate of any country leads to a high demand for its exports, as the low exchange rate of the dollar causes the public budget deficit to increase.

Key words: Iraq, the general budget, the exchange rate.

المقـدمــة:

تتفق جميع الدول على أن يسير نشاطها المالي وفق برنامج محدد وبصورة دقيقة يشمل جميع نفقاتها وإيراداتها التي تقررها لسنة واحدة على العموم وتفصيلاتها الفرعية، ويتم ذلك ضمن إطار بيان يقترن بالصفة الإجبارية عن طريق السلطة التشريعية ويطلق على هذا البرنامج (الموازنة الحكومية).

في العراق، وبعد التغيير السياسي عام 2003 طرأت تغيرات كثيرة على الاقتصاد العراقي كان من أهمها بدء عملية إعادة تأهيل الاقتصاد العراقي، فهناك عوامل عدة أسهمت في تحسن واستقرار سعر الصرف منها صدور قانون البنك المركزي رقم (56) لسنة 2004، وما أتاحه من تحقيق الاستقلالية التامة للبنك المركزي في رسم وتنفيذ سياسته النقدية ولجوئه إلى اعتماد الوسائل غير المباشرة للسياسة النقدية، ومن أبرزها قيام البنك المركزي بتنظيم مزاد للعملة الاجنبية بهدف تحقيق ثبات وتحسن في سعر صرف الدينار العراقي تجاه الدولار، إلى جانب قيامه بإصدار عملة عراقية جديدة بديلة عن العملة القديمة أعطت للبنك المركزي إمكانية السيطرة التامة لعملية الإصدار والحد من عمليات التزوير للعملة التي كانت تترك آثاراً سلبية على قيمة الدينار، وبذلك أصبحت هناك سياسة للبنك المركزي أكثر وضوحاً أتاحت له التمتع باستقلالية جديدة لاستقرار سعر صرف الدينار العراقي ومتابعة تحركاته وجعلها ضمن حدود معينة من خلال مزادات العملة الأجنبية التي اعتمدت منذ (2003/10/4). وقد أسهم هذا المزاد في تحقيق الأهداف المطلوبة منه بنسبة جيدة باعتباره احد الوسائل غير المباشرة التي اعتمدها البنك في رسم وتنفيذ سياسته النقدية الجديدة. وكذلك شهدت الموازنة العراقية فائضا ماليا متواصلاً بعد عام 2003 سببه عدم إتمام العديد من الخطط والمشاريع. ومنذ المدة المذكورة أخذت الموازنة تبدأ بعجز مخطط وتنتهي بفائض، ومن هذا الفائض الذي يظهر في الموازنة قد يأخذ على العراق انطباعا بأن هناك فائضا متزايدا من سنة لأخرى، وإنّ الإيرادات تغطي

النفقات في العراق وأنه من البلدان التي تحقق فائضا في الموازنة، ولكن الحقيقة غير هذه إذ إن معظم الإيرادات المتأتية للموازنة هي من صادرات النفط الخام، والتي يستند في تقديرها على الكميات المتوقع تصديرها من النفط الخام، وبسعر معين لبرميل النفط في السوق العالمية، وهو بالتأكيد خاضع لمتغيرات الاقتصاد العالمي، وهذا ما يجعله عرضة للتذبذب مما يترتب عليه عدم اليقين بتمويل الموازنة. وطالما أن الاقتصاد العراقي قد شهد عجزاً حكوميّاً متواصلاً في ظل التقلبات التي شهدها سعر الصرف الأجنبي، فقد ارتأينا أن يكون أنموذجا لدراستنا.

اولا: أهمية البحث: تبرز أهمية سعر الصرف من خلال إسهامه في تحقيق الأهداف الاقتصادية الكلية والتي تتمثل في التوازن الاقتصادي الداخلي والخارجي، إذ يتمثل التوازن الداخلي في استقرار الأسعار المحلية، إلى جانب تحقيق مستوى من النمو الاقتصادي، في حين يتمثل التوازن الخارجي في توازن ميزان المدفوعات والذي يظهر مختلف المبادلات التجارية للدولة.

ثانيا: اهداف البحث: يهدف البحث لتحقيق ما يلي:

1 - توضيح الآثار التي يمكن ان تتركها تقلبات اسعار الصرف الاجنبي في الموازنة العامة.

2 - التعرف على العلاقة بين سعر الصرف والموازنة العامة.

ثالثا: إشكالية البحث: إن جوهر الاشكالية التي يعالجها البحث تكمن في عدم وضوح اثر تقلبات سعر الصرف الاجنبي في الموازنة العامة العراقية، وتدور الاشكالية الرئيسة للبحث حول الانعكاسات الايجابية والسلبية لسعر الصرف الاجنبي في الموازنة العامة.

رابعاً: فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها ان لتقلبات اسعار الصرف الاجنبي انعكاسات ايجابية واخرى سلبية في الموازنة العامة:

1 - تتمثل الإيجابية منه في انه عند انخفاض اسعار الصرف الاجنبي، يؤدي هذا الانخفاض الى انخفاض اسعار السلع المستوردة، وبالتالي يقود الى انخفاض عجز الموازنة.

2 - في حالة ارتفاع سعر الصرف الاجنبي، فان هذا الارتفاع يؤدي الى اثر ايجابي يتمثل في إمكانية زيادة الصادرات المحلية، فضلاً عن الضرائب على الصادرات.

3 - اما الاثر السلبي فيتمثل في ارتفاع اسعار مستلزمات الانتاج المستوردة مما يعني زيادة النفقات العامة لتلبية الحاجة الى المستلزمات المستوردة ومن ثم تضخيم عجز الموازنة.

خامساً: محددات البحث

أ ـ يقتصر الاهتمام في هذه الدراسة على محاولة تحليل العلاقة بين سعر الصرف والموازنة العامة والعوامل المؤثرة في كل منهما دون التوسع في ذلك إلا في حدود الهدف من إجراء الدراسة.

ب ـ الحدود المكانية والزمانية

فقد تمثلت الحدود المكانية في العراق، ولغرض تحديد البحث، تمثلت الحدود الزمانية بالمدة (2004- 2018).

سادساً: منهجية البحث: يعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي في تحليل سعر الصرف والموازنة العامة وتحديد العلاقة بينهما.

سابعاً: هيكلية البحث: لتحقيق أهداف الدراسة، قسم البحث إلى ثلاثة مباحث فضلاً عن مقدمة وخاتمة؛ تناول المبحث الأول الاطار النظري لسعر الصرف، أما المبحث الثاني فتناول الاطار النظري للموازنة العامة. أما المبحث الثالث فقد تناول متغيرات الاقتصاد العراقي دراسة (الموازنة العامة وسعر الصرف).

المبحث الاول: الاطار النظري لسعر الصرف

اولاً: النشأة التاريخية:

ظهرت النقود من خلال عمليات التبادل، كما أن التبادل ارتبط بظهور الإنتاج السلعي، أي بظهور التخصص والإنتاج وتقسيم العمل من اجل السوق، وقد استخدمت النقود، والتي لم تبق على حالة واحدة بل تطورت مع النشاط الاقتصادي عبر التاريخ، من النقود السلعية في العصور القديمة إلى أنواعها المعروفة (الورقية والمعدنية) في هذا العصر، ومع النقود القانونية التي تكون قوتها الشرائية تميل إلى الثبات نسبيا وتستخدم في المعاملات الداخلية والدولية.

وينحصر الفارق الاساس بين المعاملات الدولية والداخلية في أن لكل دولة عملتها التي تتمتع بالقبول العام في الوفاء بالالتزامات ولا يملك أحد الحق في رفضها، ويتعدد استعمال العملات في عالمنا، والتي لا تتمتع بالقبول العام، والذي ينتج

عنه مشكلة تحويل هذه العملات لبعضها، وفي ظل اختلاف العملات يحمل سعر الصرف أهمية بالغة كونه يبدي تأثيراً على التجارة وتدفق الاستثمارات ويتيح للتجار مقارنة الأسعار بطريقة مباشرة.

وقد عرف نظام الصرف عدة تطورات بدأت من قاعدة الذهب وانتهت بالنظام العائم[1]، فكان نظام بريتون وودز يقوم على اساس الدولار الامريكي المرتبط بالذهب، وكانت الدول تربط عملاتها بسعر ثابت مع الدولار، الا إن الامر سرعان ما تغير بعد اعلان الرئيس الامريكي (نيكسون) عام 1971م منع تحويل الدولار الى ذهب وانهارت قاعدة الذهب.

ثانياً: مفهوم سعر الصرف:

من الواضح أن مبادلة عملة بعملة أخرى يقتضي وجود نسبة مبادلة هذه العملة بتلك، واحدى العملتين تعتبر سلعة والعملة الأخرى ثمنا لها، فسعر الصرف عبارة عن عدد الوحدات التي يجب دفعها من عملة معينة للحصول على وحدة من عملة أخرى[2].

ويمكن تعريف سعر الصرف بطريقة عكسية أي أنه عدد الوحدات من العملة الأجنبية اللازمة للحصول على وحدة من العملة المحلية للبلد[3]، كما يعتبر الاقتصادي «حمدي عبد العظيم» أن النقد الأجنبي هو بمثابة سلعة كغيرها من السلع يتم تبدلها مع الدول المصدرة لهذه العملات، وتعبر عن ثمنها بوحدات من العملة الوطنية[4].

او هو عدد الوحدات من العملة المحلية لدولة ما التي يمكن مبادلتها بوحدة واحدة من عملة دولة اخرى، ويتحدد سعر الصرف الاجنبي في سوق الصرف الاجنبي عندما تتعادل الكمية المطلوبة من الصرف الاجنبي مع الكمية المعروضة منه، اي عند نقطة تقاطع منحنى الطلب على الصرف الاجنبي مع منحنى العرض من هذا الصرف. وتحتل اسعار الصرف اهمية كبيرة لأنها تؤثر في الاسعار النسبية للسلع المحلية والاجنبية[5].

ويتم تحديد سعر الصرف بالنسبة للدول التي تنتهج سياسة سعر صرف مرنة من خلال تحديد اسعار صرف العملة في ضوء قوى العرض والطلب، وعند تساوي العرض والطلب يتحدد سعر التوازن، ولهذا فان سعر صرف العملة يتأثر بالعوامل المحددة للطلب والعوامل المحددة للعرض، ويتمثل الطلب على عملة دولة ما بصفة رئيسة في الطلب على صادراتها او وارداتها من وجهة نظر الدول التي تطلب صادرات تلك الدولة من سلع وخدمات، بالإضافة الى حركات رؤوس الاموال

(1) نظام سعر الصرف العائم: تتميز أسعار الصرف في ظله بتقلباتها المستمرة، وما يترتب على ذلك من آثار سلبية بالغة الأهمية بالنسبة للمؤسسات ذات النشاطات الدولية، سواء تعلق الأمر بالنشاط المالي أو التجاري على حد سواء. وهو ما حدث في النصف الثاني من السبعينيات من القرن الماضي لكثير من المؤسسات الصناعية الدولية النشاط، مما حتم عليها ضرورة مواجهة مخاطر أسعار الصرف باكتشاف عدة تقنيات للوقاية أو لتجنب مثل هذه المخاطر، وهي ما تعرف باستراتيجية الوقاء التي تشمل الدولار الأمريكي وعملات مجموعة السبع بغية المحافظة على مدى ضيق من التقلبات في أسعار الصرف. عبد الحق بوعتروس، تقنيات إدارة مخاطر سعر الصرف، مؤتمر إدارة المخاطر واقتصاد المعرفة، جامعة الزيتونة، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، عمان، الاردن، 2007، ص ص1ـ2.

(2) اسامة محمد الغولي، مجدي محمد شهاب، العلاقات الاقتصادية الدولية، دار الجامعة الجديدة للنشر، 1997، ص292

(3) المصدر نفسه، ص293

(4) حمدي عبد العظيم، سياسة سعر الصرف وعلاقته بالموازنة العامة للدولة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984، ص92.

(5) محمود يونس وعبد المنعم مبارك، مقدمة في النقود واعمال البنوك والاسواق المالية، الدار الجامعية، الاسكندرية، 2003، ص17.

الداخلة الى الدولة او الخارجة منها، هذا بالإضافة لعامل المضاربة، اما عرض العملة لدولة ما فانه يعكس العوامل المحددة للطلب، علماً بأن الطلب على عملة دولة ما يعتبر طلب مشتق، بمعنى ان الطلب الرئيس يكون على صادرات الدولة، ومن ثم الطلب على عملتها لتسديد قيمة مدة الصادرات[6].

(6) سميح مسعود، الموسوعة الاقتصادية، ج1، دار الشروق، عمان، 2008، ص399.

ويمكن ان نفهم مما تقدم ان سعر الصرف هو عدد الوحدات النقدية التي تبدل به وحدة من العملة المحلية إلى أخرى أجنبية (بين عملتين مختلفتين)، وهو بهذا يعتبر أداة الربط بين الاقتصاد المحلي وباقي الاقتصادات الدولية، وهو يربط بين أسعار السلع في الاقتصاد المحلي واسعارها في السوق العالمية، فالسعر العالمي والسعر المحلي للسلعة مرتبطان من خلال سعر الصرف.

ان سعر الصرف هو عدد الوحدات النقدية التي تبدل به وحدة من العملة المحلية إلى أخرى أجنبية

ثالثاً: الوظائف الأساسية لسعر صرف العملات[7]:

(7) محمد سلمان محمد البرواري، خديجة قادر سمايل، أثر تغيرات سعر الصرف في المستوى العام لأسعار المواد في مدينة اربيل للمدة ١٩٩٤ـ 2006، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، مجلة تنمية الرافدين، العدد (102) مجلد (33)، 2011، ص217.

1- **الوظيفة القياسية**: ويقصد بها الأسعار المحلية لسلعة ما مع أسعارها في الأسواق العالمية، أي يعتمد المنتجون المحليون على سعر الصرف لغرض قياس ومقارنة الاسعار المحلية لسلعة معينة مع اسعار السوق العالمية، ويمثل سعر الصرف بالنسبة للدولار حلقة الوصل بين الاسعار المحلية والاسعار العالمية.

2- **الوظيفة التطويرية**: تتمثل بتطوير الصادرات المحلية سواء كانت مواداً اولية أو سلعاً نصف مصنعة أو منتجات نهائية، أي يستخدم سعر الصرف في تطوير صادرات معينة الى مناطق معينة من خلال دوره في تشجيع تلك الصادرات. ومن جانب اخر يمكن ان يؤدي سعر الصرف الى الاستغناء عن، او تعطيل فروع صناعية معينة والاستعاضة عنها بالاستيرادات التي تكون اسعارها اقل من الاسعار المحلية، في حين يمكن الاعتماد على سعر صرف ملائم لتشجيع استيرادات معينة، وبالتالي يؤثر سعر الصرف على التركيب السلعي والجغرافي للتجارة الخارجية للأقطار.

3- **الوظيفة التوزيعية**: ان سعر الصرف يمارس وظيفة توزيعية على مستوى الاقتصاد الدولي وذلك بفعل ارتباطه بالتجارة الخارجية، حيث تقوم هذه الاخيرة بإعادة توزيع الدخل القومي، ويتم ذلك من خلال ممارسة النشاط التجاري الدولي، فعن طريقه يتمكن سعر الصرف من إعادة توزيع الدخل القومي والثروات القومية ما بين دول العالم.

رابعاً: العوامل المؤثرة على سعر الصرف

يتأثر سعر الصرف بعوامل عدة من بينها[8]:

1- **التضخم**: ففي عالم فيه حركة راس المال دولية، فان السياسة النقدية المستقلة لا يمكن لها أن تتعايش مع نظام أسعار الصرف ثابتة، وهذا ما يطلق عليه استحالة الثالوث المقدس، فالارتباط بين معالجة التضخم وأسعار الصرف العائمة (الحرة) أدى ببعض الاقتصاديين إلى القول بان واحدا من تكاليف معالجة التضخم هو زيادة تقلبات أسعار الصرف، فمتغيرات مثل التضخم والنمو قد تؤثران على سعر الصرف، فأسعار الصرف الحقيقية لا تعود إلى القيمة الرسمية الثابتة ما دامت نسب التضخم تعمل بازدياد.

2- كما ويؤثر **عرض النقد** على سعر الصرف، حيث كانت المدرسة الكلاسيكية ترى، ومن خلال النظرية الكمية للنقود، بان هنالك علاقة قائمة بين كمية النقود والمستوى العام للأسعار، وهذه العلاقة تكون بنفس النسبة وبنفس الاتجاه.

3- **أسعار الفائدة** تؤثر أيضا على سعر الصرف، فحركة رؤوس الأموال الدولية وانتقالها ما بين الاقتصاد الدولي أنما تتحرك بحثا عن الفائدة فالبلد الذي ترتفع فيه أسعار الفائدة الحقيقية عن بقية البلدان فان ذلك الوضع سوف يشجع رؤوس الأموال على الانتقال إليه، مما يعني زيادة عرض العملة الأجنبية في الداخل وبالتالي تدهور سعر صرفها.

4- **ميزان المدفوعات** يؤثر أيضا على أسعار الصرف فأي اختلال أو عدم توازن في ميزان المدفوعات سيؤثر حتما على سعر الصرف لكونه حلقة الوصل التي تعكس علاقة بلد ما بالعالم الخارجي، ففي حالة حدوث عجز في ميزان المدفوعات لبلد معين، فان ذلك يؤدي إلى زيادة طلبه على العملات الأجنبية لسد ذلك العجز، وبالمقابل انخفاض طلب الأجانب على عملته المحلية يعني تدهور سعر الصرف عملة ذلك البلد، والعكس في حالة حصول فائض في ميزان المدفوعات.

5- **التغيرات في قيمة الصادرات والواردات**: فحين ترتفع قيمة الصادرات نسبة الى الواردات، تتجه قيمة العملة للارتفاع نتيجة لتزايد طلب الاجانب على هذه العملة. وسيعمل ذلك على تشجيع الاستيراد من الخارج مما يؤدي الى حالة التوازن في سعر الصرف.

(8) صباح نوري عباس، اثر التضخم على سعر الصرف التوازني للدينار العراقي للمدة 1990ـ2005: بحث تطبيقي، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد السابع عشر، 2008، ص ص64ـ65.

6- **السياسات المالية:** وهي التدخلات الحكومية عندما يحاول البنك المركزي تعديل صرف العملة حينما لا يكون ملائما مع سياسته المالية والاقتصادية.

أضحت سياسة سعر الصرف وكأنها اداة من ادوات السياسة النقدية

فمثلاً في نهاية عام 1944م تدخلت الحكومة المكسيكية لوضع حد لتدهور الـــ(peso) المكسيكية، وفي هذه الحالة استفادت المكسيك من عقود تبديل العملات مع الولايات المتحدة وكندا بأخذ (swap) لمدة لا تتجاوز ثمانية اشهر، ونجم عن ذلك زيادة احتياطي المكسيك من العملات الصعبة الامر الذي حد من التدهور في سعر صرف البيزو، وتأثر الدولار الأمريكي والكندي سلباً في اسعار صرفها.

وكذلك مثال اخر، عند الشعور بالضغوط التضخمية يمكن بيع النقد الاجنبي (ما يشبه سياسة السوق المفتوحة) لسحب السيولة المحلية، او عند ظهور علامات الانكماش والركود سينعش البنك المركزي عملية شراء النقد الاجنبي لضخ السيولة الى جسم الاقتصاد لتنشيطه، هنا أضحت سياسة سعر الصرف وكأنها اداة من ادوات السياسة النقدية، اذ يكون مؤشر سعر الصرف مقياساً لتلك الضغوط، ومجساً يستشعر به البنك المركزي مدى امكانية التدخل في الوقت الذي يراه ضروريا[9].

خامساً: أنواع سعر الصرف

عادة ما يتم التمييز بين عدة أنواع من سعر الصرف[10]:

1 - **سعر الصرف الإسمي:** هو مقياس عملة إحدى البلدان التي يمكن تبادلها بقيمة عملة بلد آخر، يتم تبادل العملات أو عمليات شراء وبيع العملات حسب أسعار العملات بين بعضها البعض، ويتم تحديد سعر الصرف الإسمي لعملة ما تبعا للطلب والعرض عليها في سوق الصرف في لحظة زمنية ما، ولهذا يمكن لسعر الصرف أن يتغير تبعا لتغير الطلب والعرض، وبدلالة نظام الصرف المعتمد في البلد، فارتقاع سعر عملة ما يؤثر على الإمتياز بالنسبة للعملات الأخرى.

ينقسم سعر الصرف الإسمي إلى سعر الصرف الرسمي، أي المعمول به فيما يخص المبادلات الجارية الرسمية، وسعر الصرف الموازي وهو السعر المعمول به في الأسواق الموازية. وهذا يعني إمكانية وجود أكثر من سعر صرف إسمي في نفس الوقت لنفس العملة في نفس البلد[11].

2 - **سعر الصرف الحقيقي:** يعبر سعر الصرف الحقيقي عن عدد الوحدات من السلع الأجنبية اللازمة لشراء وحدة واحدة من السلع المحلية، وبالتالي يقيس القدرة على المنافسة. وهو يفيد المتعاملين الاقتصاديين في اتخاذ قراراتهم،

(9) عبد الحسين جليل الغالبي، الصيرفة المركزية النظرية والسياسات، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الاشرف، 2015، ص240.

(10) أمين صيد، سياسة الصرف كأداة لتسوية الاختلال في ميزان المدفوعات، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2013، ص ص24ـ26.

(11) عبد المجيد قدي، المدخل إلى السياسات الاقتصادية الكلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004 ص 103.

فمثلا ارتفاع مداخيل الصادرات بالتزامن مع ارتفاع تكاليف إنتاج المواد المصدرة بنفس المعدل لا يدفع إلى التفكير في زيادة الصادرات لأن هذا الارتفاع في العوائد لم يؤد إلى أي تغيير في أرباح المصدرين وإن ارتفعت مداخيلهم الإسمية بنسبة عالية.

3 - **سعر الصرف الفعلي:** يعبر سعر الصرف الفعلي عن المؤشر الذي يقيس متوسط التغير في سعر صرف عملة ما بالنسبة لعدة عملات أخرى في فترة زمنية ما، وبالتالي فإن مؤشر سعر الصرف الفعلي يساوي متوسط عدة أسعار صرف ثنائية، وهو يدل على مدى تحسن أو تطور عملة بلد ما بالنسبة لمجموعة من العملات الأخرى.

يمكن لسعر الصرف الفعلي أن يختلف من حيث قيمته بالنظر إلى إمكانية اختلاف عدة عوامل مثل سنة الأساس، وقائمة عملات لبلدان المتعامل معها، والأوزان المعتمدة في تكوين السلة، فإذا كان هدف المؤشر هو قياس أثر تغيير سعر الصرف على عوائد الصادرات، فستستخدم الصادرات الثنائية في تحديد أوزان المؤشر، أما إذا كان الهدف هو قياس الأثر على ميزان المدفوعات فستستخدم الواردات الثنائية في تحديد الأوزان، وإذا كان الهدف هو قياس عوائد صادرات سلعة أو عدد من السلع لبلد ما إلى العالم فتستخدم حصص البلدان المنافسة من الصادرات العالمية في تكوين الأوزان في المؤشر. أما بالنسبة لسنة الأساس فيتم اختيار سنة يكون فيها اقتصاد البلد المعني قريبا من التوازن[12].

4 - **سعر الصرف التوازني:** وهو السعر الذي يؤدي الى التوازن المستديم لميزان المدفوعات، عندما يكون الاقتصاد ينمو بمعدل طبيعي وكافٍ[13].

(12) عبد المجيد قدي، مصدر سبق ذكره، ص ص105ـ106.

(13) أمين صيد، مصدر سبق ذكره، ص26.

المبحث الثاني: الاطار النظري للموازنة العامة

أولاً: مفهوم الموازنة العامة:

اصبحت الموازنة العامة في الوقت المعاصر ضرورة لابد منها لكل دولة من دول العالم مهما كان نظامها السياسي وفلسفتها الاقتصادية السائدة، وبدونها لا تستطيع الدولة تسيير اعمال ومصالح وزاراتها والمؤسسات الحكومية سيراً منتظماً والقيام بالوظائف الموكلة إليها، كما تصعب ادارة الاقتصاد الوطني وتوجيهه في الاتجاه المخطط له. لذا تعد الموازنة العامة المحور الذي تدور حوله جميع اعمال الدولة ونشاطاتها في جميع المجالات على اختلاف اوضاعها[14].

(14) محمد شاكر عصفور، اصول الموازنة العامة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 2009، ص15.

اصبحت الموازنة العامة في الوقت المعاصر ضرورة لابد منها لكل دولة من دول العالم مهما كان نظامها السياسي وفلسفتها الاقتصادية السائدة

يختلف تعريف الموازنة العامة باختلاف وجهات النظر او الزاوية التي ينظر منها الى الموازنة العامة، فقد تعرف من خلال وجهة النظر الادارية والرقابية بأنها «تقدير تفصيلي لنفقات وايرادات الدولة خلال سنة مالية مقبلة تعده اجهزة الدولة وتعتمده الهيئة التشريعية بإصدار قانون خاص يجيز تنفيذ الموازنة بجانبيها النفقات والايرادات»[15]. ويعرفها القانون الفرنسي بأنها «القانون المالي السنوي الذي يقدر ويجيز لكل سنة ميلادية مجموع واردات الدولة وأعبائها»[16]. كما عرفها قانون أصول المحاسبات العراقي رقم (28) لعام 1940 المعدل بأنها «الجداول المتضمنة تخمين الواردات والمصروفات لسنة مالية واحدة تعيَن في قانون الموازنة»[17].

اما مفهوم الموازنة العامة من وجهة النظر الاقتصادية، فقد اختلف ايضاً باختلاف الدور الذي تقوم به الدولة في النشاط الاقتصادي، وفي هذا الاطار يمكن تعريف الموازنة العامة في ظل الفكر الاقتصادي التقليدي الذي يعبر عن دور الدولة الحارسة التي يقتصر دورها على الوظائف التقليدية وترك النشاط الاقتصادي الى الافراد وتحقيق التوازن الاقتصادي عن طريق آلية السوق، إذ تعرف بأنها الجداول المتوازنة بين الجانبين التي تتضمن كلاً من الايرادات والنفقات العامة خلال مدة مقبلة عادة ما تكون سنة[18]. ومن خلال التعريف يتضح ان الموازنة العامة في الفكر التقليدي تأخذ الطابع المالي المتمثل بتقدير وتساوي النفقات والايرادات وإجازة إنفاقها وجبايتها، دون التركيز على دورها كونها خطة مالية ذات أهداف اقتصادية واجتماعية.

ومع توسع دور الدولة في الاقتصاد لإعادة التوازن الاقتصادي والاجتماعي في حالات الاختلال الناجم عن الازمات الاقتصادية في النظام الرأسمالي، واستخدامها أداة لتحريك الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية، فقد أدى ذلك الى تغيير مفهوم الموازنة العامة وأصبحت تأخذ ابعاداً جديدة تعكس أهداف السياسة المالية[19] للدولة المتمثلة بالأهداف الاقتصادية والاجتماعية، فالموازنة العامة هي الاداة المالية التي تستخدم في تحقيق الاستقرار الاقتصادي وتحقيق التنمية الاقتصادية، وبناءً على ذلك فقد تعرف الموازنة العامة بأنها «خطة تتضمن تقديراً لنفقات الدولة وإيراداتها خلال مدة قادمة غالباً ما تكون سنة واحدة ويتم هذا التقدير في ضوء الاهداف التي تسعى إليها السلطة السياسية»[20].

اذن الموازنة بيان تقديري لنفقات وايرادات الدولة عن مدة مستقبلية تقاس عادة

(15) نقلاً عن: عبد الغفور ابراهيم احمد، مبادئ الاقتصاد والمالية العامة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص257.

(16) نقلاً عن: خالد شحاده الخطيب واحمد زهير شامية، اسس المالية العامة، دار وائل للنشر والتوزيع، ط3، عمان، 2007، ص270.

(17) نقلاً عن: عادل فليح العلي، المالية العامة والتشريع المالي، دار الجامعي للطباعة والنشر، الموصل، 2002، ص567.

(18) محمد طاقة وهدى العزاوي، اقتصاديات المالية العامة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2007، ص168.

(19) السياسة المالية: هي الاسلوب الذي تنتهجه الحكومة في تخطيط نفقاتها وايراداتها لتحقيق مجموعة من الاهداف الاقتصادية والاجتماعية في ضوء الفلسفة الاقتصادية السائدة، ويتجسد هذا الاسلوب من خلال الموازنة العامة للدولة، أي أن ارقام الموازنة تبرز منجزات السياسة المالية للدولة التي تحققت خلال السنوات الماضية، وأهداف هذه السياسة خلال السنوات المقبلة.
محمد شاكر عصفور، مصدر سبق ذكره، ص10.

(20) طاهر الجنابي، دراسات في المالية العامة، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1990، ص270.

بسنة، وتتطلب اجازة من السلطة التشريعية كما انها اداة رئيسية من ادوات السياسة المالية تعمل على تحقيق الاهداف الاقتصادية والاجتماعية للحكومة[21].

وعليه نستنتج مما تقدم ان الموازنة العامة هي برنامج مالي مقترح يتضمن النفقات العامة والايرادات العامة التقديرية، التي تعتزم الحكومة تنفيذها خلال مدة زمنية مقبلة غالباً ما تكون سنة، ويتم اعتمادها من قبل السلطة التشريعية، وبالتالي فإنها تعكس دور الدولة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية لتحقيق أهداف المجتمع، وصولاً الى مستوى اكثر تطوراً من الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية.

(21) سوسن كريم الجبوري، اختبار العلاقة التوازنية بين عجز الموازنة والاحتياطي النقدي الاجنبي في العراق للمدة (ـ2003 2013) باستخدام نموذج «Johansen، كلية الادارة واقتصاد، جامعة القادسية، مجلة القادسية للعلوم الاقتصادية والادارية، المجلد (17) العدد (3)، 2015، ص170.

ثانياً: أهمية الموازنة العامة

تعتبر الموازنة بمثابة خطة مالية للدولة ترمي الى إشباع الحاجات العامة في ضوء الفروق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمجتمع معين. وهي بمثابة المرآة العاكسة لمجمل النشاط الاقتصادي على اعتبار إن السلطة لا يمكنها ممارسة نشاطها دون إنفاق ولا يمكن إن تنفق دون الحصول على الموارد اللازمة، لذا فان بنود الموازنة تعكس أنشطة الدولة وتبين أهدافها، وأن الموازنة تتأثر بمجمل النشاط الاقتصادي على اعتبار إن الإيرادات كما ونوعاً ترتبط بهذا النشاط. فحصيلة الضرائب أو عوائد أملاك الدولة إنما ترتبط بالهيكل الاقتصادي وتتأثر بدرجة نمو الاقتصاد وطريقة تنظيمه، وهكذا هو الحال بالنسبة للنفقات حيث إنها ترتبط بهذا الهيكل وذلك النمو، إن المحتوى المعاصر للموازنة العامة يؤكد على كونها خطة مدروسة في ضوء احتياجات وإمكانيات الوزارات والأقاليم والمحافظات، وان بنود تقسيمات الموازنة توضع في ضوء الأهداف التي تسعى الدولة إلى تحقيقها، فهي من جهة تحدد النشاط الاقتصادي الذي ستقوم به الحكومة، وفي جانب آخر تحدد وسائل تمويل هذه الأنشطة، لذا تعد الموازنة أداة مهمة من أدوات السياسة المالية للدولة، حيث إن أهمية الموازنة من كونها أداة لتحقيق الأهداف خصوصاً إعادة توزيع الدخل بين الفئات الاجتماعية المختلفة من خلال توجيه النفقات العامة، وخصوصاً التحويلية منها وهي بالوقت نفسه وسيلة لتحقيق الاستخدام ومعالجة البطالة وتعبئة الموارد ورفع المستوى المعاشي للفرد والمجتمع[22].

تعد الموازنة أداة مهمة من أدوات السياسة المالية للدولة

(22) نجم عبد عليوي، دراسة وتحليل هيكل الموازنة العامة لدولة العراق من ـ2003 2007، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، PDF Created with desk PDF Writer - Trialhttp://www.docudesk.com

ثالثاً: السمات الاساسية للموازنة العامة[23]:

1 - أرقامها تقديرية: إدراج كافة النفقات العامة والايرادات العامة في وثيقة واحدة بأرقام تقديرية انعكاساً لسياسة الدولة في تحقيق الأهداف الاقتصادية.

(23) محمد شاكر عصفور، مصدر سبق ذكره، ص25.

2 - **تصدر بقانون:** يتم إعداد الموازنة العامة من قبل السلطة التنفيذية، ثم تقدم الى السلطة التشريعية للموافقة عليها واصدار بذلك قانون يجيز للسلطة التنفيذية القيام بتنفيذها في الحدود التي صدرت بها الاجـازة، بمعنى ان الموازنة اصبحت وسيلة من وسائل، اخضاع السلطة التنفيذية لرقابة السلطة التشريعية.

3 - **أداة لتنفيذ سياسة الدولة:** تعد الموازنة العامة اهم وسيلة لتدخل الدولة في تنفيذ سياستها المالية لإدارة المرافق العامة بانتظام، والوفاء بالتزاماتها الذي يعد شرطاً لتوافر الثقة في مالية الدولة، كما تمكن الدولة من تقديم الخدمات الاجتماعية كالتعليم والصحة والامن ومنح الاعانات المختلفة وايجاد العمل للعاطلين وتنفيذ المخطط الاقتصادي من خلال التأثير على الانتاج والاستهلاك واعادة توزيع الدخل القومي الى جانب تحقيق معدلات مقبولة للنمو الاقتصادي.

رابعاً: الأهداف الاساسية للموازنة[24]:

1 - ربط قرارات المصروفات بأهداف سياسية محددة وبالموارد الحالية والمقبولة.

2 - ربط كل القرارات الرئيسة بوضع الاقتصاد القومي.

3 - ضمان الكفاءة والفعالية في تنفيذ برامج الحكومة.

4 - تسهيل الرقابة التشريعية على مختلف مراحل عملية الموازنة.

خامساً: مكونات الموازنة العامة

1 - **النفقات العامة:** هي عبارة عن مبلغ نقدي يخرج من الذمة المالية للدولة او احدى السلطات المكونة لها بقصد اشباع حاجة من الحاجات العامة فمن خلالها تتمكن الدولة من توفير البنية الأساسية اللازمة للتنمية، والتأثير في مسار النمو الاقتصادي، كما يمكنها ان تهيئ الخدمات الاجتماعية اللازمة للوفاء بالاحتياجات الاساسية للسكان. وكفاءة النفقات العامة ترتبط بمدى قدرة الدولة في تحديد المجالات التي تكون مشاركتها فيها ضرورية، من ناحية اخرى كيفية انفاق الموارد المحدودة بأكبر قدر من الكفاءة والفاعلية في تلك المجالات، فجميع الاموال لها استخدامات بديلة، الا ان بعض اوجه النفقات العامة لها ما يبررها، فالنفقات العسكرية تمثل في عدد كبير من ميزانيات الدول من اهم بنود النفقات العامة، وقد تختلف اهميتها من دولة الى اخرى بحسب ظروفها الخاصة (الجغرافية، السياسية، التاريخية)[25].

(24) محمد مـروان السمان وآخـرون، مبـادئ التحليل الاقتـصادي الجزئي والكلي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص314.

(25) عـادل احمد حشيش، اساسيات المالية العامة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996، ص269.

2 - **الإيرادات العامة:** لم تعد وظيفة الايرادات العامة مقتصرة على عملية تمويل النفقات العامة، بل اصبحت اداة هامة وفعالة لتنظيم الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية للدولة كافة، بما يؤدي الى تحقيق اكبر فائدة وعائد ممكن للمجتمع بأقل التكاليف، الى جانب ذلك اصبحت الايرادات اداة من ادوات التوجيه الاقتصادي والاجتماعي، فقد اصبحت اداة لمنع اوجه الانشطة الاقتصادية غير المرغوبة، او اداة لتوجيه الاستثمار ومحاربة التضخم وذلك عن طريق امتصاص جزء من القوة الشرائية من السوق لإعادة توزيع الدخول والثروات[26].

(26) المصدر نفسه، ص ص 270ـ272.

وقد تعددت قنوات الايرادات العامة وتنوعت اساليبها واختلفت طبيعتها تبعاً لنوع الخدمة العامة التي تؤديها الدولة وهدفها منها، فمن هذه الايرادات الدومين الخاص والعام والضرائب والرسوم، والقروض العامة، والاصدار النقدي، والهبات المحلية والأجنبية، والغرامات، والتعويضات التي تحدث لممتلكات الدولة من جانب الغير، والاتاوات.

سادساً: قواعد الموازنة العامة الأساسية

مع تطور مفهوم الموازنة نشأت مبادئ وتقاليد استقرت بمرور الزمن على شكل قواعد اعتمدت اساساً في اعداد الموازنة العامة. والغرض من اتباع هذه القواعد هو تسهيل معرفة المركز المالي للدولة ووضوحه من خلال فحص الموازنة وتيسير الرقابة عليها[27].

(27) عادل فليح العلي و طلال كداوي، اقتصاديات المالية العامة (الايرادات العامة والموازنة العامة للدولة)، ج2، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1989، ص279.

1 - وحدة الموازنة العامة

تقتضي هذه القاعدة ان تدرج كافة ايرادات الدولة ومصروفاتها في وثيقة واحدة يمكن من خلالها معرفة الموقف المالي للدولة بشكل دوري اي ان تنظم الموازنة جدولين يتضمنان نفقات الدولة كافة مهما كانت اوجه انفاقها، كذلك الايرادات العامة للدولة كافة مهما تعددت الدوائر والمؤسسات العامة وتنوعت مصادرها[28].

(28) المصدر نفسه، ص290.

تعتمد هذه القاعدة على عدة اعتبارات مالية واقتصادية وسياسية[29]:

(29) جهاد سعيد خصاونة، المالية العامة والتشريع الضريبي، الجامعة الاردنية، 2000، ص224.

اولاً: من الناحية المالية: تمكن السلطة التنفيذية من اعطاء فكرة صحيحة وسريعة عن المركز المالي للدولة في السنة المعينة، مما يسهل مقارنة النفقات العامة مع الايرادات العامة وبيان التعادل بينهما لتبين ان كان في الموازنة العامة عجز او فائض او انها متوازنة.

ثانياً: من الناحية الاقتصادية: تسهل هذه القاعدة اعطاء فكرة صحيحة عن نسبة النفقات العامة او الايرادات العامة الى الدخل القومي كون الارقام موجودة في وثيقة واحدة.

ثالثا: من الناحية السياسية: تجعل من السهل على السلطة التشريعية ممارسة حقها في الرقابة الفعالة على المالية العامة للدولة، كذلك بجمع نفقات وايرادات الدولة ضمن وثيقة واحدة مما يسهل اطلاع ممثلي الشعب على اجمالي النفقات العامة والايرادات العامة وانواع كل منها، مما يمكن من اجراء مفاضلة على عكس فيما اذا تعددت اذ يكون من الصعب احكام الرقابة عليها ويصبح شرط الموافقة على الموازنة شرطاً ليس له اثر.

2 - سنوية الموازنة العامة

يقصد بهذه القاعدة ان تسري الموازنة خلال مدة تبدأ باليوم الاول الذي توضع فيه موضع التنفيذ بعد المصادقة عليها من السلطة التشريعية، وتنتهي مع تاريخ اخر يوم لتنفيذها بحيث تغطي سنة كاملة وتحدد بداية السنة المالية لأية دولة في ضوء النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

وقد استقر الفكر المالي وعلماء المالية على احتساب مدة الموازنة سنة كاملة لأسباب منها[30]:

اولاً: الاعتبارات السياسية: اذ تؤمن سنوية الموازنة العامة استمرار الرقابة السياسية التي تفرضها السلطة التشريعية على اعمال الحكومة (السلطة التنفيذية).

ثانياً: الاعتبارات المالية: اذ ان المشروعات الخاصة تضع موازنتها كل عام كما تحصل الضرائب المباشرة عن مدة العام ايضاً، هذا اضافة الى ان السنة هي انسب مدة لتوقع نفقات وايرادات الدولة.

ان تحديد بداية السنة المالية ونهايتها يرتبط بالطريقة المتبعة في قيد الحساب النهائي للسنة المالية، فقد تنتهي السنة المالية دون ان يتم انفاق النفقات كافة او تحصيل الايرادات كافة.

3 - عمومية الموازنة العامة

ويقصد بقاعدة شمول او عمومية الموازنة العامة بأن تتضمن تقديرات الموازنة كافة الايرادات العامة والنفقات العامة بشكل مفصل، بمعنى وجوب اشتمال الموازنة

(30) محمد حسين احمد الحسيني، استخدام اسلوب موازنة البرامج والاداء في اعداد الموازنة العامة للدولة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، 2003، ص40.

العامة على كل الايـرادات التي تم تحصيلها، والنفقات التي انفقت في سبيل الحصول على هذه الايرادات ودونما اجراء مقاصة بين الايرادات والنفقات في دائرة معينة، وانما بإثبات كافة الإيرادات والنفقات لتلك الدائرة كما هي، ومن شأن هذه القاعدة ان تحول دون الاسراف في مصروفات الدوائر او الجهات الحكومية المختلفة، كما انها تمكن السلطة التشريعية من فرض رقابتها الدقيقة على مالية الدولة[31].

تستند قاعدة شمولية الموازنة بدورها الى اعتبارين: احدهما سياسي، والاخر مالي، اما الاعتبار السياسي فهو تمكين السلطة التشريعية لمراقبة سير الادارة الحكومية فيما يتعلق بنفقاتها الخاصة اللازمة لتسييرها، ذلك ان اتباع طريقة الموازنة الصافية يحجب عن السلطة التشريعية كل ما يتعلق بتفاصيل نفقات المرافق العامة ولا يظهر له الا رصيد هذه المرافق دائناً او مديناً.

واما الاعتبار المالي فهو محاسبة الاسراف في الانفاق الحكومي، اذ تتيح طريقة الموازنة الصافية للمدقق العام الذي يحقق ايرادات تجاوز نفقاته ان يسرف في هذه النفقات فيما لا ضرورة له اعتماداً على انه لن يظهر في ميزانيته إلا فائض الايرادات على النفقات، وعلى انه لن يجد رقابة من البرلمان على بنود نفقاته[32].

4 - توازن الموازنة العامة

يقصد بها توازن موارد الدولة واستخداماتها، وذلك عن طريق تدبير الموارد اللازمة لمقابلة الاستخدامات، وان السياسة الحكيمة هي ان تنظم الدولة وتدبر امورها في حدود الموارد المتاحة لها، الا ان التوازن لم يعد ممكناً في معظم موازنات دول العالم وتلجأ الدول الى وسائل عديدة لتغطية العجز في موازناتها، مثل اللجوء الى المدخرات المحلية وفائض بعض هيئات الادخار والائتمان او الاقتراض من الجهاز المصرفي او الاقتراض من الخارج[33].

5 - شفافية[34] المالية العامة وعلانية الموازنة العامة

نتيجة للتطور الذي لحق بدور الدولة في ظل الاتجاهات المعاصرة، والدعوة الى الشفافية في تصرفات الدولة المالية، كما دعا إليها ميثاق الممارسات السليمة في مجال شفافية المالية العامة، أضيفت قاعدة إضافية الى قواعد الموازنة العامة الاساسية تتمثل في قاعدة علانية اعداد الموازنة العامة وتنفيذها والإبلاغ بنتائجها.
وفقاً لقاعدة العلانية يجب ان تنشر الموازنة وتبلغ الجهات المختلفة (المجلس التشريعي والمواطنين والـوزارات واصحاب المصالح والوحدات الإداريـة)،

(31) مليحة جبار عبد الكعبي، الضريبة ودورها في تمويل الموازنة العامة للمدة «1985 ـ 2005» مصر والأردن والعراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية، كلية الادارة والاقتصاد، 2008، ص 43.

(32) المصدر نفسه، ص 44.

(33) هادي عبد الواحد الحلفي، اصلاح الاداء المالي للموازنة العامة في العراق للمدة (2004_2010)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الادارة والاقتصاد، 2012، ص24.

(34) الشفافية: تشير الى سرعة كفاءة نقل المعلومات الى الجمهور، وعامل الشفافية يعكس مدى نزاهة الاجراءات، وهو العامل المسؤول عن ارساء قواعد العدل والمساواة لذا تتناقل المعلومات بسرعة وكفاءة. وللمزيد من التفصيل ينظر: مفهوم الشفافية على الانترنيت: http://www. Ammabsto, ckey.com, Arabi c, press-reles-arabic .htm.

ويختلف اسلوب النشر ومستوى تفصيل وطبيعة البيانات الواجب نشرها، فعلى سبيل المثال:

بالنسبة للجمهور بصفة عامة يتم نشر اجماليات عن اهم عناصر الموازنة العامة من ايرادات ومصروفات وقيمة العجز والاتجاهات العامة الاقتصادية والاجتماعية للموازنة لبيان دور الموازنة في رفع المستوى المعيشي وتوفير السلع والخدمات اللازمة لأفراد الشعب كافة (الدعم مثلاً)، كما يتم نشر مقارنة مع السنوات المالية في صورة احصائية وبيانية يسهل على الجمهور فهمها، اما بالنسبة للسلطة التشريعية فينبغي ابلاغها بالموازنة بصورة تفصيلية مما يسهل دراستها واعتمادها، اذ يتطلب ذلك معرفة الاهمية النسبية للمصروفات الجارية والرأسمالية، وتوزيع الموازنة على المناطق الجغرافية والوحدات الادارية المختلفة، ومدى اتساق الموازنة مع خطط التنمية الاقتصادية، وبالنسبة للوحدات الادارية والفرعية يتم إبلاغها بما يخصها من تقديرات الموازنة بصورة تفصيلية وتحليلية دقيقة مما يسهل عملية تنفيذ الموازنة والرقابة عليها[35].

(35) مليحة جبار عبد الكعبي، مصدر سبق ذكره، 44.

المبحث الثالث: متغيرات الاقتصاد العراقي دراسة (الموازنة العامة وسعر الصرف)

أولاً: تحليل العلاقة بين الموازنة العامة وسعر الصرف

تأتي العلاقة بين أسعار الصرف والموازنة العامة من خلال تحليل العلاقة بين ارتفاع او انخفاض قيمة العملة وما يترتب على هذا من جملة تداعيات على الموازنة العامة للدولة. ان الموازنة العامة بمختلف بنودها لها علاقة بالتغيرات التي تحدث في أسعار صرف العملات، ويمكن تسليط الضوء على آثار تلك الحالات على الموازنة العامة سواء كانت بالعجز او الفائض، ولهذا الغرض يركز البحث على حالتي ارتفاع وانخفاض سعر الصرف وآثارهما على الموازنة العامة وكالاتي[36]:

1 - حالة انخفاض اسعار الصرف: يعتبر سعر الصرف اداة نقدية شديدة التأثير على المعاملات الجارية مع العالم الخارجي والمعاملات الرأسمالية على السواء، ففي مجال السلع الغذائية نجد ان تأثير هذه الاداة على حركة استيراد وتصدير هذه السلع، وان انخفاض سعر الصرف يؤدي الى الحد من الواردات ومن ثم انخفاض الكميات المستوردة من السلع الغذائية لارتفاع أسعارها بالعملة المحلية، ويتحول الطلب في معظمه الى السلع الغذائية المنتجة محلياً، وهو ما يؤدي الى زيادة أسعارها وانخفاض الطلب المحلي عليها، ويؤدى انخفاض سعر الصرف المحلي الى

(36) سردار عثمان خدر و هيوا عثمان اسماعيل، تحليل أثر تقلبات سعر الصرف الأجنبي في الموازنة العامة لإقليم كوردستان العراق للمدة1990ـ 2013، مجلة جامعة الانبار للعلوم الاقتصادية والادارية، المجلد 7، العدد13، السنة 2015، ص ص240ـ 241.

ارتفاع المستوى العام للأسعار على نحو يؤدي الى تدهور القيمة الحقيقية للأرصدة النقدية، مما يدفع الى زيادة الطلب على النقود وانخفاض مستوى الناتج القومي والتشغيل نتيجة استمرار الزيادة السنوية في الأسعار. اما فيما يتعلق بالواردات من المعدات الرأسمالية والآلات والسلع الاستهلاكية والمدخلات المستوردة فان انخفاض سعر الصرف المحلي يترتب عليه ارتفاع نفقات انتاج كثير من المنتجات التي تستخدم الخامات والآلات المستوردة، ونظرا للحاجة الماسة لهذه المدخلات وتعذر انتاجها محلياً، فقد تضطر المشروعات المحلية الى تخفيض حجم طاقتها الإنتاجية والى عدم التوسع في الانفاق الاستثماري، وحتى بافتراض قدرة هذه المشروعات على تعويض هذا الاثر جزئياً عن طريق زيادة صادراتها، فان اصحاب هذه المشروعات لن يكونوا راغبين في القيام باستثمارات جديدة بسبب نقص الطلب المحلي الناتج عن ارتفاع المستوى العام للأسعار، حيث أن أثر تلك الحالة هو إثقال كاهل الموازنة العامة للدولة بسبب ارتفاع الأسعار، مما يضطر الدولة إلى تحمل التكاليف الاجتماعية للتكييف الاقتصادي، وكذلك زيادة عبء القروض الخارجية، وهذا ينعكس على الموازنة العامة ويؤدي الى عجزها، وهذا من جراء التضخم الذي أحدثته تلك التقلبات في أسعار الصرف في الداخل. وفيما يتعلق بمدفوعات الدول لفوائد وأقساط القروض الخارجية خاصة المستحقة منها، تتأثر هي الأخرى بفعل تقلبات أسعار الصرف، حيث تتحمل الموازنة العامة للدولة أعباء إضافية للقروض الأجنبية عند تقويمها بالعملة المحلية، وتزداد قيمة خدمات تلك القروض مقومة بالعملة المحلية عند تخفيض قيمة هذه الأخيرة، وتزداد حدة هذا العبء على الموازنة العامة في حالة ارتفاع أسعار الفائدة على القروض الخارجية، وبالعكس عندما تواجه الحكومة عجزا في ما إذا كانت أسعار الفائدة تتجه نحو الانخفاض أي الموازنة، يكون لزاما عليها الاقتراض لدفع فواتيرها عند انخفاض سعر الصرف فان هذا يؤدي الى ارتفاع الأسعار وقيمة الصادرات، وبالتالي انخفاض حصيلة الضرائب على الصادرات وانخفاض النفقات على المستوردات، وبالتالي انخفاض العبء عن الموازنة العامة ثم انخفاض عجز فيها، اضافة الى ذلك يؤدي الى انخفاض الاستثمارات المحلية والناتج المحلى الاجمالي بسبب ارتفاع نفقات انتاج كثير من المنتجات التي تستخدم الخامات والآلات المستوردة، ونظرا للحاجة الماسة لهذه المدخلات.

تتحمل الموازنة العامة للدولة أعباء إضافية للقروض الأجنبية عند تقويمها بالعملة المحلية

2 - في حالة ارتفاع أسعار الصرف: ان ارتفاع أسعار الصرف يؤدي الى خلق حالة

تؤثر على الطلب الكلي للسلع والخدمات بسبب ارتفاع أسعارها محلياً، وفي المقابل زيادة الطلب على السلع المستوردة مما يؤثر سلباً على حركة الحساب الجاري، وبالتالي على ميزان المدفوعات، هذا من جانب ومن جانب آخر يؤدي الى انخفاض الايرادات الضريبية على الصادرات ثم انخفاض الايرادات في الموازنة العامة، وفي الوقت نفسه زيادة النفقات على المستوردات. ولم تتوقف تلك الآثار الى هذا الحد بل تمتد الى القدرة التنافسية للسلع والخدمات المنتجة محليا، ونستنتج من خلال هذا التحليل أنها تجعل أسعار الواردات اكثر جاذبية بالنسبة للمقيمين. بالنسبة لارتفاع سعر الصرف وتأثيره على الموازنة العامة، أن هناك علاقة بين ارتفاع سعر الصرف وعجز الموازنة العامة أي عندما يرتفع سعر الصرف يؤدي ذلك الى انخفاض الأسعار وقيمة الصادرات، وبالتالي انخفاض حصيلة الضرائب على الصادرات وارتفاع قيمة الاستيرادات وزيادة النفقات على المستوردات، وبالتالي اثقال كاهل الموازنة العامة ثم ازدياد العجز في الموازنة العامة.

زيادة الطلب على السلع المستوردة يؤثر سلباً على حركة الحساب الجاري، وبالتالي على ميزان المدفوعات

ثانياً: الموازنة العامة الاتحادية في العراق

تختلف القراءات الاقتصادية للقوائم المالية لأي نشاط اقتصادي وفقا لمنطلقات التحليل ومستهدفاته، كما تختلف القراءة بين المخطط والمقوم. وهنا نحن امام حقائق مالية ونقدية تتمثل في خلاصة انشطة الاقتصاد الكلي ان كانت تمثل السياسة المالية أم النقدية. ومع تأكيد الافتراضات التي تركز على وجود آلية للتأثير بين السياسة المالية والنقدية، سنتعرض لاتجاهات مخرجات هذه السياسات التي تتمثل بالقوائم المالية لكل منها.

من خلال الجدول رقم (1) الذي يعطينا بيانات عن الموازنة العامة ومكوناتها، والتي نجد فيها ان الايرادات العامة ارتفعت من 32.982739 ترليون دينار عام 2004 الى اعلى قيمة لها عام 2012 اذ بلغت 119.466403 ترليون دينار، ثم اخذت بالانخفاض نتيجة لانخفاض ايرادات النفط التي تمثل نسبة تتجاوز 95% كمتوسط للمدة، فوصلت الى 54.409270 ترليون دينار عام 2016. بينما تراوح العجز بين 5.9% عام 2015، ورغم مسار التذبذب الذي شهدته نسب العجز الا انه في السنوات الاخيرة كان 23% عام 2016.

وعند حساب معدل النمو الحقيقي السنوي خلال المدة سنجد ان الايرادات ارتفعت بمعدل سنوي مقداره 10.098% بينما ارتفعت النفقات بمعدل اعلى قليلا

وهو 10.15% في حين ان معدل نمو العجز كان اقل منهما اذ بلغ 9.895%. هذه المعدلات المتقاربة للنمو في كل من العجز والايرادات العامة وكذلك النفقات العامة قد توحي بوجود تنسيق فعال عند اعداد الموازنة من قبل السلطات المالية، لكن هل هناك تنسيق بين السلطات المالية والنقدية؟

ان حجم الفائض قد ازداد من 865.248 مليار دينار عام 2004 ليصل الى 21.830397 ترليون دينار عام 2014، فيما حققت السنوات (2015-2016) عجزاً بما يقارب (3.927263- 12.658167) ترليون دينار على التوالي، وهذا يرتب اعباءً على السلطات النقدية، اذ ان تمويل العجز سيكون عبر القروض الخارجية.

جدول (1)

بعض مؤشرات الموازنة العامة الاتحادية في العراق للمدة 2006-2018

اسعار جارية- مليون دينار عراقي

السنة	النفقات	الايرادات	العجز او الفائض السنوي	نسبة العجز او الفائض الى الايرادات %
2004	32117491	32982739	865248	2.62
2005	26375175	40502890	14127715	34.9
2006	38806679	49055545	10248866	20.9
2007	39031232	54599451	15568219	28.5
2008	59403375	80252182	20848807	26
2009	52567025	55209353	2642328	4.79
2010	64351984	69521117	5169133	7.44
2011	69639523	99998776	30359253	30.4
2012	90374783	119466403	29091620	24.4
2013	106873027	113767395	6894368	6.06
2014	83556226	105386623	21830397	20.7
2015	70397515	66470252	(3927263)	(5.9)
2016	67067437	54409270	(12658167)	(23)
2017	75490115	77335955	1845840	2.39
2018	63159398	88620129	25460731	28.7

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على: البنك المركزي العراقي (2004-2018)، https://www.cbi.iq.

ثالثاً: سعر الصرف الدينار العراقي مقابل الدولار

يعد سعر الصرف من الأدوات المهمة التي تمارس دوراً مؤثراً وبالغ الأهمية في اقتصاديات الدول، وفي العراق مر هذا السعر بعدة مراحل يمكن الإشارة إليها وبشكل موجز على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: التي تمتد من السبعينات حتى (1980) حيث كان النظام السائد هو سعر الصرف الثابت، إذ حددت قيمة الدينار العراقي بما يعادل (3.2) دولار لكل دينار.

المرحلة الثانية: وتمتد من عام (1980) حتى عام (1990)، وتميزت بالاختلال المالي الذي تعرضت له الميزانية الحكومية للدولة، ولجوء الحكومة إلى التمويل بالعجز عن طريق الاقتراض من السلطة النقدية باستخدام حوالات الخزينة، وبلغ سعر الصرف خلالها بحدود تراوحت بين (300-400) دينار للدولار.

المرحلة الثالثة: بدأت هذه المرحلة عام (1990) الذي شهد فرض العقوبات الاقتصادية على العراق، وانتهت هذه المرحلة بسقوط النظام عام (2003).

المرحلة الرابعة (موضوع البحث): تبدأ من عام (2003)، إذ شهدت هذه المرحلة تغيراً مهماً وبالتحديد في (4/10/2003) وهو تاريخ العمل بمزاد العملة الأجنبية الذي كان له اثر واضحٌ في تقليل حدة التقلبات في سعر صرف الدينار العراقي.

شهدت المدة (2005-2008) ارتفاعا في سعر الصرف الحقيقي من (1.42) عام 2005 إلى (3.31) 2008، وشهدت سنة (2009) انخفاضاً في سعر الصرف الحقيقي إلى (3.27) واستقراراً في أسعار صرف الدينار العراقي اتجاه الدولار الأمريكي، وبمعدل سعر بلغ (1170) دينار لكل دولار نتيجة للسياسة النقدية التي اتبعها البنك المركزي باستخدام سعر الصرف كأداة الاستقرار في القيمة الخارجية للدينار العراقي، فقد ارتفع سعر صرف الدينار للدولار في مزاد البنك والسوق المحلية خلال عام (2009) وبنسبة (2%) عن عام (2008)، حيث تراوحت أسعار صرف الدينار اتجاه الدولار في مزاد البنك المركزي ما بين (1214-1172) دينار/ دولار أي بمعدل سنوي بلغ (1193) دينار/ دولار، وحافظ سعر صرف الدينار العراقي على استقراره اتجاه الدولار الأمريكي في مزاد البنك المركزي العراقي عند سعر (1170) دينار للدولار في عام (2010) نتيجة للسياسة النقدية الهادفة للمحافظة على استقرار العملة العراقية في الخارج، أما في السوق الموازية فقد ارتفع سعر صرف الدينار العراقي تجاه الدولار الأمريكي خلال عام (2010) ليصل إلى (1186) دينار/ دولار بعد ان كان (1170) دينار/ دولار خلال عام (2009)، أي بنسبة تغير (0.4%). كما تمكن البنك

المركزي عام (2011) من بناء احتياطيات مهمة بالعملة الأجنبية بلغت مستويات تزيد عن العملة العراقية المصدرة، واستمر البنك المركزي العراقي خلال عامي(2010 و2011) بالمحافظة على استقرار سعر صرف الرسمي للدينار العراقي تجاه الدولار الأمريكي عند سعر صرف (1186)، (1196) دينار للدولار (يتقاضى البنك المركزي عمولة قدرها (13) دينار لكل دولار لسعر البيع النقدي والحوالة) من خلال إقامة مزاد العملة الأجنبية بشكل يومي، في حين سجل سعر صرف الدينار العراقي تجاه الدولار الأمريكي في السوق الموازية ارتفاعاً تدريجياً إذ بلغ (1233,1196) في عامي (2012 و2011) وعلى التوالي، فيما شهدت المدة (2010-2012) ارتفاعاً في سعر الصرف الحقيقي بلغ (6.65 ,3.39 ,3.29) على التوالي بسبب ارتفاع معدلات التضخم. اما عام (2013) فقط حافظ على استقرار نسبي لسعر الصرف المتمثل

جدول (2)

معدل سعر صرف الدينار العراقي أمام الدولار (2005 2018-)

السنوات	سعر الصرف السوقي للدينار /الدولار	معدل النمو السنوي %*
2005	1472	
2006	1475	%0.2
2007	1267	%-14.1
2008	1193	%-5.8
2009	1170	%-1.9
2010	1186	%1.4
2011	1196	%0.8
2012	1233	%3.1
2013	1232	%-0.1
2014	1214	%-1.5
2015	1304	%7.4
2016	1275	%-2.2
2017	1258	%-1.3
2018	1209	-3.9

المصدر: الجدول من إعداد الباحثة بالاعتماد على: البنك المركزي العراقي (2004 -2018)، https://www.cbi.iq.

*احتسب معدل النمو السنوي لسعر الصرف= $\frac{\text{سعر الصرف في سنة المقاربة} - \text{سعر الصرف في سنة الأساس}}{\text{سعر الصرف في سنة الأساس}} \times 100$

**احتسب معدل النمو السنوي المركب= $R = \left(n\sqrt{\frac{X_t}{X_o}} - 1\right) \times 100$

إذ إن R = معدل النمو المركب، Xt = قيمة المتغير في سنة الاخيرة، XO = قيمة المتغير في سنة الأولى، n = عدد السنوات

(1232) دينار/ دولار. ويلاحظ انخفاض نسبي في عام 2014 تمثل بـ(-1.5%) أي مقدار 1214 دينار/ دولار، اما عام 2015 فقط ارتفع سعر الصرف بنسبة(7.4%) والمتمثل 1304دينار/ دولار، وهي اعلى نسبة لثماني سنوات سابقة، اما عام (2016-2018) فقط هبط سعر صرف الدولار بمعدل (-2.2%, 3.9-%) بسبب ارتفاع اسعار النفط، ويمكن متابعة التغيرات السابقة في الجدول رقم (2):

الخاتـمـــة

الاستنتاجات:

1 - توصلت الدراسة الى ان اسعار الصرف تؤثر علـى الموازنة العامـة من خلال تأثيرها على مكونات الموازنـة العامـة المتمثلة بالنفقات العامة والإيرادات العامـة، ويكون التأثير بشكل غير مباشر عن طريق تغيــرات الاسعار المحليـة، حيث ان أثر التقلبات فـي سعر الصرف هو اثقال او خفض كاهل الموازنة العامـة، والتي عرفت بارتفاع او انخفاض فـي الاسعار مما تضطر الدولة الى تحمل التكاليف الاضافية او زيادة نسبة الايادات نتيجة زيادة حجم الصادرات من خلال تنويعها.

2 - اظهرت الدراسة بان هناك علاقة عكسية بين سعر صرف الدولار وعجز الموازنة العامة، اي انخفاض سعر الصرف لأي بلد يؤدي الى ارتفاع الطلب على صادراته، اذ ان انخفاض سعر صرف الدولار، يؤدي الى ارتفاع في عجز الموازنة العامة للحكومة.

3 - عانت الموازنة الحكومية في العراق من عجز مستمر ومتزايد خلال الأعوام من(1990 - 2002) أما في الأعوام (2004 - 2018) فقد شهدت الموازنة العراقية فائضا ماليا سببه عدم إتمام العديد من الخطط والمشاريع، ومنذ المدة المذكورة أخذت الموازنة تبدأ بعجز مخطط وتنتهي بفائض، ومن هذا الفائض الذي يظهر في الموازنة قد يأخذ على العراق انطباعاً بأن هناك فائضا متزايد من سنة لأخرى، وإن الإيرادات تغطي النفقات في العراق، وأن العراق من البلدان التي تحق فائضاً في الموازنة، ولكن الحقيقة غير هذه، إذ إن معظم الإيرادات المتأتية للموازنة هي من صادرات النفط الخام التي يستند في تقديرها على الكميات المتوقع تصديرها من النفط الخام، وبسعر معين لبرميل النفط في السوق العالمية، وهو بالتأكيد خاضع لمتغيرات الاقتصاد العالمي، وهذا ما يجعله عرضة للتذبذب، مما يترتب عليه عدم اليقين بتمويل الموازنة، وهذا ما

يفسر العجز المخطط في موازنة عامي (2011و2012) القائمة على تقديرات أولية في سعر برميل النفط التي استندت عليه الموازنة في تقدير الإيرادات والنفقات لهذين العامين.

التوصيات:

1 - انشاء مؤسسة متخصصة بشؤون اسعار الصرف الاجنبي، ويتم الاشراف عليها من قبل بنك المركزي، لغرض جمع البيانات والمعلومات عن أسعار الصرف للعملات الأجنبية.

2 - انتهاج سياسة تعظيم الإيرادات من خلال إصلاح النظام الضريبي والكمركي، إذ إن تعديل معدل الضريبة يؤدي إلى رفع الحصيلة الضريبية، وهناك رأي يقول إن خفض معدل الضرائب لا يعد السبب الوحيد في انخفاض الحصيلة الضريبية، بل إن رفع معدل الضرائب أعلى من الحد الأمثل أيضا يؤدي إلى خفض الحصيلة الضريبية نتيجة للتهرب الضريبي، ومن ثم فأن خفض معدل الضرائب على الأنشطة الاقتصادية الحيوية والرئيسة مثل الشركات التجارية والعقارية يؤدي إلى رفع حركة النشاط الاقتصادي، وبالمقابل يفترض ان يتم تعويض هذا الانخفاض في معدل الضرائب برفعه على السلع الكمالية، ومعالجة المتأخرات الضريبية وظاهرة الركوب المجاني للخدمات العامة.

3 - إعطاء مدة زمنية يتم خلالها تخفيض العجز في الموازنة الحكومية، مع الأخذ بنظر الاعتبار مسألة تنويع مصادر تمويل العجز المالي، خاصة المصادر التي لا تعمل على زيادة الكتلة النقدية في الإقتصاد، وتقليل الاعتماد على التمويل الخارجي كالقروض التي لا تنصب في مصلحة الدول النامية.

4 - إنشاء صندوق سيادي للاستقرار الاقتصادي، إذ يمكن إن يعمل هذا الصندوق على استثمار الفوائض عند ارتفاع أسعار النفط وإمكانية تعويض النقص الذي يحصل في الإيرادات عند انخفاض أسعار النفط، كما أن هذا الصندوق سيقلل من اثر العجز فضلا عن تحقيق مكاسب من استثمارات هذا الصندوق.

5 - الاهتمام بوضع خطط شاملة لإعادة أعمار البنى التحتية للاقتصاد كونها الركيزة الأساسية لتوفير المناخ الملائم للاستثمار الخاص سواء أكان محليا أم أجنبيا.

6 - اعتماد أساليب حديثة ودقيقة من اجل توفير بيانات أكثر دقة للمتغيرات الاقتصادية في العراق لأن ذلك سيجعل نتائج الدراسات أكثر دقة، ويمكن الاستفادة منها لتحسين الوضع الاقتصادي في العراق.

قائمة المصادر العربية:

القرآن الكريم

أولاً: الكتب:-

1 - اسامة محمد الغولي، مجدي محمد شهاب، العلاقات الاقتصادية الدولية، دار الجامعة الجديدة للنشر، 1997.

2 - أمين صيد، سياسة الصرف كأداة لتسوية الاختلال في ميزان المدفوعات، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2013.

3 - جهاد سعيد خصاونة، المالية العامة والتشريع الضريبي، الجامعة الاردنية، 2000.

4 - حمدي عبد العظيم، سياسة سعر الصرف وعلاقته بالموازنة العامة للدولة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984.

5 - خالد شحاده الخطيب واحمد زهير شامية، اسس المالية العامة، دار وائل للنشر والتوزيع، ط3، عمان، 2007.

6 - سميح مسعود، الموسوعة الاقتصادية، ج1، دار الشروق، عمان، 2008.

7 - طاهر الجنابي، دراسات في المالية العامة، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1990.

8 - عادل احمد حشيش، اساسيات المالية العامة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996.

9 - عادل فليح العلي، المالية العامة والتشريع المالي، دار الجامعي للطباعة والنشر، الموصل، 2002.

10 - عادل فليح العلي وطلال كداوي، اقتصاديات المالية العامة (الايرادات العامة والموازنة العامة للدولة)، ج2، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1989.

11 - عبد الحسين جليل الغالبي، الصيرفة المركزية النظرية والسياسات، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الاشرف، 2015.

12 - عبد الحق بوعتروس، تقنيات إدارة مخاطر سعر الصرف، مؤتمر إدارة المخاطر واقتصاد المعرفة، جامعة الزيتونة، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، عمان- الاردن، 2007.

13 - عبد الغفور ابراهيم احمد، مبادئ الاقتصاد والمالية العامة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

14 - عبد المجيد قدي، المدخل إلى السياسات الاقتصادية الكلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.

15 - محمد شاكر عصفور، اصول الموازنة العامة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط2، عمان، 2009.

16 - محمد طاقة وهدى العزاوي، اقتصاديات المالية العامة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2007.

17 - محمد مروان السمان وآخرون، مبادئ التحليل الاقتصادي الجزئي والكلي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

18 - محمود يونس وعبد المنعم مبارك، مقدمة في النقود واعمال البنوك والاسواق المالية، الدار الجامعية، الاسكندرية، 2003.

ثانيا: البحوث والدراسات:

1 - سردار عثمان خدر وهيوا عثمان اسماعيل، تحليل أثر تقلبات سعر الصرف الأجنبي في الموازنة العامة لأقليم كوردستان العراق للمدة 1990 - 2013، مجلة جامعة الانبار للعلوم الاقتصادية والادارية، المجلد 7، العدد13، السنة 2015.

2 - سوسن كريم الجبوري، اختبار العلاقة التوازنية بين عجز الموازنة والاحتياطي النقدي الاجنبي في العراق للمدة (2003- 2013) باستخدام نموذج (Johansen)، كلية الادارة واقتصاد، جامعة القادسية، مجلة القادسية للعلوم الاقتصادية والادارية، المجلد (17) العدد (3)، 2015.

3 - صباح نوري عباس، اثر التضخم على سعر الصرف التوازني للدينار العراقي للمدة 1990-2005: بحث تطبيقي، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد السابع عشر، 2008.

4 - محمد سلمان محمد البرواري، خديجة قادر سمايل، أثر تغيرات سعر الصرف في المستوى العام لأسعار المواد في مدينة اربيل للمدة 1994-2006، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، مجلة تنمية الرافدين، العدد(102) مجلد (33)، 2011.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح:

1 - محمد حسين احمد الحسيني، استخدام اسلوب موازنة البرامج والاداء في اعداد الموازنة العامة للدولة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، 2003.

2 - مليحة جبار عبد الكعبي، الضريبة ودورها في تمويل الموازنة العامة للمدة «1985- 2005» مصر والأردن والعراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية، كلية الادارة والاقتصاد، 2008.

3 - هادي عبد الواحد الحلفي، اصلاح الاداء المالي للموازنة العامة في العراق للمدة (2004-2010)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الادارة والاقتصاد، 2012.

رابعاً: الأنترنيت:

1 - https://www.cbi.iq البنك المركزي للإحصاء.

2 - http://www.Ammabstockey.com

3 - press-reles-arabic. نجم عبد عليوي، دراسة وتحليل هيكل الموازنة العامة لدولة العراق من 2003 - 2007، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، على شبكة المعلومات الدولية: http://www.docudesk.com

دور التعليم ومؤسسات التنشئة الاجتماعية في تدعيم ثقافة السلم الاجتماعي

موسى بن قاصير *
باحث من الجزائر

خالد بو منجل **
باحث من الجزائر

* كلية العلوم السياسية، جامعة قسنطينة 3
moussapolitics@yahoo.com

** كلية العلوم السياسية، جامعة قسنطينة 3
khaled.boumendjel@univ_constantine3.dz

الملخص:

نعالج في هذه الورقة دور التعليم ومؤسسات التنشئة الاجتماعية في دعم وتنمية ثقافة السلم، عبر عدة مسارات وباعتماد أساليب مختلفة، من تدريب موظفي وزارة التربية والتعليم والمعلمين ومدراء المدارس، والمنظمات غير الحكومية وقادة الشباب، على المضامين وطرق التدريس والمهارات اللازمة لتعزيز ثقافة السلام واللاعنف. كما يتم إدخال مفاهيم ثقافة السلام واللاعنف في مواد المناهج الدراسية، وإنتاج ونشر المواد التعليمية والكتب المدرسية عن ثقافة السلام وحقوق الإنسان بما يخدم المجتمع ككل، هذا بالإضافة إلى الاهتمام بأدوار الأسرة والإعلام والمؤسسات الدينية في سبيل ترسيخ ثقافة السلم وديمومتها.

الكلمات المفتاحية: السلم. ثقافة السلم. التعليم. التنشئة الاجتماعية. الإعلام. الدين.

Le rôle des institutions d'éducation et de socialisation dans le soutien d'une culture de paix sociale

Moussa Benkasir
Chercheur d'Algérie
Faculté des Sciences Politiques
Université de Constantine 3

Khaled Boumendjel
Chercheur d'Algérie
Faculté des sciences politiques
Université de Constantine 3

Résume:

Dans cet article, nous abordons le rôle des institutions d'éducation et de socialisations dans le soutien et le développement d'une culture de la paix, à travers différents chemins et en utilisant différentes méthodes, telles que la

formations du personnel du ministère de l'éducation, des enseignants et des directeurs. Et les organisations non gouvernementaux et responsables de jeunesse, sur le contenu, les méthodes d'enseignement et les compétences nécessaires pour promouvoir une culture de la paix et de la non-violence. Les concepts de culture de la paix et de non-violence sont également intègres dans les matériels pédagogiques et de manuels sur la culture de la paix et les droits de l'homme au service de la société dans ensemble. Cela s'ajoute à l'attention portée au rôle de la famille, des medias et des institutions religieuses dans la consolidation de la culture de la paix de de sa durabilité.

Les mots clés : la paix, culture de la paix, l'enseignement, socialisations, medias, religion.

المقـدمــة:

يعبر السلام عن حالة التوافق والراحة التي تتوفر بين طرفين أو مجموعة أطراف بما يحقق الانسجام ويبعد العداوة، ويقصد بالسلام أيضا حالة الوئام والاستقرار التي تسود المجتمع من أبسط تكويناته «الأسرة» إلى أكبر تكويناته «المجتمع الدولي» بما يتيح التطور والازدهار للجميع.

وتشير الأدبيات إلى المعنى الاصطلاحي للسلام بأكثر من تعريف، فقد تطور المفهوم من معناه السلبي قديما الذي كان يربط السلام بغياب العنف، النزاعات والحروب والصراعات، ليتسع ويشمل فعلاً إيجابياً يربط السلام بإيجاد العدل الاجتماعي والقضاء على الاستغلال والفساد، ومن ثم تعزيز السلام من خلال التعليم والتنشئة.

يعتبر التعليم مفتاح رفع الذات الداخلية للأفراد، فهو يوحد الأمم ويجمع بينها، خصوصا في عصرنا الحالي في ظل تطور وسائل التواصل الرقمية التي جمعت بين أجزاء العالم المختلفة، لذلك وجب علينا إدراك الدور الحاسم للتعليم. وسنحاول في هذه الورقة إبراز دور التعليم ومؤسسات التنشئة الاجتماعية في تنمية ثقافة السلم داخل المجتمع. اذاً: كيف تساهم كل من مؤسسات التعليم بكافة أشكالها بجانب المؤسسات الاجتماعية الأخرى في تنمية ودعم السلم داخل المجتمع؟

للإجابة على هذه الإشكالية ستعتمد على العناصر التالية:

المحور الأول: مفهوم السلام:

المحور الثاني: دور التعليم في نشر ثقافة السلم

المحور الثالث: دور مؤسسات التنشئة الأخرى في تلقين ثقافة السلم

وخاتمة

المحور الأول: مفهوم السلام:

يمثل السلام واحدا من اهم المفاهيم التي تتطلب فهما عاما وشاملا ومعمقا، بالعودة إلى البدايات الأولى للسلام فنجد انه من أسمى الأهداف التي تسعى اليها جميع الشرائع السماوية والعقائد المختلفة وهو ما يطمح اليه الإنسان مع نفسه ومع جيرانه وفي المحيط الاجتماعي ككل. وقد سعت جميع الأمم إلى تحقيق السلام في إطار قيمها الثقافية والمجتمعية ومع المجتمعات المجاورة لها والعالم الذي تتأثر به وتؤثر فيه[1].

(1) زياد الحمادي، حل النزاعات، برنامج دراسات السلام الدولي، جامعة السلام التابعة للأمم المتحدة، 2009ـ 2010، ص 06.

يأتي السلام اشتقاقا في اللغة العربية من المصدر «**سلم**» ويعني الأمان والعافية والسلم والسلامة والسلام.

يعبر السلام عن حالة التوافق والراحة التي تتوفر بين طرفين أو مجموعة أطراف بما يحقق الانسجام ويبعد العداوة، ويقصد بالسلام أيضا حالة الوئام والاستقرار التي تسود المجتمع من أبسط تكويناته «الأسرة» إلى أكبر تكويناته «المجتمع الدولي» بما يتيح التطور والتنمية لكل المجتمعات.

تشير الأدبيات إلى المعنى الاصطلاحي للسلام بأكثر من تعريف، فقد تطور المفهوم من معناه السلبي قديما الذي كان يربط السلام بغياب العنف، النزاعات والحروب والصراعات بمختلف أشكالها، ليتسع ويشمل فعل إيجابي يربط السلام بإيجاد العدل الاجتماعي والقضاء على الاستغلال والفساد والحد من الاستغلال بمختلف أشكاله[2]، ومن ثم تعزيز السلام من خلال التعليم والتنشئة.

(2) احمد فخر، السلام... بناء السلام وإنهاء النزاعات، مفاهيم، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ع01، جانفي 2005، ص 05.

يعرف السلام أيضا بكونه محصلة التفاعل ما بين النظام المدني والعدالة الاجتماعية، كما أن السلام هو ليس غياب الحرب بل وجود حلول خيرة للمرء والمجتمع، وهو مبدأ ذو وصفة أخلاقية تقوم على الاستقرار الداخلي وطمأنينة الإنسان[3].

(3) مركز هوردو لدعم التعبير الرقمي، دعوة إلى السلام: عن ثقافة السلام واللاعنف والتسامح ومفاهيم اخرى، القاهرة، 2018، ص 06.

من خلال هذه التعريفات المقدمة، علينا أن نعرف السلام بانه حالة اجتماعية وسياسية ونفسية يسود بين مختلف مكونات المجتمع من الإنسان وصولا إلى البيئة العالمية حيث يسود شعور لدى الأفراد بوجود حالة من الاستقرار والطمأنينة المفضية إلى التمتع بكل الحقوق والحريات بما يضمن عدم الاعتداء عليها والتعايش مع الأجناس البشرية الأخرى في إطار منظومة عالمية منسجمة ومتناغمة.

من وجهة نظر إسلامية نجد أن السلام مشتق من نفس مصدر الإسلام

من وجهة نظر إسلامية نجد أن السلام مشتق من نفس مصدر الإسلام وهذا بالعودة إلى مفهومه في الإسلام نجد انه عبارة عن تحقق حالة

التوازن والانسجام بين العقل والروح والجسد للوصول إلى تحقيق الطمأنينة التي بشر بها القران الكريم. كما لا يقصد به إسلاميا غياب العنف فقط وعدم الاستقرار في المجتمع بل هو وجود العدل وتهيئة الجو الذي يسمح بتحقيق الذات وتفعيلها ومنه تتحقق الحاجات الإنسانية ويتم ربطها مع منظومة من القيم الأخلاقية التي ترتبط بتحقيق السلام ضمن قيم التعاون، التسامح والمحبة. ومنه، فالسلام من منظور إسلامي هو خلق الانسجام مع التكامل بين الحاجات الإنسانية والقيم والوعي لإيجاد علاقة عطاء وتفاعل إيجابي بين الإنسان والله واخيه الإنسان سواء داخل المجتمع المحلي أو الإنساني الواسع[4].

حسب البحوث الأكاديمية التي عالجت مفهوم السلام فانه قد مر بست مراحل من الصياغات:

1 - مرحلة فهم السلام باعتباره ممارسة لا تتحقق إلا في ظل عمليات الحرب والنزاعات والصراعات العنيفة سواء داخليا أو دوليا، وهي الفكرة الشائعة لدة غالبية الباحثين.

2 - السلام كتوازن للقوى في إطار النظام الدولي وهو توازن غالبا ما يكون راجعاً إلى قوة متساوية ذات كتل بين معسكرين.

3 - وهي المرحلة التي تبنت مفهوم السلم السلبي الذي يعني نبذ الحروب والنزاعات، والسلم الإيجابي الذي يعتمد على بناء وترسيخ السلم في ثقافة المجتمعات.

4 - هي المرحلة الأكثر تطورا التي تبنت مفهوم السلم في العلاقات الاجتماعية الرئيسة، وتركزت على قضية العنف ضد المرأة كمهدد رئيس للسلم، وتبنت فكرة أن لا فائدة للتفرقة بين وجود الحرب من عدمها في حالة ممارسة العنف ضد المرأة.

5 - هي المرحلة التي تم الربط فيها بين السلم وبين علاقة الإنسان بالبيئة وما يمكن أن تجلبه الممارسات الرأسمالية الوحشية ضد البيئة من دمار وتهديد للبشرية.

6 - تناولت تلك المرحلة علاقة السلام الداخلي للإنسان بتحقيق السلام العام والشامل، وتطور هذا المفهوم ليشمل أهمية التركيز على دعم حقوق الإنسان ونبذ العنف الموجه ضد فئات مختلفة كالأطفال والنساء وأصحاب الرأي والممارسات التمييزية والعنصرية على اختلاف أسسها[5].

من هنا يمكننا رؤية كيف تدرج مفهوم السلام من الارتكاز على فكرة نبذ الحروب والنزاعات ليصل إلى أصل بناء السلام ليحقق الإنسان امنه وسلامته ضمن بيئته ومن حوله حتى نصل إلى علاقة الدول مع بعضها البعض.

(4) حامد إبراهيم الخزندار، إدارة النزاعات وفض المنازعات- إطار نظري-، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ط1، 2014 ص ص 87، 88. دعوة إلى السلام، مرجع سبق ذكره، ص07.

(5) مركز هوردو لدعم التعبير الرقمي، مرجع سبق ذكره، ص 08.

المحور الثاني: دور التعليم في نشر ثقافة السلم

يعتبر التعليم مفتاح رفع الذات الداخلية للأفراد، فهو يوحد الأمم ويجمع بينها، خصوصا في عصرنا الحالي في ظل تطور وسائل التواصل الرقمية التي جمعت بين أجزاء العالم المختلفة، لذلك وجب علينا إدراك الدور الحاسم للتعليم كأحد الأدوات التي تساهم في نشر ثقافة السلام باعتبارها جوهر حقوق الإنسان العالمية، خصوصا وأن المجتمعات لا زالت تعاني من حالات الصراع العنيف والحروب.

جاء الربط بين كلمتي «ثقافة» و«السلام» للمرة الأولى على المستوى الدولي ليصبح مصطلحاً معترفاً به في أدبيات بناء السلام في اجتماع اليونسكو عام 1989 بساحل العاج، ثم تطور الأمر لتصبح ثقافة السلام برنامجا متكاملا لليونسكو في عام 1992. هكذا تم تضمين ثقافة السلام في استراتيجية اليونيسكو من العام 1991 وحتى العام 2001 ليضم عدداً من البرامج والأنشطة والتعاونيات الدولية في كل من التعليم والثقافة من أجل السلام[6]، وهذا جعل العديد من الدول تعمل على نشر ثقافة السلام في المجتمع وذلك بالاستناد إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن العقد الدولي لثقافة السلام واللاعنف من اجل أطفال العالم (2001–2010)، الدورة الثالثة والخمسين (25/53)، 1998. حيث حددت الأمم المتحدة جملة من الأعمال والبرامج كأساس للعقد الذي ينبغي أن يوجه لتلبية احتياجات الأطفال وتحقيق مشاركتهم، ومن ضمنها التعليم وذلك من خلال:

(6) مركز هوردو لدعم التعبير الرقمي، مرجع سبق ذكره، ص 07.

1 - يجب إعطاء الأولوية للتعليم، بما في ذلك تعليم الأطفال ممارسة السلام واللاعنف.

2 – ينبغي للتعليم من اجل ثقافة السلام واللاعنف أن يتبع النهج الذي تنص عليه اتفاقية حقوق الطفل، أي المنهج الداعي إلى إعداد الطفل لحياة تستشعر المسؤولية في مجتمع يسوده التفاهم والسلم والتسامح والمساواة بين الجنسين والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات الوطنية والدينية[7].

(7) قرار الجمعية العامة للام المتحدة، بشأن العقد الدولي لثقافة السلام واللاعنف من اجل أطفال العالم (2001–2010)، الدورة الثالثة والخمسين (25/53)، 1998.

3 – ينبغي تقديم التعليم بأوسع ما في الكلمة من معنى، وليس فقط التعليم النظامي في المدارس وإنما أيضا التعليم خارج المدارس والتعليم غير النظامي في جميع المؤسسات الاجتماعية، بما في ذلك الأسرة ووسائل الإعلام.

4 – ينبغي تعزيز مضامين تعليم ثقافة السلام واللاعنف بالمعرفة والمهارات والقيم والمواقف والتصرفات التي تعبر عن التفاعل والتكامل الاجتماعيين، وان

تنبذ العنف وتسعى إلى منع نشوب المنازعات، وان تضمن الممارسة الكاملة لجميع الحقوق والمشاركة في عملية التنمية[8]. وتتطلب هذه العملية الاعتماد على أساليب تعزيز ثقافة السلام واللاعنف في التعليم الرسمي:

(8) محمد عبد الزغير، ثقافة السلام من اجل الأطفال والشباب، ملتقى التواصل الاجتماعي، كلية التطبيقية بصحار: مصر، 24/32 افريل، 2012، ص 15.

تدريب موظفي وزارة التربية والتعليم والمعلمين ومدراء المدارس، والمنظمات غير الحكومية، وقادة الشباب، على المضامين وطرق التدريس والمهارات اللازمة لتعزيز ثقافة السلام واللاعنف:

يلاحظ أن تعليم وممارسة الوساطة والأشكال البديلة الأخرى لحل النزاعات لازالت تتزايد في النظم المدرسية في فرنسا، واليونان، وإسبانيا، كذلك بالنسبة لتدريب المدرسين في السويد. وقد تزايد الاهتمام في العديد من المدارس والثانويات والكليات بتعليم ثقافة السلام والحوار حيث يتم عمل المعارض، والعروض والمؤتمرات، وهذا ما يعد ممرات هامة في اتجاه السلام»[9].

(9) مؤسسة ثقافة السلام، تر: محسن يوسف، تقرير عن ثقافة السلام في العالم، مصر: مكتبة الإسكندرية، د.ط، د.س، ص 26.

يمكن الإشـارة في هذا المجال إلى المشروع المعروف باسم مركز باكستان للتميز(PACE)، حيث تم توفير الدعم المالي والتقني من قبل مؤسسة (PEAD) ومعهد الولايات المتحدة للسلام (USIP)، وتهدف البرامج التي لها مدد مختلفة، مثل أسبوعين وشهر وثلاثة أيام، إلى تقديم دور المعلمين كوكلاء للتغيير وتشجيع اللاعنف والتغيرات الإيجابية في سلوك المجتمع نحو السلام والتعليم والتنمية من خلال الدورات التدريبية المعلمين والطلاب وأعضاء المجتمع بأهمية السلام وتعزيز ثقافة التسامح واللاعنف والانسجام.

تم تنفيذ هذه البرامج التدريبية في 44 مدرسة حكومية متوسطة وثانوية، حيث تم تدريب المعلمين والطلاب من خلال جلسات تفاعلية من أجل تعزيز مهارات التفكير النقدي لدى الطلاب والمعلمين. وتميزت الدورات التدريبية للبرامج السالفة الذكر بالنهج القائم على النشاط الذي من خلاله شارك المشاركون (المعلمون والطلاب) في الجلسات من خلال المناقشات، وعرض وقبول الاختلاف في وجهات النظر والعروض التقديمية، ولعب الأدوار، ومظاهرات معالجة الصراع. ويوفر هذا التدريب فرصًا تفاعلية أوسع للمعلمين والطلاب لفهم أهمية السلام والتعليم في المنطقة. من أجل الحفاظ على مبادرات تعليم السلام في المستقبل[10].

(10) Iqbal Ahmad and Archad Ali, "Role of Peace Education in Restoration of Community Confidence in Terrorism Affected Areas of Pakistan: Case of District Swat, Khyber Pakhtunkhwa Province", web sit: https://www.asc-central-asia.edu.pk/Issue_70/04_role_of_peace_edu.html, 30/10/2019, h .30/11/2019

على المستوى العربي يعتبر مشروع «**قيادة شبابية من اجل السلام**» بدولة الكويت خير مثال على تدريب الشباب والقيادات والشباب حول ثقافة السلام وإدارة الصراعات. وتتلخص فكرة المشروع في بناء القدرات والمهارات للقيادات الشبابية في دولة

الكويت على القيادة وصناعة السلام والتعايش والقبول بالآخر في المجتمع. حيث ستقوم الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان وبالتعاون مع المكتب الإقليمي التنسيق المساعدات في الكويت، التابع المكتب شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأمريكية، من خلال برنامج المنح المحلية لمبادرة الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية (MEPI) بإعداد دليل تدريبي حول مهارات القيادة وبناء السلام وطباعته، وكذلك تحميله على تطبيق للهواتف الذكية، وتدريب 20 من القيادات الشبابية من خلال برنامج تدريب مدربين TOT لمدة 10 أيام حول الدليل التدريبي. وبعد ذلك سوف يقوم كل اثنين من خريجي برنامج تدريب المدربين TOT بتدريب عدد 10 شباب آخرين، بحيث نصل لتدريب 100 مشارك ومشاركة، بالإضافة إلى ذلك سوف يتم تنظيم عدد من حملات التوعية خاصة بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية من خلال خريجي برنامج تدريب المدربين، وسيتم توظيف وسائل التواصل الاجتماعي الفيس بوك، التويتر، الانستغرام.. الخ) للتوعية بهذه الحملات النوعية، وفي ختام المشروع عقد مؤتمر صحفي وتم تكريم المشاركين[11]. **كما يتم إدخال مفاهيم ثقافة السلام واللاعنف في مواد المناهج الدراسية،** إذ حددت مجموعة التعليم العالمية 2012 المحتوى ومجالات المهارات التالية اللازمة لمناهج بناء ثقافة السلام وهي كالتالي[12]:

(11) هاني إبراهيم مريم واخرون، قيادة شبابية من اجل السلام، الكويت: الجمعية الكويتية لحقوق الانسان، ط1، 2015، ص08.

(12) Global education Cluster: An-nual Report, 2012, p 06.

- المهارات الشخصية والاجتماعية العاطفية بما في ذلك التواصل بين الأشخاص التعاون، مهارات التفاوض، الوساطة، تقييم التماسك الاجتماعي.

- مهارات التفكير عالية المستوى، بما في ذلك تحليل وفهم دينامكيات السلام والصراع والبدائل غير العنيفة والتفكير الإبداعي.

- تعليم حقوق الإنسان: معارف المواطنة ومهاراتها بما في ذلك مبادئ وعمليات الديمقراطية.

ومن بين الأمثلة على هذا مشروع إدخال مفاهيم التسامح والتربية من أجل السلام في المناهج الدراسية المصرية فقد تبنى مركز تطوير المناهج والمواد التعليمية بالدولة مشروع إدخال مفاهيم التسامح والتربية من أجل السلام في المناهج الدراسية، وذلك في إطار سياسة الوزارة نحو إدماج القضايا المعاصرة في المناهج الدراسية، وقد تم إعداد هذا المشروع وتطبيقه في المناهج الدراسية عام 2000. وتم تطبيق المشروع على المواد الدراسية في جميع سنوات الحلقة الأولى من التعليم الأساسي والحلقة الثانية، فمواد الحلقة الأولى التي تم تطبيق المشروع عليها هي:

التربية الدينية واللغة العربية، الرياضيات والأنشطة، ومواد الحلقة الثانية هي: التربية الدينية، اللغة العربية، الرياضيات، العلوم، الدراسات، الاقتصاد المنزلي[13].

(13) وزارة التربية والتعليم، القضايا والمفاهيم المعاصرة في المناهج الدراسية: العولمة والتربية من اجل السلام والمهارات الحياتية، مصر: مركز تطوير المناهج والمواد التعليمية، قطاع الكتب، 2000، ص 38.

إنتاج ونشر المواد التعليمية والكتب المدرسية عن ثقافة السلام وحقوق الإنسان:

حيث نلاحظ انه هناك العديد من الكتب حول ثقافة السلام الموجهة إلى مختلف الدارسين نذكر على سبيل المثال كتاب **قيادة شبابية من اجل السلام** وهو كتاب لمجموعة باحثين يتضمن طرقاً لتدريب القيادات والطلاب حول ثقافة السلام والتسامح[14]. أما في باكستان فمن خلال مشروع مركز باكستان للتميز تم إعداد وتوزيع كتيبات إرشادية للمدارس السلمية (PSGS) في أجزاء مختلفة من باكستان مثل منطقة السند وسوات والمناطق القبلية، لتزويد المجتمعات بها كمعرفة مباشرة عن المفهوم والأهمية التعليم من أجل السلام[15].

(14) هاني إبراهيم واخرون، مرجع سبق ذكره، ص 08.

(15) Iqbal Ahmad and Archad Ali, op.cit.

تعزيز المشاريع الرائدة كإحدى سبل التنسيق وتشجيع الأنشطة التجريبية:

مثل مشروع شبكة المدارس المنتسبة اليونيسكو والتي تعرف بأنها شبكة من المدارس أنشئت لنشر مفاهيم التفاهم الدولي والسلام ومواجهة التحديات التي تواجه الإنسانية، وهي مؤسسات تختار من قبل السلطات الوطنية للمشاركة في تدعيم وتعزيز التربية من أجل السلام والتفاهم الدولي وتمارس نشاطها برعاية اللجنة الوطنية لليونسكو[16]، حيث كانت مصر من أوائل الدول العربية التي انضمت للشبكة، ففي عام 1953 بدأ انضمامها بأربع مدارس وهي: مدرسة النقراشي الثانوية، ومدرسةالأورمان الثانوية، ومدرسة المعلمين الريفية بعزبة النخل، ومدرسة المعلمات العامة بالعباسية[17]، ويقدر تعداد المدارس المنتسبة في مصر في الوقت الحالي بنحو 120 مدرسة تضم كافة مراحل التعليم المختلفة (ابتدائي- إعدادي- ثانوي عام وفني) وتشمل محافظات مصر المختلفة[18]، وتهدف المدارس المنتسبة في مصر إلى[19]:

(16) نبيل سعد خليل، التربية الدولية: أصولها وتطبيقاتها، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2013، ص 25.

(17) المرجع نفسه، ص 171.

(18) اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة، موقع: http://www.egnatcom.org.eg، 29/11/2019، سا 23.46.

(19) بيومي محمد ضحاوي، محمد إبراهيم خاطر، التربية الدولية المعاصرة، القاهرة: دار الفكر العربي، 2014، ص 65.

ـ تنمية مفاهيم السلام والتفاهم والتعاون الدولي في أذهان النشء.

ـ الإلمام بقضايا العالم ودور منظمة الأمم المتحدة في معالجتها.

ـ تدعيم مبدأ الديمقراطية وحقوق الإنسان.

ـ بث الوعي بين النشء في مدارسهم بكيفية التعامل مع الآخر في أمن مع عناصر المجتمع الأخر محلية وقومية وعالمية.

تعزيز الدور الفعال للأسرة والمجتمع المحلي في إطار تعاوني لتحديد معنى ثقافة السلام وكيفية تعزيزها في السياق المحلي:

وذلك بالدعوة إلى السلام الأسري تعني بتوفير الحب والوئام والاستقرار والتطور بين أفراد الأسرة وتعزيز ثقافة السلم في حل الصراعات والنزاعات حيث تبدا الممارسة بين أفراد الأسرة[20]، ويقتضي مفهوم السلام الاجتماعي تحليل جانبيه الأساسيين وهما: السلام الاجتماعي كحالة ووسائل تحقيقه. حيث يقوم تحليل وتوصيف حالة السلام الاجتماعي على مفهوم الحياة الكريمة والحق فيها والحقوق المرتبطة بها، والتي صارت أسسا معيارية لتحليل المجتمعات وأهمها تلبية الاحتياجات البشرية الأساسية من غذاء وماء نقي وصحة وتعليم وسكن وعمل، لحماية تحقيق الحياة الكريمة للإنسان، وذلك من خلال الإصلاح الاقتصادي التي يتضمن محاربة الفقر، والعدالة، فتوزيع الموارد، والوصول إلى الفئات الأكثر عوزا، وكذلك الإصلاح السياسي يعتمد على الديمقراطية القائمة على الحرية وقيم العدالة والمساواة والتسامح الفكري والقبول بالتعددية ومحاربة الفساد، وإحياء المجتمع المدني، ولعل ما يجعلنا ندرك أهمية هذه الإصلاحات تفسير المظاهرات التي قام بها الشباب في كل من لبنان و الجزائر ومصر واليمن خلال العام 2005 دون الاحتكاك بالسلطات الأمنية مطالبين بعدم القبول بالتشريعات التي تعصف بحقوق الفقراء والفلاحين ومعظم طبقات الفئات الوسطى، وكذلك مقاومة الفساد السياسي والتدخل العسكري[21].

(20) كاظم الشبيب، العنف الأسري: قراءة في الظاهرة من اجل مجتمع سليم، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 2007، ص ص 124ـ132.

يعتبر ميثاق العمل الوطني في مملكة البحرين نموذجا حضاريا يهدف إلى تعزيز المسارات التي من شأنها نبذ العنف وتكريس ثقافة السلام وذلك من خلال التركيز على القيم الأساسية التي تصون المقومات الأساسية للمجتمع، والتي لا ينبغي تجاوزها. ومن ضمن هذه القيم الأساسية الطمأنينة والأمن والتراحم والتعاون والمودة والتضامن الاجتماعي بين المواطنين كأسس ودعامات تكفلها الدول. وقد تم التأكيد على بناء مؤسسات حقوق الإنسان وتأكيد الحق في التنمية وتعزيز الديمقراطية ومحاربة الفساد وغسيل الأموال. كما أكد ميثاق العمل الوطني على أهمية أن تعنى الدولة بنمو الشباب البدني والخلقي والعقلي وبالتربية الدينية والوطنية، وهو ما يسهم في نشر ثقافة التسامح والسلام ونبذ العنف. أما على المستوى الخارجي، يؤكد الفصل السابع من الميثاق على تمسك مملكة البحرين بالسلام العالمي والإقليمي كهدف أساس واستراتيجي تهون دونه كل الجهود، وعلى التمسك بالمبادئ الأساسية التي تقرر ضرورة تسوية كافة المنازعات الدولية بالطرق السلمية[22].

(21) اسماعيل حمدي محمد، الإعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشباب في مجتمع متغير، د.م.ن: دار المعتز للنشر والتوزيع، ط1، 2017، ص ص 44ـ77.

(22) معهد البحرين للتنمية السياسية، «ثقافة السلام»، موقع: https://www.bipd.org/publications/Articles/179153.aspx، 30/11/2019، ساعة 02.44.

أساليب تعزيز ثقافة السلام واللاعنف في التعليم غير الرسمي:

وذلك بتعزيز ثقافة السلام عن طريق المشاركة بفعالية في الألعاب الرياضية والرقص والمسرح والغناء والفنون التشكيلية. وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى جائزة اللعب النظيف التي يتحصل عليها المنتخب أو النادي الأقل ارتكابا للعنف والأقل حصوا على إنذارات بسبب عنف لاعبيه حيث نال المنتخب الجزائري لكرة القدم هذه الجائزة في كاس أمم أفريقيا 2019،[23] وهذا ما من شأنه التأثير على تصرفات الأفراد كون كرة القدم لعبة لها قاعدة جماهرية كبيرة على المستوى العالمي والمحلي.

(23) اليوم السابع، موقع: https://www.youm7.com، 30/11/2019، ساعة 00.09.

أما في مجال المسرح نجد نموذج المسرح التنموي الموجودة منذ زمن بعيد في السودان حيث تمارسه المجموعات البشرية السودانية كنشاط اجتماعي واقتصادي بأشكال وأساليب عديدة يعبر عن قيمتها ومفاهيمها التقليدية والاقتصادية والبيئية والاجتماعية. كما ظلت الممارسات الشعبية والأشكال الثقافية المتعددة تحمل في طياتها أساليب ومناهج تقليدية لبعض القضايا الإنسانية الحساسة مثل قيم السلام وفض النزاعات وثقافة السلام. مثل (النفير) على سبيل المثال أحد أشكال المسرح التنموي الذي يكاد يكون موجودا في كافة بقاع السودان ذلك لما يحتويه من معانٍ وقيم كلها تصب في خانة التماسك solidarity والتشاطر والعطاء، وهي جميعها قيم تصب في خانة ثقافة السلام كعملية تنمية بشرية. والمسرح التنموي بهذا الشكل والمضمون يعتبر نشاطاً أصيلاً في الثقافة والحضارة السودانية التي ترتكز على مفهوم الأسرة الممتدة Extended Family التي تقوم على التماسك، والشاطر والعطاء، والكرم، وإغاثة الملهوف والتحمل والصبر، وهي جميعها عناصر لتنمية البشرية وفقا لإجماع المختصين ومنظمات الأمم.[24]

(24) أو القاسم قور، الدراما من اجل ثقافة السلام- الدراما من التقليد إلى التحمل-، السودان: مركز دراسات وثقافة السلام، د.س.ن، ص 37.

أما على المستوى السينمائي والأفلام، فهناك العديد من الأفلام حول ثقافة السلام نذكر منها على سبيل المثال فيلم **عيد ميلاد مجيد** الذي صدر سنة 2005، حيث تدور قصة الفيلم عن ليلة الميلاد خلال الحرب العالمية الأولى أين احتفل الجنود بهذه الليلة الالماني والفرنسي جنبا إلى جنب ويتحدث كل جندي لعدوه في الحرب عن أسرته، ويرل الجنود رسائل إلى أهلهم يعبرون فيها عن ليلتهم السعيدة مع جيش العدو ليتم فيما بعد تغيير القيادة لتبدأ الحرب من جديد في اليوم الموالي[25].

(25) أفلام بإمكانها انقاد العالم، موقع: https://www.sasapost.com/movie-world-peace/، 30/11/2019، ساعة 00.44.

المحور الثالث: دور مؤسسات التنشئة الأخرى في تلقين ثقافة السلم.

تتمتع المؤسسات الإعلامية المختلفة بقدرة تأثير واسعة على شريحة كبيرة من المجتمع، ولذلك يجب على هذه المؤسسات الإسهام في نشر ثقافة السلم،

خصوصا في ظل تطور الوسائط الإعلامية في زمن الأنترنت والمواقع الإلكترونية، فضلا عن تفعيل دور المؤسسات الدينية وقدرة تأثيرها على تشكيل الشخصية الفردية والجماعية واستغلال هذا التأثير لتعزيز ثقافة الحوار والسلم وذلك من خلال:

أولا: دور وسائل الإعلام في تعزيز ثقافة السلام واللاعنف:

تعتبر وسائل الإعلام- بلا شك- من المصادر الأساسية للمعلومة، والتي يبني عليها الفرد مواقفه، وتقوم عليها اتجاهات الجماعات حيال الأحداث الجارية، سواء بالقبول أو الرفض، حيث تتولى وسائل الإعلام الدور الملموس في تشكيل موقف الجمهور المتلقي من القضايا المطروحة على الساحة المحلية والدولية. ولا يتوقف تغيير الاتجاه والموقف على القضايا العامة أو الأحداث المثارة، بل يمتد إلى القيم وأنماط السلوك، فقد يحدث أن يتقبل المجتمع قيما كانت مرفوضة قبل أن تحملها الرسالة الإعلامية، أو يرفض قيمة كانت سائدة ومقبولة مستبدلة بها قيما جديدة، [26] وهذا ما يبرز أهمية وسائل الإعلام المختلفة في التأثير على سلوكيات الفرد بالإيجاب أو بالسلب.

(26) مركز هوردو، مرجع سبق ذكره، ص 22.

يواجه الإعلام اليوم الكثير من الضغوط، خصوصا تلك التي ترتبط براس المال المحلي والعالمي وبالتالي قد ينتج ثقافة للعنف ضد الآخر[27]، لذلك يجب فرض الرقابة على الإعلام وتمويل البرامج التي تسعى إلى تعزيز ثقافة السلم.[28] ومن بين البرامج التي تسهم في نشر ثقافة السلم والحوار نجد برنامج المسامح كريم على قناة أبو ظبي الأولى، وهو برنامج اجتماعي يقوم على أسس التسامح والمحبة والترفع، وهو مسابقة مع الذات، وتحد للتوفيق بين شخصين فرق بينهما الزمن وظروف الحياة. فكرة البرنامج باختصار تقوم على الجمع بين شخصين متخاصمين لسبب ما، من جميع أنحاء الوطن العربي، من أجل لم شملهما من جديد، فهو يجمع أفراد العائلة والأصدقاء ومصالحتهم وتنقية الأجواء بينهم، وإعادة الأمور إلى طبيعتها.[29]

(27) هيئة الأمم المتحدة، تحالف الحضارات (تقرير الفريق الرفيع المستوى 13 أكتوبر/ نوفمبر 2006)

(28) إسماعيل حمدي محمد، مرجع سبق ذكره، ص 267.

(29) خالد عبد القادر بابكر، دور برامج التلفزيون في بث ثقافة السلم المجتمعي: دراسة اتجاهات الجمهور نحور برنامج المسامح كريم على موقع اليوتيوب، مجلة الباحث الإعلامي، ع39، د.ت.ن، ص 127.

وأما على المستوى الإذاعي، فنجد أن إذاعة شبكة السلام في جنوب السودان خير مثال على البرامج السمعية لأجل نشر ثقافة السلام حيث يشير إلى ذلك رئيس الإذاعة **اوتينو** قائلا: «**أننا نجعل للسلام صوتا مسموعاً. فنحن نمتلك الوسيلة السليمة ألا وهي الإذاعة، وينبغي علينا استخدامها استخداماً يسمح بنشر قيم السلام، ولذا فنحن نبث يومياً رسائل تدعو إلى السلام، ونبث أسبوعياً ثلاثة برامج إذاعية تنشر مبادئ السلام**». وشدد **أوتينو** على ضرورة استخدام الإذاعة كمنبر لنشر

قيم السلام، وخاصة في الوقت الحالي الذي تدعو فيه البلاد المواطنين للعيش معاً بسلام ولوقف النزاعات، وهذا ما دفع باليونيسكو، كمنظمة دولية، والاتحاد الأوروبي للعمل على تمويل هذه المحطة الإذاعية. كما هناك جهودا لتوحيد محطات البث حول نشر برامج ثقافة السلام[30]

(30) اليونسكو، خدمات إعلامية، «شبكة إذاعة السلام لتعزيز السلام في جنوب السودان، » موقع: http://www.unes-co.org، 03/11/2019، سا 15.05.

ثانيا: دور الإعلام والأنترنت الرقمي في نشر ثقافة السلام:

ظهور الإنترنت وتطور إنتاج الإعلام الرقمي وتوزيعه فتحا طرقاً جديدة لمستهلكي الإعلام كي يصبحوا منتجين وناشرين للإعلام، وأعطى وسائل الاتصال المتزايد بين الشعوب إلى حد بعيد. فبينما يمكن استخدام الإنترنت لأغراض هدامة، إلا أن له مجالات واسعة من التطبيقات الإيجابية: فانفتاحه يجعل منه شبكة مثالية للتفاعل الاجتماعي، ومنتدى فريداً لتبادل الآراء والمعلومات. وبهذا الخصوص، يقدم الإنترنت آلية فعالة لسد الهوة بين الاختلافات الثقافية والدينية، ويربط بين النشطاء القادرين على تعزيز الحوار والتفاهم. ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى مبادرة نشر ثقافة السلام باستخدام تكنولوجيا المعلومات (محور الاستخدام الأمن للأنترنت) بجامعة قناة السويس المصرية. كما تم من خلال المبادرة إدراج ثقافة السلم في مشروعات تخرج طلاب كليات الهندسة والحاسبات والمعلومات، بالإضافة إلى العديد من البرامج المماثلة لمختلف الشعب[31].

(31) جامعة قناة السويس، «مبادرة نشر ثقافة السلام باستخدام تكنولوجيا المعلومات (محور الاستخدام الأمن للأنترنت)»، موقع: http://scuegypt.edu.eg/ar/?p=1314، 30/11/2019، سا 15.25.

ثالثا: مؤسسات المجتمع المدني ودورها في نشر ثقافة السلام:

بدأت منظمات مشابهة للمنظمات غير الحكومية كما نعرفها اليوم بالظهور في القرن التاسع عشر عندما أنشئت اللجنة الدولية للصليب الأحمر ICRC، وبدأ فاعلون غير حكوميين في الدفاع عن جملة من القضايا من نوع حق المرأة بالانتخاب، وتطبيق القانون الدولي ونزع السلاح، وإنهاء تجارة الرقيق، وما إلى ذلك. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لم تنشط المنظمات غير الحكومية في المجالات الإنسانية فحسب، بل قامت كذلك بدور مهم في تحديد ضرورة ضم حقوق الإنسان إلى ميثاق الأمم المتحدة، وطورت بشكل عام نظام حقوق الإنسان، فأسهمت في إعداد مسودة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على سبيل المثال، وأثرت في سياسات الأمم المتحدة المناهضة للتمييز[32].

(32) مارتينا فيشر، تر: يوسف حجازي، المجتمع المدني ومعالجة النزاعات: التجاذبات الإمكانيات، والتحديات، د.م.ن: مركز بيرغهوف للإدارة البناءة للنزاعات، 2009، ص 06.

وتعمل مؤسسات المجتمع المدني، سواء محلية أو عالمية، من رأي عام، و جماعات الضغط والمصالح، وجمعيات ومنظمات غير حكومية على نشر ثقافة السلام من خلال التركيز على قضايا نزع السلاح وحقوق الإنسان، والعدالة الاجتماعية

والاقتصادية، ودعاوي متعلقة بالجماعات المصلحية الخاصة فيما يتعلق بسياسات عامة حكومية معينة، النشاط بشكل عام على المستوى المحلي و الدولي لتغيير الأوضاع **الاجتماعية**: التنمية والفقر والصحة، و**الاقتصادية**: الاستغلال واللاعدالة في التوزيع والتبعية، و**السياسية**: اللاأمن و غياب الديمقراطية والحريات المختلفة، و**البيئية**: التلوث والاحتباس الحراري[33].

وعادة ما يكون نشاط مؤسسات المجتمع المدني ضمن النشاط الاجتماعي بسبب الإحباط الذي يمس الأفراد من عدم قدرة الحكومة على التحرك وابتكار الحلول فيما يتعلق بالصراعات أو سياسات عامة معينة قائمة على الإقصاء والإجحاف حيث تكرس لنظام اجتماعي تسلطي وظالم، وتأتي أعمال مؤسسات المجتمع المدني ضمن هذا الاطار لتسهيل عملية إنشاء نظام اجتماعي جديد يقوم على التوافق السياسي التي يؤدي في نهاية المطاف إلى النموذج الأمثل للتحول[34] كما حدث في تونس بعد الثورة من خلال دور المجتمع المدني والنقابات العمالية التي تؤطر المجتمع في جمع التصورات المختلفة إسلامية و ليبرالية ويسارية، وخلق دستور توافقي[35].

تتمثل المهمة الأساسية للنشطاء الاجتماعيين هو تغيير المؤسسات والمواقف والسياسات من خلال العمل السياسي والمدني من خلال عدة أشكال: مثل كتابة الرسائل إلى الجرائد أو السياسيين حملات سياسية لمعارضة قرار معين، فيما يخص النشاط الاقتصادي (مقاطعة المنتجات)، الاحتجاجات ومسيرات، المدونات والاحتجاجات وحتى حرب العصابات وتكتيكاتها.

رابعا: دور المؤسسات الدينية في نشر ثقافة السلام:

يعرف هذا باسم السلام بواسطة الإيمان والعمل الديني المنبثق من القواعد الأخلاقية والروحية للديانات المختلفة، حيث يتناول المعتقدات والإجراءات الموجهة نحو السلام من المجتمعات الروحية والدينية وغير ذلك من الأخلاق على أساس الحركات:

- الحركات المحبة للسلام.

- المقدس أو الملاذ واعتبار السلام شيء مقدس.

- اللاعنف ونبذ الظلم والأذى، وفكرة نشر ثقافة السلام من خلال الدين تركز على قناعة أن كثيرا من النزاعات في العالم اليوم لديها المكون الديني كسبب مهم وأساس. وفي الوقت نفسه يمكن أن يكون الدين جزءا من الحل لهذه النزاعات.

(33) بومنجل خالد، «دور الديبلوماسية المتعددة السارات في حل النزاعات»، موقع: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=556500، 30/11/2019، سا 15.59.

(34) Karolina kupinska, contempo-rary multi track diplomacy across the taiwan strait, graduate school of international affairs, master's thesis ming chuan university, june 2010, p76.

(35) بومنجل خالد، مرجع سبق ذكره.

نشر ثقافة السلام من خلال الدين هي محاولة من جانب المجتمع الديني في جميع أنحاء العالم لتذكير الناس أن أنظمة الدين والمعتقد تقوم على السلام والمحبة بدلا من العنف والحرب وبناء الجسور بين الخصوم، وينبغي للحكومات أن تسهل هذه الجهود[36]. ومن بين الجهود التي يمكننا الإشارة اليها في هذا المجال دور المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو)، حيث تقوم بنشر العديد من المؤلفات حول ثقافة السلام من خلال منشورات على شكل كتب أهمها كتاب الأدوار الثقافية للمجتمع المدني من اجل تعزير الحوار والسلم وجاء فيه عن الدين الإسلامي ودعوته للسلم والحوار قيمة كبرى في حياة الإنسان لأنه يدعم الحياة ويؤلف بين بني البشر. وللحوار في الإسلام مراتب وصنوف شتى، فمن حوار الفرد مع نفسه، وحواره مع قومه إلى الحوار مع الأقوام الأخرى، ثم الحوار بين الأمم، تختلف مقامات الحوار ومقوماته. وفي القرآن الكريم من الآيات البينات، ما يوضح مركزية الحوار من بين المقاصد العليا للشريعة الإسلامية: **﴿قل يا أهل الكتابِ تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم، ألا نَعبدَ إلا الله ولا نشركَ به شيئا﴾**، (آل عمران، 64)، و**﴿ادعُ إلى سبيلِ ربكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة وجادلهم بالتي هيَ أحسن﴾**، (النحل، 125)، و**﴿لا إكراهَ في الدين﴾**، (البقرة، 256). فالكلمة كركيزة للحوار والإقناع، تحتل مكانة متميزة في آيات الذكر الحكيم، لكن مقومات الكلمة الأساسية، هي الحكمة والموعظة لأن هدفها هو تبيان مكامن الحق والرشد في رسالة الإسلام للناس أجمعين[37].

(36) Karolina kupinska ,op. cit, p84

(37) المنظمة الإعلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو)، الأدوار الثقافية للمجتمع المدني من اجل تعزيز الحوار والسلم، المغرب.

الخاتمــة:

يمكن القول من خلال ما سبق أن التعليم يلعب دورا مهما في تعزيز السلم ونشر ثقافة الحوار بين أفراد المجتمع، والمجتمعات الأخرى فالتعليم هو الذي يحدد شخصية الفرد وسلوكياته، سواء على مستوى التعليم الرسمي تحت إشراف الحكومة أو من خلال التعليم غير الرسمي الذي يضم الوسائط الأخرى من برامج سمعية بصرية ومختلف التقنيات الحديثة كالأنترنت، وكذلك من خلال مؤسسات المجتمع المدني المختلفة والتنشئة الدينية كون المعتقدات الدينية من اهم المكتسبات التي توجه سلوك الفرد، لذلك وجب غرس قيم السلام والتسامح وثقافة الحوار ضمن البرامج التعليمية المختلفة وذلك من خلال:

ـ العمل على نشر ثقافة السلم والحوار من خلال المؤسسات الدولية والمحلية.

ـ تعميم تعليم ثقافة السلم على مستوى المدارس الحكومية والخاصة.

ـ تدريب الموظفين على حل النزاعات العملية سلميا وتزويديهم بالمهارات اللازمة لتعزيز ثقافة السلام.

ـ نشر ثقافة السلم والحوار على مستوى الأسرة والمجتمع من خلال: تعليم الأطفال ثقافة التسامح واللاعنف، إقامة دورات تدريبية للشباب في مجال السلم ونبذ العنف، إصدار كتب ومنشورات توجيهية يكون موضوعها السلم والحوار، الاهتمام بنشر برامج تلفزيونية وإذاعية (أفلام مسلسلات حصص) ومسرحيات لنبذ العنف وتعزيز ثقافة السلم، بالإضافة إلى تفعيل دور المؤسسة الدينية ودورها في نشر قيم التسامح والعفو ونبذ العنف.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المراجع العربية:

الكتب:

1 - إسماعيل حمدي محمد، الإعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشباب في مجتمع متغير، د.م.ن: دار المعتز للنشر والتوزيع، ط1، 2017.

2 - أو القاسم قور، الدراما من اجل ثقافة السلام - الدراما من التقليد الى التحمل-، السودان: مركز دراسات وثقافة السلام، د.س.ن.

3 - بيومي محمد ضحاوي، محمد إبراهيم خاطر، التربية الدولية المعاصرة، القاهرة: دار الفكر العربي، 2014.

4 - حامد إبراهيم الخزندار، إدارة النزاعات وفض المنازعات- اطار نظري-، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ط1، 2014.

5 - زياد الحمادي، حل النزاعات، برنامج دراسات السلام الدولي، جامعة السلام التابعة للأمم المتحدة، 2009-2010.

6 - كاظم الشبيب، العنف الأسري: قراءة في الظاهرة من اجل مجتمع سليم، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 2007.

7 - مارتينا فيشر، تر: يوسف حجازي، المجتمع المدني ومعالجة النزاعات: التجاذبات الإمكانيات، والتحديات، د.م.ن: مركز بيرغهوف للإدارة البناءة للنزاعات، 2009.

8 - مركز هوردو لدعم التعبير الرقمي، دعوة إلى السلام: عن ثقافة السلام واللاعنف والتسامح ومفاهيم أخرى، القاهرة، 2018.

9 - المنظمة الإعلامية للتربية والعلوم و الثقافة (ايسيسكو)، الادوار الثقافية للمجتمع المدني من اجل تعزيز الحوار والسلم، المغرب، 2013.

10 - مؤسسة ثقافة السلام، تر: محسن يوسف، تقرير عن ثقافة السلام في العالم، مصر: مكتبة الإسكندرية، د.ط، د.س.

11 - نبيل سعد خليل، التربية الدولية: أصلها وتطبيقاتها، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2013.

12 - هاني إبراهيم مريم وآخرون، قيادة شبابية من اجل السلام، الكويت: الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان، ط1، 2015.

13 - المجلات الأكاديمية:

14 - احمد فخر، السلام... بناء السلام وإنهاء النزاعات، مفاهيم، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ع01، جانفي 2005.

15 - خالد عبد القادر بابكر، دور برامج التلفزيون في بث ثقافة السلم المجتمعي: دراسة اتجاهات الجمهور نحور برنامج المسامح كريم على موقع اليوتيوب، مجلة الباحث الإعلامي، ع39، د.ت.ن.

16 - التقارير والوثائق الصادرة عن الهيئات الرسمية:

17 - قرار الجمعية العامة للام المتحدة، بشأن العقد الدولي لثقافة السلام واللاعنف من اجل أطفال العالم (2001 – 2010)، الدورة الثالثة والخمسين (53 / 25)، 1998.

18 - هيئة الأمم المتحدة، تحالف الحضارات (تقرير الفريق الرفيع المستوى13 اكتوبر/ نوفمبر 2006).

19 - وزارة التربية والتعليم، القضايا والمفاهيم المعاصرة في المناهج الدراسية: العولمة والتربية من اجل السلام والمهارات الحياتية، مصر: مركز تطوير المناهج والمواد التعليمية، قطاع الكتب، 2000.

الملتقيات والندوات العلمية:

1 - محمد عبد الزغير، ثقافة السلام من اجل الأطفال والشباب، ملتقى التواصل الاجتماعي، كلية التطبيقية بصحار: مصر، 24/32 افريل، 2012.

2 - ، 2019/11/29، سا 23.46.

المواقع الإلكترونية والأنترنت:

1 - أفلام بإمكانها انقاد العالم، موقع: https://www.sasapost.com/movie-world-peace/، 30/11/2019، سا 00.44.

2 - بومنجل خالد، «دور الديبلوماسية المتعددة السارات في حل النزاعات»، موقع: http:// www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=556500، 30/11/2019، سا 15.59.

3 - جامعة قناة السويس، «مبادرة نشر ثقافة السلام باستخدام تكنولوجيا المعلومات (محور الاستخدام الأمن للأنترنت)»، موقع: http://scuegypt.edu.eg/ar/?p=1314، 30/11/2019، سا 15.25.

4 - اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة، موقع: http://www.egnatcom.org.eg، 29/11/2019، سا 23.46.

5 - معهد البحرين للتنمية السياسية، «ثقافة السلام»، موقع: https://www.bipd.org/publica-

tions/Articles/179153.aspx، 30/11/2019، سا 02.44.

6 - اليوم السابع، موقع: https://www.youm7.com، 30/11/2019، سا 00.09.

7 - اليونسكو، خدمات إعلامية، «شبكة إذاعة السلام لتعزيز السلام في جنوب السودان، » موقع: http://www.unesco.org، 03/11/2019، سا 15.05.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

المذكرات والرسائل العلمية:

1 - Karolina kupinska, contemporary multi track diplomacy across the taiwan strait, graduate school of international affairs, master's thesis ming chuan university, june 2010.

التقارير والوثائق الصادرة عن الهيئات الرسمية:

1 - Global education Cluster: Annual Report, 2012.

المواقع الإلكترونية والأنترنت:

1 - Iqbal Ahmad and Archad Ali," Role of Peace Education in Restoration of Community Confidence in Terrorism Affected Areas of Pakistan: Case of District Swat, Khyber Pakhtunkhwa Province", web sit: https://www.asc-centralasia.edu.pk/Issue_70/04_role_of_peace_edu.html, 30/10/2019, h 30/11/2019.

المراجع باللاتينية:

List of Sources and reference:

Books:

1 - Bayoumi Muhammad Dahawi, Muhammad Ibrahim Khater, Contemporary International Education, Cairo: Arab Thought House, 2014.

2 - Hamid Ibrahim Al-Khazindar, Conflict Management and Conflict Resolution - A theoretical framework - Doha: Al Jazeera Center for Studies, 1 Ed, 2014.

3 - Hani Ibrahim Maryam and others, Youth Leadership for Peace, Kuwait: Kuwait Society for Human Rights, 1 ed, 2015.

4 - Hordo Center for Support of Digital Expression, A Call for Peace: On a Culture of Peace, Nonviolence, Tolerance and Other Concepts, Cairo, 2018.

5 - Ismail Hamdi Muhammad, Media and its Role in Meeting the Needs of Young People in a Changing Society, i.p.p: Dar Al-Moataz for Publishing and Distribution, 1 ed, 2017.

6 - Kazem al-Shabib, Domestic Violence: A Reading in the Phenomenon for a Healthy Society, Beirut: The Arab Cultural Center, 1 ed, 2007.

7 - Martina Fischer, TR: Youssef Hegazy, Civil Society and Conflict Resolution: Tensions, Possibilities, and Challenges, i.p.p: Berghof Center for Constructive Conflict Management, 2009.

8 - Nabil Saad Khalil, International Education: Its Origin and Applications, Cairo: Dar Al-Fajr for Publishing and Distribution, 2013.

9 - O. Al-Qasim Qor, Drama for a Culture of Peace - Drama from Imitation to Endurance - Sudan: Center for Studies and Culture of Peace, w.y.p.

10 - Peace Culture Foundation, TR: Mohsen Youssef, Report on the Culture of Peace in the World, Egypt: Bibliotheca Alexandrina, i. ed, i.p.p.

11 - The Media Organization for Education, Science and Culture (ISESCO), The Cultural Roles of Civil Society for the Promotion of Dialogue and Peace, Morocco, 2013.

12 - Ziad Al Hammadi, Conflict Resolution, International Peace Studies Program, United Nations University for Peace, 2009-2010.

Scientific notes and letters:

13 - Karolina kupinska, contemporary multi track diplomacy across the taiwan strait, graduate school of international affairs, master's thesis ming chuan university, june 2010.

Academic journals:

1 - Ahmad Fakhr, Peace... Peacebuilding and Conflict Ending, Concepts, International Center for Future and Strategic Studies, N:1, January 2005.

2 - Khaled Abdel Qader Babiker, The Role of Television Programs in Spreading the Culture of Peace in Society: A Study of Audience Attitudes towards the Al-Masameh Karim Program on YouTube, The Media Researcher Journal, N: 39, DTN.

Reports and documents issued by official bodies:

1 - Global education Cluster: Annual Report, 2012.

2 - Resolution of the United Nations General Assembly on the International Decade for a Culture of Peace and Non-Violence for the Children of the World (2001-2010), Fifty-third Session (25/53), 1998.

3 - The Ministry of Education, Contemporary Issues and Concepts in School Curricula: Globalization, Education for Peace and Life Skills, Egypt: Curriculum and Educational Materials Development Center, Book Sector, 2000.

4 - United Nations, Alliance of Civilizations (Report of the High-level Panel 13 October / November 2006).

Scientific forums and seminars:

1 - Mouhamed Abdel Zughayer, Peace Culture for Children and Youth, Social Media Forum, Applied College Sohar: Egypt, April 32/24, 2012.

Websites and Internet:

1 - Bahrain Institute for Political Development, "A Culture of Peace," website: https://www.bipd.org/publications/Articles/179153.aspx, 11/30/2019, 02.44.

2 - Boumnjil Khaled, "The Role of Multiparty Diplomacy in Conflict Resolution",

website: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=556500, 11/30/2019, 15.59.

3 - Iqbal Ahmad and Archad Ali," Role of Peace Education in Restoration of Community Confidence in Terrorism Affected Areas of Pakistan: Case of District Swat, Khyber Pakhtunkhwa Province", web sit: https://www.asc-centralasia.edu.pk/Issue_70/04_role_of_peace_edu.html, 30/10/2019, h 30/11/2019.

4 - Movies That Can Save the World, website: https://www.sasapost.com/movie-world-peace/, 11/30/2019, 00.44.

5 - Suez Canal University, «The Initiative for Promoting a Culture of Peace by Using Information Technology (the axis of the safe use of the Internet)», website: http://scuegypt.edu.eg/ar/?p=1314, 11/30/2019, 15.25.

6 - The Egyptian National Committee for Education, Science and Culture, website: http://www.egnatcom.org.eg, 11/29/2019, 23.46.

7 - The seventh day, website: https://www.youm7.com, 11/30/2019, 00.09.

8 - UNESCO, Media Services, "Peace Radio Network to Promote Peace in Southern Sudan," Website: http://www.unesco.org, 11/03/2019, 15.05.

انعكاسات تطور القوة المعلوماتية الأمريكية في البيئة الداخلية

أ.م.د. دنيا جواد مطلك* باحثة من العراق
أحمد عبد الجبار عبد الله** باحث من العراق

* كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد
** باحث دكتوراه- كلية العلوم السياسية جامعة بغداد
marfaa_albasra@yahoo.com

الملخص:

تعتمد قوة الدولة فيما يطلق عليه بمجموعة العوامل الرمزية في التفاعلات الدولية، سواء كان ذلك على المستوى الإقليمي أم الدولي في البيئة الداخلية بالدرجة الاساس، إذ تعد الركيزة الاساس التي تعتمد عليها الدولة في بناء سياساتها العامة، وتأتي من بعدها البيئة الخارجية، لما تحيط به من متغيرات وأحداث مضطربة، وتشكل بمجموعهما البيئتين الداخلية والخارجية المجال الذي تنطلق فيه السياسة بشكلها العام، فان كانت البيئة صالحة ومستقرة وغير مضطربة وتتماشى مع الرؤية العامة للدولة، كانت سياسة الدولة قوية مستندة إلى أساس قوي، والعكس صحيح، وتتمتع الولايات المتحدة الأمريكية ببيئة داخلية مستقرة صالحة للعمل تنسجم مع رؤية الدولة في بناءٍ استراتيجية تتماشى مع تطلعاتها، وبالنتيجة تتكيف مع البيئة الخارجية وفقاً لما تتطلبه مجموعة الأهداف القومية، وتعد القوة الجانب المهم في بناء الاستراتيجية، وركيزةٍ مهمة في رسم السياسية الخارجية للدولة، ومن خلال مراحل تطور القوة وصولاً للمعلوماتية، كيفت الولايات المتحدة الامريكية هذه القوة ووظفتها في سبيل تحقيق اهدافها العليا من خلال التأثير في البيئة الداخلية.

الكلمات المفتاحية: قوة المعلومات، التكنولوجيا، الاستراتيجية.

The Implications of The Development of the American Information Power in The Internal Environment

Asst. Prof. Dr. Dunia Jawad Mutlaq
Researcher From Iraq
College of Political Sciences

Ahmed Abdul-Jabbar Abdullah
Researcher from Iraq
University of Baghdad

Abstract

The strength of the state depends on what is called a set of symbolic factors in international interactions, whether at the regional or international level main-

ly in the internal environment, as the pillar is the basis upon which the state depends on building its public policies, and then comes the external environment, because of the surrounding Variables and turbulent events, and together their internal and external environments constitute the field in which politics is launched in its general form. If the environment is valid, stable, and not disturbed and in line with the general vision of the state, the state's policy is strong, based on a strong foundation, and vice versa.

The United States of America has a stable internal environment suitable for work that is consistent with the vision of the state in building a strategy that is in line with its aspirations, and as a result it adapts to the external environment according to the requirements of the national goals group. The power is the important aspect of building strategy, and an important pillar in planning the state foreign policy, and through the evolution of power till informatics. The United States of America adapted and used this force to achieve its higher goals through influencing the internal environment. Therefore, the research will be addressed in two axes, as following: the first: the level of security, and the second: the military doctrine.

Key words: information power, technology, strategy.

المقـدمــة:

تعد البيئة الداخلية من البيئات المهمة في سياسات الدول، وذلك لما تحتويه من احداث ومتغيرات تؤثر في عملية صنع القرار السياسي، وبالنتيجة هي انعكاس لمتطلبات البيئة الخارجية استجابة للظروف المادية، فمجموعة الافكار والمعتقدات وكل المتبنيات المجتمعية التي تتشكل على مر العقود، لاسيما في ظل التطور التكنولوجي، هي بمثابة بيئة تفاعل خصبة تعكس واقعاً مجتمعياً معيناً تتشكل في ظله مجموعة عوامل تسهم في عملية صياغة استراتيجية معينة تتوائم وذلك الواقع، وبالنتيجة تسهم في عملية مستوى امن الدولة، وانسجاماً مع هذا الواقع الذي فرضته مجموعة العوامل البيئية الداخلية، فان القوة الامريكية لاسيما مع تطور قوتها المعلوماتية، احدثت تغيرات مهمة في بيئتها الداخلية، وفرضت واقعاً مغايراً لما كانت عليه فيما سبق في مستوى الامن وتبني عقيدة استراتيجية تنسجم وطبيعة هذه المتغيرات، وعليه سيتم تناول البحث في محورين، وكالاتي: **الأول**: مستوى الامن، **والثاني**: العقيدة العسكرية.

المحور الاول: مستوى الامن

أصبح (الفضاء الالكتروني) مجالاً جديداً للفعل والتأثير في النظام الدولي، ومع الانتقال من مرحلة النمو السريع الى مرحلة الاستعمال الكثيف لتكنولوجيا

المعلومات، أصبحت قضية (أمن الفضاء الالكتروني) تحظى باهتمام متصاعد من اجندة الامن الدولي، وزادت العلاقة بين الامن والتكنولوجيا وثوقاً مع امكانية تعضيد المصالح الاستراتيجية ذات الطبيعة الالكترونية، الى أخطار تهدد بتحول الفضاء الالكتروني الى ساحة للصراع الدولي متعدد الاطراف[1]، واصبح الأمن السيبراني يشكل جزءاً أساسياً من أي سياسة أمنية وطنية، وبات من المعلوم أن صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وروسيا والصين والهند وغيرها من الدول يصنفون مسالة الأمن السيبراني كأولوية في سياساتهم الدفاعية الوطنية[2].

فمن جانب أصبحت قضية أمن الفضاء الإلكتروني تدخل في استراتيجيات الأمن القومي للعديد من الدول من اجل الاستحواذ على مصادر القوة في الفضاء الإلكتروني، وللحيلولة دون تعرض بنيتها التحتية الحيوية للخطر الذي ينجم جراء قطع خدمة الإنترنت أو ضرب مواقعها أو توقف رسائل البث الإذاعي أو التلفزيوني أو توقف موجات الراديو أو سقوط شبكات المحمول أو البث الفضائي، فقد أصبح لها تأثير عميق في المجتمع والاقتصاد على النطاق الدولي، وبذلك دخل المجال الإلكتروني ضمن المحددات الجديدة للقوة وأبعادها، من حيث طبيعتها وأنماط استخدامها وطبيعة الفاعلين، وهو ما كان له انعكاس على قدرات الدول وعلاقاتها الخارجية[3].

وعليه دفعت التهديدات المتزايدة لأمن الفضاء الإلكتروني العديد من الدول للعمل على بذل الجهود فرادى وجماعات بشأن الحفاظ على أمن الفضاء الإلكتروني

(2) الهيئة المنظمة للاتصالات، لمحة عامة حول الأمن السيبراني، لبنان. متاح على الموقع:
http://www.tra.gov.lb/Cybersecurity-in-few-words-AR.
للمزيد ينظر: تغريد معين حسن المشهدي، الأثر العسكري للأمن السيبراني في الجغرافيا السياسية للدولة، مجلة البحوث الجغرافية، جامعة الكوفة، كلية الآداب، العدد (30)، 2019، ص ص244ـ245.

(3) نورة شلوش، القرصنة الالكترونية في الفضاء السيبراني «التهديد المتصاعد لأمن الدول»، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، جامعة بابل، العدد (2)، 2018، ص200.

(1) ما أن تم انتخاب الرئيس الامريكي الاسبق (رونالد ريغان) (1981ـ1989) حتى قدم استراتيجية للأمن القومي تألفت من أربعة اتجاهات: دبلوماسية واقتصادية وعسكرية ومعلوماتية، تم التركيز فيها على العناصر المعلوماتية، وجرى المحافظة عليها في الوثائق اللاحقة لمسائل الأمن القومي، وفي كانون الثاني 1983 وقع (ريغان) على نظام قيادة الدبلوماسية الحكومية المرتبطة بأهداف الأمن القومي، وأعطى النظام حدوداً واسعة للنشاطات الدبلوماسية الحكومية، وأكد على أنه يتضمن إجراءات حكومة الولايات المتحدة الأمريكية الموجهة نحو دعم سياسة الأمن القومي الأمريكية أيضاً، وهذا يعني أن النظام أصبح يقوم بتنظيم وتنفيذ دائرة واسعة من الإجراءات المعلوماتية، والأكثر من ذلك وفر هذا النظام الظروف المناسبة لإعداد آليات تخطيط وتنسيق النشاطات الاجتماعية والمعلوماتية والسياسية لإدارة الولايات المتحدة الأمريكية، والمسائل المتعلقة بالبث الإذاعي المسموع والمرئي، كما جرت في نفس الوقت تبدلات جذرية في نظرية تطبيق التأثير المعلوماتي، وبدء عصر الصراع العالمي على الوعي الجماهيري للشعوب باستخدام أحدث تكنولوجيات المعلوماتية من خلال تنسيق نشاطات كل الأجهزة الحكومية والاتحادات العابرة للقوميات، وبذلك أصبحت الأجهزة الحكومية تستخدم إلى حد متنامي كمراكز تنسيق موجة للتأثير المعلوماتي والنفسي والدور الرئيس في عملية تنسيق نشاطات أجهزة التأثير المعلوماتي والنفسي الذي أصبح يؤديه مجلس الأمن القومي في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي كانت وظيفته عقيدة الدعاية النفسية للأمن القومي كفقرة مركزية في نظام العمليات النفسية إلى جانب الإدارة الحكومية، والمنظمات الدولية، وإدارة التجسس المركزية، ووكالة المعلومات في الولايات المتحدة الأمريكية (يوسيدا)، ورافقها ظهور آليات التنسيق العالمي للتأثير المعلوماتي والنفسي على المجتمع الدولي والتي شملت: رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ومجلس الأمن القومي والوزارات (الإدارات) ومنظمات الولايات المتحدة الأمريكية العاملة في الساحة الدولية، كما جاءت نشاطات أجهزة المعلوماتية والنفسية (الحكومية، والمنظمات الاجتماعية والتجارية) بثمارها لتسيطر الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة المعلوماتية العالمية، ولم تزل الولايات المتحدة الأمريكية اليوم تسعى بمساعدة شبكة الإنترنيت المتطورة في فرض استراتيجية تفوقها على الساحة المعلوماتية العالمية خلال القرن الواحد والعشرين. المصدر: محمد البخاري، المعلوماتية والعلاقات الدولية في عصر العولمة، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، الرياض، العدد (320)، 2003، ص43. للمزيد ينظر: عادل عبد الصادق، القوة الالكترونية: اسلحة الانتشار الشامل في عصر الفضاء الالكتروني، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد (188)، 2012، ص28.

اثر الفضاء الالكتروني في تغيير نمط القوة من حيث طبيعة وخصائص الامن والصراع في المشهد الدولي

لديها، سواء كان ذلك متمثلاً في انشاء هيئات لمواجهه الطوارئ المعلوماتية أو استحداث قوانين لمكافحة الجريمة الإلكترونية، أو إنشاء قيادة عسكرية لحماية الفضاء الالكتروني، أو استحداث وحدات للحرب الإلكترونية داخل الجيوش العسكرية، أو المشاركة في مناورات إلكترونية لتحسين القدرات الدفاعية أمام الهجمات الإلكترونية، فضلاً عن اطلاق العديد من المبادرات التي تقوم بها المنظمات الحكومية وغير الحكومية لدعم الأمن الإلكتروني، مثل الاتحاد الدولي للاتصالات الذي اطلق مبادرة للأمن الإلكتروني، وحلف شمال الأطلنطي الذي أنشا وحدة للدفاع الإلكتروني، كما أطلق الاتحاد الأوربي مبادرة للأمن الإلكتروني، ومن ناحيتها تبنت الولايات المتحدة الامريكية (الاستراتيجية الدولية للفضاء الإلكتروني)، وهي أول وثيقة سياسية من هذا النوع تبين الرؤية الشاملة لمستقبل التعاون الدولي المتعلق بالفضاء الإلكتروني[4]، فعلى سبيل المثال جرى خلال تسعينيات القرن الماضي في روسيا الاهتمام بهذه المسألة وأنشأت لجنة مشتركة من مختلف الإدارات الحكومية للاهتمام بالأمن المعلوماتي ضمن مجلس الأمن القومي الفيدرالي الروسي، وأعدت مشاريع عكست في مضمونها أساليب ووسائل وطرق حماية المصالح الحيوية للأفراد والمجتمع والدولة على الساحة المعلوماتية العالمية المفتوحة في عالم اليوم[5].

بذلك اثر الفضاء الالكتروني في تغيير نمط القوة من حيث طبيعة وخصائص الامن والصراع في المشهد الدولي، سواء كان على المستوى النظري او التطبيقي، فقد كانت معادلة القوة الشاملة للدولة في السابق ترتبط بتزايد القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والمجتمعية، وهذه القوة تسير في اتجاه ردع الاخرين، إذ اصبح لها تأثيرات وشواهد واضحة في العلاقات الدولية، وتم ذلك عبر متغيرات ثلاث هي:[6]

1- اعادة التفكير في مفهوم الامن القومي للدولة، إذ ان الامن السيبراني لم يقتصر فقط على بعده التقني، بل تعداه الى ابعاد اخرى في ظل تراجع سيادة الدولة، وتزايد العلاقة بين الامن والتكنولوجيا، وتأثير ذلك في المصالح الاستراتيجية للدول.

2- تعظيم القوة او الاستحواذ على عناصرها الاساسية في العلاقات الدولية، إذ اصبح التفوق في ذلك المجال عنصراً حيوياً في تنفيذ عمليات ذات فاعلية في الارض والبحر والجو والفضاء، واعتماد القدرة القتالية في الفضاء الالكتروني

(4)عـــادل عبـد الـصـادق، الـقـوة الالكترونية: اسلحة الانتشار الشامل في عصر الفضاء الالكتروني، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد (188)، 2012، ص28.

(5) محمد البخاري، الثورة المعلوماتية فجرت الحواجز القائمة بين الشعوب والـدول، مجلة المعرفة، دمشق، العدد (576)، 2011، ص53.

(6) عبد الغفار رعفيفي الدويك، مستقبل الصراع السيبراني العالمي في القرن الـ 21، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد (214)، 2018، ص31.

على نظم التحكم والسيطرة التكنولوجيا، وبات الفضاء الالكتروني مسرحاً لشن هجمات مدمرة (مادياً ومعنوياً).

3- بروز انماط جديدة من الصراع كمجال تنشأ فيه نزاعات بين الفاعلين المختلفين، وتعبيراً عن تعارض المصالح والقيم سواء بين الفاعلين من الدول او الفاعلين من غير الدول.

فرض الفضاء الالكتروني اعادة التفكير في مفهوم الامن

على اثر ذلك فرض الفضاء الالكتروني اعادة التفكير في مفهوم الامن، الذي يتعلق بتلك الدرجة التي تمكن الدولة من ان تصبح في مأمن من خطر التعرض للهجوم العسكري او الارهابي، واجراءات الحماية ضد تعرض المنشآت الحيوية للبنية التحتية للأعمال العدائية، وأصبح الفضاء الالكتروني يواجه بتهديدات متصاعدة نتيجة ارتباط العالم المتزايد به، مما عمل على زيادة خطر تعرض البنية التحتية الكونية للمعلومات لهجمات الكترونية، وكذلك استخدام الفاعلين من غير الدول الفضاء الالكتروني لتحقيق اهدافهم وتأثير ذلك على سيادة الدولة[7].

كما احدث الفضاء الالكتروني ثورة في عمل اجهزة الاستخبارات الدولية، ودخلت في تحديد اهداف ومهام ومراحل تنفيذ الانشطة الاستخبارية سواء تلك التي تتم في المجال الخارجي او داخل الدول، واستفادت تلك الاجهزة بتوافر كم هائل من المعلومات التي كانت تعاني في السابق من شحتها وصعوبات في التحليل، مما زاد من اهمية العنصر البشري في العمل الاستخباراتي[8]، فحسب المدرسة الواقعية ان الدول تسعى إلى إتباع سياسة الاعتماد على النفس في المجال الأمني، وهي بذلك تخلق ردة فعل مقابل الدول الأخرى، وبالنتيجة ستخلق حالة من انعدام الأمن[9]، كل هذه الديناميكيات هي مثال على المعضلة الأمنية حسب راي المدرسة الواقعية، فعند اتخاذ الدولة تدابير دفاعية يمكن للدول الأخرى إدراك مثل هذا السلوك باعتباره تهديداً لها ومن ثم الاستجابة له وفقاً لذلك، إذ تكمن وراء هذه المعضلة صعوبة التمييز بين الهجوم والتحركات الدفاعية عند محاولة تقييم النوايا لدولة أخرى[10].

وقبل الدخول في تعريف الامن الالكتروني لابد من تعريف الامن القومي اولاً، فالأمن القومي يعرف انه: «مجموعة القواعد الحركية التي يجب على الدولة ان تحتفظ باحترامها وان تفرض لنفسها نوعاً من الحماية الذاتية والوقائية الاقليمية، وهو بهذا المعنى يصبح في جوهره مجموعة التقاليد القومية التي تسير عليها السياسة العملية بثبات في علاقاتها، بحيث تضمن الا تؤخذ على حين غرة من عدو محتمل

(7) عادل عبد الصادق، اسلحة الفضاء الالكتروني في ضوء القانون الدولي الانساني، سلسلة اوراق، وحدة الدراسات المستقبلية، الاسكندرية، العدد (23)، 2016، ص ص30 36ـ.

(8) عادل عبد الصادق، اسلحة الانتشار الشامل في عصر الفضاء الالكتروني، مصدر سبق ذكره، ص28.

(9) وصفي محمد عقيل، التحولات المعرفية للواقعية والليبرالية في نظرية العلاقات الدولية المعاصرة، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الاردنية، العدد (1)، 2015، ص110.

(10) Alyza Sebenius, Writing the Rules of Cyber war, Harvard Kennedy school belfer center Cyber war, June 28, 2017. Available on site :https://www.belfercenter.org/publication/writing-rules-cyberwar

يستطيع ان يستغل مواقف الضعف في طبيعة حدودها القومية»[11]، وهناك من عرفه بانه: «تامين كيان الدولة والمجتمع ضد الاخطار التي تهددها داخلياً وخارجياً، وتامين مصالحها وتهيئة الظروف المناسبة اقتصادياً واجتماعياً لتحقيق الاهداف والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع»[12]. وبالاستناد الى تعريف الامن القومي يمكن تعريف الامن الالكتروني بانه: حماية البينات الالكترونية والشبكات الالكترونية، وكذلك الاشخاص الذين يستخدمونها من اولئك الذين يعتزمون ممارسة الاذى او الضرر او السرقة او المضايقة او الاعمال المماثلة[13]، فالأمن الفضائي السيبراني هو مجموع القواعد التي يضعها مسؤولو الامن في اي مكان والتي يجب ان يتقيد بها جميع الاشخاص الذين يمكنهم الوصول اليه، فمفهوم الامن مفهوم واسع يطال جميع عمليات الدخول والخروج والبقاء او التصرف في مكان ما، وعليه يشمل الامن في الفضاء السيبيري قواعد واصول ضبط الاتصال وانتقال المعلومات وتخزينها وحفظها، كما يشمل امن المواقع وامن الانظمة الالكترونية وعمليات استثمارها اضافة الى امن الاتصالات[14].

وبذلك تصبح الدولة والافراد بمأمن من الاختراقات التي يتعرضون اليها سواء كان ذلك داخلياً او خارجياً، ومن ثم يمكن للدولة الحفاظ على امنها القومي وتحقيق مصالحها الوطنية من خلال بناء منظومة امن متكاملة.

وبالاتساق مع ما تقدم أصبح الفضاء الإلكتروني يواجه تهديدات متصاعدة استجابة للبيئة الجديدة، وذلك من خلال:[15]

أولاً: ارتباط العالم المتزايد بالفضاء الإلكتروني، بما عمل على زيادة خطر تعرض البنية التحية الكونية للمعلومات لهجمات إلكترونية.

ثانياً: استخدام الفاعلين من غير الدول للفضاء الإلكتروني لتحقيق أهدافهم وتأثير ذلك على سيادة الدولة.

ثالثاً: انسحاب الدولة من قطاعات استراتيجية مهمة لصالح القطاع الخاص ولاسيما المنشآت الحيوية، مما ادى الى تصاعد دور الشركات متعددة الجنسيات.

رابعاً: تأثير مواجهة الحرب الإلكترونية على حرية استخدام الفضاء الإلكتروني.

خامساً: إشكالية تعامل الدول مع الشركات التكنولوجية متعددة الجنسيات والتي أصبحت تفوق قدراتها، مثل: (الفيس بوك، وتوتر، واليوتيوب)، إذ أصبحوا فاعلين دوليين.

أصبح الفضاء الإلكتروني يواجه تهديدات متصاعدة استجابة للبيئة الجديدة

(11) نقلا عن: عامر هاشم عواد، حدود الامن القومي الامريكي، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، بغداد، العدد (42)، 2013، ص59.

(12) المصدر نفسه.

(13)جون باسيت، الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين، (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014)، ص55.

(14) يونس مؤيد يونس، استراتيجية الولايات المتحدة الامريكية للأمن السيبراني، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد، العدد (55)، 2018، ص130.

(15) نورة شلوش، مصدر سبق ذكره، ص193.

وعليه ازدادت حالة الانكشاف الأمني للدول باعتمادها المتزايد على الفضاء الإلكتروني، والتي اصبحت عرضة للاختراق والهجوم بالفيروسات وسرقة المعلومات أو إتلافها، وأصبحت معضلة جديدة للأمن بتحوله إلى نوع جديد يعتمد على الشبكات والإنترنت، وبروز مخاوف من ممارسة الدول لمثل تلك المعطيات إلى إمكانية اتجاه الجماعات الإرهابية في التأثير على أمن الفضاء الإلكتروني[16]، فالحكومات والقوات المسلحة ومراكز مراقبة حركة الطيران والبنية التحتية والصناعة وشركات التكنولوجيا وعالم الاستخبارات جميها تعتمد وبشكل كبير على الحواسيب، كما ان هناك ملايين الاسرار والمشروعات فائقة التقدم مخزنة على أجهزة الحواسيب، وهذا يعني أن هذه المنظومات جميعاً معرضة للهجوم، ففي بريطانيا على سبيل المثال تتعرض حواسيب الحكومات والمنازل والشركات لديها لأكثر من 100 الف هجوم سايبري لكل 24 ساعة، وهذا يساوي 44 مليون هجوم لكل سنة، ويكبد ذلك الاقتصاد البريطاني خسائر هائلة تصل الى 27 مليار جنيه استرليني، كما تعد مخاطر الوضع اشد سوءاً في الولايات المتحدة، إذ أن الحرب السايبرية وانقطاع الاتصالات والتجسس السايبري يشكل أكبر تهديداً لها، وعلى اثر ذلك يسعى البنتاجون وأجهزة الاستخبارات الى تطوير القيادة السايبرية الامريكية[17]، فعلى سبيل المثال تعمل منظومة الامن الامريكية (التنفيذية والتطبيقية والرقابية) والتي هي مجموعة من الهيئات والوكالات الفيدرالية المسؤولة عن تطبيق وتنفيذ سياسات أمن المعلومات فيها، والتي لها ارتباطات مع باقي المؤسسات والوزارات القومية في الداخل الأمريكي، إذ تقدم لها الاستشارات والتطبيقات المعلوماتية والأمنية الإلكترونية، على ان يتم التنسيق مع العشرات من الوكالات الأمريكية، وعلى رأسها وكالة المخابرات الأمريكية ووكالة الأمن القومي، ووزارة الدفاع ومكاتب الاستطلاع الداخلية والخارجية والمكاتب المعنية بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية، وغيرها من الجهات والوزارات القومية الأمريكية، بهدف إبقاء الوضع المعلوماتي متزن مع جميع الجهات، وبالنتيجة الحصول على قدر كاف من المعلومات المتعلقة بالأمن القومي الأمريكي[18].

ازدادت حالة الانكشاف الأمني للدول باعتمادها المتزايد على الفضاء الإلكتروني

من هنا اصبحت مسالة الامن اكثر تعقيداً في ظل التكنولوجيا المتطورة التي يشهدها عالم اليوم، وذلك للأسباب الاتية:[19]

1 - استخدام تكنولوجيا الفضاء في امكانية اكتشاف الهدف وتتبعه والدقة في الوصول اليه والقدرة على تدميره.

(16) المصدر نفسه.

(17) مارك بيردسول، مستقبل الاستخبارات في القرن الحادي والعشرين، (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014)، ص16.

(18) وليد غسان سعيد، دور الحرب الإلكترونية في الصراع العربي الإسرائيلي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2013، ص46.

(19) روبرت كيوهان، مبني للمجهول: مآلات القيادة الامريكية للنظام الدولي، ترجمة: أحمد محمد ابو زيد، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد (404)، 2012، ص53.

2 - استخدام تكنولوجيا الفضاء في الاستطلاع والتصوير والمراقبة والاختراق والتجسس.

3 - استخدام تكنولوجيا التخفي والذكاء الصناعي واختراق الدفاعات المضادة والتهرب من الرادارات.

4- التفنن في الحصول على المعلومات والوصول اليها بسهولة ويسر.

لعل الاشخاص هم اكبر ثغرة امنية في امن الفضاء الالكتروني

ولعل الاشخاص هم اكبر ثغرة امنية في امن الفضاء الالكتروني سواء كانوا من العاملين داخل المؤسسة المستهدفة، ام من الاعضاء الموظفين الذين يرتكبون اخطاء حين تواجههم تدابير تكنولوجيا امن معلومات تتسم بالتعقيد وانعدام الترابط[20]، لذلك تسعى الدول الى حماية الحسابات الإلكترونية والبريدية التابعة لها، حتى لا يتعرض أمنها القومي للخطر، إذ تمنح المسؤولين بموجبها حسابات بريدية رسمية، لكن في بداية العام 2015 وقبل أن تعلن وزيرة الخارجية الامريكية السابقة (هيلاري كلينتون) عن نيتها لخوض الانتخابات الأمريكية، كشفت التقارير الصحفية عن استخدام (كلينتون) (بريداً إلكترونياً)* خاصاً تستخدمه بدلاً من البريد الرسمي، وهو ما أثار المخاوف الأمريكية لتعرضه لعمليات قرصنة مما يهدد امنها القومي[21]، إذ تعد مكافحة قراصنة الانترنت تحدياً كبيراً بالنسبة الى اجهزة الامن، ليس في مجال التجسس فقط، بل إن البنية التحتية الحيوية للعديد من الدول ومفاعلات الطاقة النووية ومحطات المياه وشبكاتها والغاز والكهرباء ووسائل النقل والمواصلات والمنشآت العامة الاخرى مثل المستشفيات وغيرها، جميعها تعتمد على منظومات حاسوبية، وهذه المنظومات كلها تعرضت في السنوات الاخيرة لهجمات سايبرية [22].

فمن جانب مكنت العولمة الكوكبية التي يعيشها العالم قدرة الفواعل الدوليين ومنظمات دولية حكومية وغير حكومية وحركات تحررية واجتماعية دولية وحتى المنظمات الإرهابية على استخدام القوة الإلكترونية في تحقيق أهدافها. لذا، أصبحت هناك علاقة وثيقة بين الأمن الدولي والفضاء الإلكتروني، إذ يوجد المحتوى المعلوماتي العسكري والأمني والفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والخدمي والعلمي والبحثي في الفضاء الإليكتروني، لاسيما مع التوسع في تبني الحكومة الإلكترونية من جانب العديد من الدول، واتساع نطاق مستخدمي وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات في العالم، فقد اصبحت قواعد

(20) جون باسيت، حرب الفضاء الالكتروني: التسلح واساليب الدفاع الجديدة، (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014)، ص58.

(21) عمرو صبحي، تكتيك الدرع والسيف في استخدام القوة السيبرانية، دراسات، المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة، 2018. متاح على الموقع: . http://www.acrseg.org/40716
استغلت روسيا أمر البريد الإلكتروني الخاص بـ (هيلاري كلينتون)، في محاولة لتصفية الحساب معها نظراً لتشجيعها للاحتجاجات عقب فوز (فلاديمير بوتين) في العام 2012، وقامت بقرصنة ونشر رسائل البريد الإلكتروني الخاص بـ (كلينتون)، لتلقي بالشك في نزاهة الانتخابات الأمريكية، وقد أكد مسؤولون في الإدارة الأمريكية وفقاً لـ (نيويورك تايمز) أنهم واثقون من أن القراصنة (الروس) قد تسللوا أيضاً إلى أنظمة الحاسوب التابعة للجنة الوطنية للحزب الجمهوري، كما فعلوا مع الحزب الديمقراطي. المصدر: عمرو صبحي، مصدر سبق ذكره.

(22) مارك بيردسول، مصدر سبق ذكره، ص 17 .

البيانات القومية في حالة انكشاف خارجي، وهذا ما يعرضها لخطر هجمات الفضاء الإلكتروني، إلى جانب الدعاية والمعلومات المضللة ونشر الشائعات، أو الدعوة لأعمال تحريض أو دعم المعارضة الداخلية للنظام الحاكم[23]، وعلى اثر ذلك صدر في العام 2003 توجيه رئاسي أمريكي بضرورة توفير مظلة الحماية المعلوماتية لشبكات الحاسوب في البنى التحتية الحرجة للولايات المتحدة بوصفها الحلقة الاضعف في بنية الأمن القومي الأمريكي، والأكثر عرضة لهجمات معلوماتية شرسة من قوى دولية وربما حتى هامشية، وفي العام 2007 دعت الإدارة الامريكية وكالة الأمن القومي للتنسيق مع وزارة الأمن الداخلي لحماية الحكومة وشبكات الاتصالات المدنية من المتسللين ضمن اطار خطة تهدف إلى تعزيز الأمن السيبراني للمؤسسات الحكومية، وتعزيز الدفاعات لمكافحة الإرهاب، فقد خصص لهذا التوجه الاستراتيجي (144) مليون دولار من ميزانية الدفاع الأمريكي[24].

ومع تزايد حجم الاعتمادية الأمريكية على شبكة المعلومات وتعرض الجيش الأمريكي في العام 2016 لعدد كبير من هجمات الانترنت، أعلن الرئيس السابق (باراك أوباما) ان: «تهديد الانترنت اصبح واحداً من أخطر التحديات التي تواجها بلاده، وأن الأسلحة التي تستخدم في هذه الحرب هي أسلحة الدمار الشامل الحقيقية»[25]، واتبع ذلك اعلان قادة في البنتاغون: «أن شن هجوم سيبراني مضر بما فيه الكفاية على الولايات المتحدة، قد ينظر إليه على أنه عمل من أعمال الحرب يستدعي الرد عليه بالصورة نفسها، ولن يأخذ هذا الرد بالضرورة شكل هجوم سيبراني مضاد من جانب الولايات المتحدة»[26]، ونتيجة لذلك التحدي تحركت الإدارة الأمريكية من خلال الأمن الإلكتروني بخطى أكثر جدية وشمولية في اطار ما يعرف بالمبادرة الوطنية الشاملة للأمن السيبراني، والتي خصص لها مبلغ قدره 8 مليار دولار من ميزانية العام 2019، كما قدمت القيادة الإلكترونية لتطوير تكنولوجيات الانترنت تصوراتها للكونغرس حول السياسة الإلكترونية لوزارة الدفاع والإدارة القومية لمكافحة التجسس، وتوجهات سياسة واشنطن في هذا المجال للمستقبل المنظور، وكان من بين ما تضمنته هذه الاستراتيجية الجديدة بمفاصلها الرئيسة، هو توحيد نظم القيادة والتحكم والاتصالات والاستخبارات تحت إدارة واحدة تسمى (القيادة الفضائية الأمريكية)، والتي تخضع للإشراف المباشر من قبل مساعد وزير الدفاع الأمريكي، وتتولى هذه القيادة مسؤولية إدارة شبكات الحاسوب في كل صنوف الجيش الأمريكي، يتقدم ذلك دورها المحوري في مجال تأمين الحماية الإلكترونية لها في مواجهة الإرهاب المعلوماتي، أو حتى تحقيق هجمات

(23) رانيا عبد الله، القوة الإلكترونية وأبعاد التحول في خصائص القوة، اوراق، مجلة الشباب، 2014، متاح على الموقع: http://shabab.ahram.org. eg/News/21761.aspx .

(24) سامر مؤيد عبد اللطيف، الحرب في الفضاء الرقمي رؤية مستقبلية، مجلة رسالة الحقوق، مركز الدراسات القانونية والدستورية، جامعة كربلاء، العدد (2)، 2015، ص93.

(25) نقلاً عن: المصدر نفسه.

(26) المصدر نفسه.

معلوماتية استباقية ضد خصومها، فضلاً عن مهامها التقليدية في تقديم الخدمات لأنشطة القوات المسلحة الأمريكية ايام الحرب والسلم[27].

(27) المصدر نفسه، ص88.

وبالاستناد الى ما تقدم، فقد اصبح إدماج الفضاء الإلكتروني ضمن الأمن القومي للدول حاجة ملحة، من خلال تحديث الجيوش وتدشين وحدات متخصصة للحروب الإلكترونية، وإقامة هيئات وطنية للأمن والدفاع الإلكتروني، والقيام بالتدريب وإجـراء المناورات من اجل تعزيز الدفاعات الإلكترونية، وكذلك العمل على تعزيز التعاون الدولي في مجالات تأمين الفضاء الإلكتروني، والقيام بمشروعات وطنية للأمن الإلكتروني[28].

(28) عادل عبد الصادق، أنماط

من هنا تأتي أهمية تعاون كافة الفاعلين لترسيخ ثقافة عالمية لأمن الفضاء الإلكتروني، وأهمية الموازنة بين اعتبارات الأمن وحرية استخدام الفضاء الإلكتروني، والاحتكار العالمي للتكنولوجيا والعمل على انتقالها في دول العالم، ومن ثم فإن التعامل مع النمط الجديد من التهديدات يتطلب تعاوناً دولياً، وكذلك أهمية الحاجة إلى فتح الطريق أمام التعاون المثمر بين الحكومات والأفراد والشركات العاملة في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، كما يجب تعزيز دور الفضاء الإلكتروني في النمو الاقتصادي وتحسين حياة المواطنين، وحرية الرأي والتعبير، وتعزيز التسامح بين الثقافات، وبذل جهود دولية عاجلة ومتكاتفة لمواجهة تهديدات أمن الفضاء الإلكتروني بإمكانية العمل على حل الصراعات على أرض الواقع لمنع انتقالها إليه، والعمل على توافق القوانين المتعلقة بالصراع الإلكتروني مع القانون الدولي وأهمية المبادرات الدولية لحماية الفضاء الإلكتروني، فضلاً عن البحث والتطوير في مجال الدفاعات ضد الأخطار الإلكترونية، وتعزيز أشكال التعاون الدولي في سبيل مكافحتها من أجل تعزيز أمن الفضاء الإلكتروني باعتباره مرفقاً دولياً وتراثاً مشتركاً للإنسانية[29].

(29) عـادل عبد الـصـادق، القـوة الإلكترونية: أسلحة الانتشار الشامل في عصر الفضاء الإلكتروني، مصدر سبق ذكره، ص29.

لكن بالمقابل يعد امن الفضاء الالكتروني بطبيعته مشكلة دولية كما هو واضح في سلسلة من المؤتمرات الدولية المعنية بأداة الفضاء الالكتروني التي بدأت في (لندن) في العام 2011، وتواصلت في (بودابست) للعام 2012 ومضت قدماً في (سيؤول) للعام 2013، إذ ان احتمالات تحقيق تقدم مبكر في مجال الاتفاقات الدولية لمراقبة استخدام اسلحة الفضاء الالكترونية وتنظيمها تبدو ضئيلة، وعلى اية حال فمن المرجح انه حتى في ظل وجود بيئة حميدة فان مفاوضات الحرب الالكترونية قد لا تتسم بالتوصل الى حل شامل واحد، وانما بسلسلة من الاتفاقات المحدودة التي يتم التوصل اليها على امتداد مدة من الزمن، ونظراً الى احتمال تطور سريع لأسلحة الفضاء الالكتروني من الجيل الثاني الشديدة التأثير

يعد امن الفضاء الالكتروني بطبيعته مشكلة دولية

وانتشار المنظومات المنخفضة التأثير، قد يكون من الافضل ان تركز المفاوضات على الحد من الاضرار الجانبية والتأثيرات الانسانية، وعلاوة على ذلك يبدو من الصعب جداً التغلب على تحديات التحقق الفعال وتطبيق العقوبات، إذ تعتمد نظم الرقابة على الاسلحة التقليدية على التحقق من خلال التفتيش واحتمال فرض عقوبات تأديبية على المخالفين، كما يمكن ان تشكل سهولة اخفاء تطوير اسلحة الفضاء الالكتروني بالإضافة الى مشكلة الاستخدام المزدوج عقبة أداء امام نظام تحقق ذي مصداقية، بالإضافة الى ذلك فان تطبيق العقوبات التأديبية من الممكن ان تعرقله صعوبات تحميل المسؤولية بصورة ذات مصداقية في اي حادثة من هذا النوع[30]. لذلك اصبح الفضاء السيبراني اكثر عرضة للهجمات السيبرانية فيما يتعلق بعملية تزايد البنية التحتية الكونية للمعلومات دولياً نتيجة عدد من المتغيرات اهمها:[31]

(30) جون باسيت، مصدر سبق ذكره، ص ص54ـ66.

(31) عبد الغفار رعفيفي الدويك، مصدر سبق ذكره، ص34.

1- باتت العلاقة بين الامن والتكنولوجيا علاقة طردية مع امكانية تعرض المصالح الاستراتيجية ذات الطبيعة السيبرانية الى اخطار الكترونية، واعادة التفكير في مفهوم الامن القومي الذي يعنى بحماية قيم المجتمع الاساسية ومن ثم يعد رافداً جديداً له.

2- يهتم الامن السيبراني بعملية وضع المعايير والاجراءات لمنع الاستخدامات غير السلمية للفضاء السيبراني، وما يمثله ذلك من تهديد للأمن العالمي والبنية التحتية الكونية للمعلومات، إذ اصبح امن الدول جزء من الامن الجماعي.

3- اصبحت قضية امن الفضاء السيبراني قضية دولية تتطلب استراتيجية مرنة تتوائم مع المتغيرات المستمرة سواء في الآليات او التكتيكات الخاصة بالأمن مقابل التطور المستمر في الاخطار.

4- لم يتم الاقتصار في عملية الاهتمام بالأمن السيبراني على البعد التقني وحسب، بل تجاوزه الى ابعاد اخرى اصبحت ذات علاقة في تفسير القضية، مثل الابعاد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية.

5- تصاعد دور الفاعلين من غير الدول في العلاقات الدولية اثر بدوره على سيادة الدولة، لاسيما مع بروز الشركات التكنولوجية عابرة للحدود الدولية.

المحور الثاني: العقيدة الاستراتيجية

برزت في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ولاسيما في منتصف عقد التسعينيات من القرن الماضي، اتجاهات فكرية أمريكية تطالب بضرورة تغيير مفاهيم وعقائد

الاستراتيجية الأمريكية بما ينسجم مع متطلبات المرحلة، وعلى اثر ذلك طرح تيار المحافظين الجدد رؤية جديدة لأداء الاستراتيجية الأمريكية تتمثل في توظيفها لمقومات قوتها الشاملة وفرض هيمنتها على العالم، وقد استند هذا الطرح إلى مقاربة مشروع القرن الأمريكي الذي يهدف إلى ترويج الأفكار المتعلقة بالقيادة الأمريكية بشكل يتوافق مع المبادئ والمصالح الأمريكية الجديدة، لاسيما وإن تيار المحافظين الجدد استطاع توظيف أحداث 11 أيلول عام 2001 في تحقيق أهدافه المتمثلة في تغيير مفاهيم وعقائد واستراتيجيات جديدة تمايزت عن مرحلة الحرب الباردة، ويبدو إن هذا المذهب يحوي تطلعات مستقبلية للأعوام المقبلة من القرن الحادي والعشرين، إذ يتجه الفكر الاستراتيجي الأمريكي إلى إدامة القوات المسلحة الأمريكية وتطوير أدائها من خلال إجراء بعض التعديلات على عناصر الجيش، لاسيما في هيكلة القوات ومدى حجمها وتسليحها، وانطلاقاً من إن الجيش ذو العدد الكبير أصبح يكلف ميزانية الدولة أموالاً طائلة تصل ما بين 70-80% من ميزانيتها على الإنفاق العسكري، تم استحداث استراتيجية بناء جيش صغير وذكي[32].

بالمقابل شهد العقد الاخير من القرن العشرين تطورات سريعة في مجالي الحوسبة وتكنولوجيا المعلومات، مما افضى الى تغييرات بعيدة المدى في جميع مجالات الحياة، ولاسيما في المجالين العسكري والامني اللذين شهدا تغيرات تتعلق بطرق القتال وبناء الجيوش القوية، ويعزى ذلك جزئياً الى المستجدات التي طرأت على انماط التفكير الاستراتيجي وعلى بلورة عقيدة قتالية تتلائم مع الواقع المتغير[33].

إن حالة انعدام الثقة واللايقين في العلاقات الدولية هو ما شجع تزايد النزاعات في العالم، فضلاً عن التطورات السريعة في الفضاء السيبراني، وهذا ما جعل الدول تسارع إلى تبني تغييرات في العقيدة الامنية، وذلك بإدراج القوة السيبرانية كمحدد رئيس لمدى قوة الدولة وقدرتها على حسم النزاعات لصالحها، وعلى اثر ذلك نجد أن كلاً من والولايات المتحدة الأمريكية، والصين، واسرائيل، وبريطانيا، وفرنسا، وإيران، وكوريا الشمالية، قد طوروا من عقيدتهم الأمنية، وأصبح الفضاء السيبراني مسرحاً للعمليات العسكرية لكل منهم، كما أوجدوا قيادة خاصة ومستقلة لقيادة العمليات السيبرانية.[34]

بذلك افرزت القوة الالكترونية التي اثرت من ناحيتها في علاقات القوة في السياسة الدولية، **داخلياً** من خلال توزيع القوة بين اكبر عدد من الفاعلين مع ضعف السيطرة الدولية، **وخارجياً** من خلال زيادة قدرة الفاعل الاصغر في السياسة الدولية على

(32) عمار حميد ياسين، مكانة القوة في المدرك الاستراتيجي الأمريكي دراسة في التأصيل النظري والتوظيف الاستراتيجي، مجلة السياسية والدولية، كلية العلوم السياسية- الجامعة المستنصرية، العددان (35ـ36)، 2017، ص ص-405 406.

(33) نقلا عن: جيل برعام، تأثير تطور تكنولوجيا الحرب السيبرانية على بناء القوة في اسرائيل، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2014، ص2، متاح على الموقع: http://www.pales-tine-studies.org .

(34) اسماعيل زروقة، الفضاء السيبراني والتحول في مفاهيم القوة والصراع، مجلة العلوم القانونية والسياسية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، العدد (1)، 2019، ص26.

ممارسة انواع مختلفة من القوة في الفضاء الالكتروني. وعلى اثر ذلك اصبح تامين الفضاء الالكتروني جزءاً من استراتيجيات الامن القومي للعديد من الدول، فقد قام البعض منها بإنشاء هيئات الطوارئ لمواجهة المعلوماتية الالكترونية، وقيادات عسكرية لحماية الفضاء الالكتروني[35].

من هنا يجب النظر إلى استراتيجية الفضاء الإلكتروني على أنها مكون لا يتجزأ من مشاركة الدولة في مجال الإنترنت في هذا الإطار، إذ يجب أن تتم عملية تعزيز القوة للفضاء الإلكتروني والتي تشمل خمس عناصر رئيسة هي: الأول صياغة استراتيجية وعقيدة للسلوك في الفضاء الإلكتروني، والثاني تطوير التكنولوجيا التي تدعم تحقيق أهداف واتجاهات النشاط السيبراني على النحو المحدد في الاستراتيجية، والثالث يتعلق بتنمية الموارد البشرية لتشغيل الأدوات التكنولوجية، والرابع يكمل الآخرين بشكل كبير ويتعلق بتنظيم الموظفين في الأطر التشغيلية ذات الصلة على أساس المزايا النسبية في العملية، والعنصر الخامس يتعامل مع التدريبات الخاصة بالتكنولوجيا للتركيز على بناء البرامج المهمة وممارستها في الواقع[36].

ان الخلفية الفلسفية والفكرية لاستراتيجية وسائل الاتصال والاعلام التي تتبناها وزارة الخارجية الامريكية هي نفسها خلفية المدرسة الامريكية الكلاسيكية التي صاغها المفكر (مارشال مكلوهان)، والتي تنص على ان: «شكل وطبيعة وسائل الاتصال والاعـلام في اي مجتمع واي عصر هي التي تصوغ شكل التنظيم الاجتماعي والسياسي وليس العكس، وان نشر وتعميم وسائل الاتصال والاعلام في المجتمعات هو هدف في حد ذاته، لان ادوات ووسائل الاتصال والاعلام تخلق شروط نمو البيئة الليبرالية التحررية والديمقراطية في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية»[37].

هذا التقدم في المجال التكنو- معلوماتي أسهم في إعادة صياغة الاستراتيجية العسكرية الأمريكية، حيث كشفت خبرة الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة في عقد التسعينيات من القرن المنصرم (حرب الخليج الثانية 1991 في إطار التحالف الدولي، وحرب كوسوفا 1999 في إطار حلف الناتو، والحرب ضد أفغانستان، والحرب ضد العراق في العام 2003)، عن جملة حقائق تشكل اليوم أساس العقيدة العسكرية للقوات المسلحة الأمريكية ومذهبها القتالي، فقد أتاح تنامي وتائر الثورة التقنية العسكرية فرصاً للتفكير بترجيح خيار حروب تستخدم فيها أسلحة تقليدية ذات خصائص تقنية- معلوماتية على درجة عالية من الكفاءة القتالية تحقيقاً لمبدأ الحسم السريع لأية عملية عسكرية تشارك فيها القوات الأمريكية[38]، إذ سعت

(35) نقلا عن: صباح عبد الصبور عبد الحي، استخدام القوة الالكترونية في التفاعلات الدولية، بحوث ودراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، اسطنبول، 2016، ص4.

(36) Gabi Siboni and Ofer Assaf, Guidelines for a National Cyber Strategy, the institute for national security studies, strategic studies center, 2014. Available on the site: http://www.inss.org.il .

(37) نقلاً عن: مركز الحرب الناعمة للدراسات، شبكات التواصل الاجتماعي منصات للحرب الامريكية الناعمة، (شبكة المعارف الإسلامية، 2016)، ص91.

(38)عبد القادر محمد فهمي، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية: دراسة في الافكار والعقائد ووسائل الامبراطوري، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009)، ص ص171ـ175.

المؤسسة العسكرية الأمريكية إلى توظيف الثورة التكنو- معلوماتية لخدمة أهدافها الاستراتيجية العسكرية من خلال تطوير كفاءتها القتالية وضبط أدائها العملياتي. وان نظرية الاشتباك الآمن ما هي إلا نتيجة لمثل هذا التوظيف، فقد انطوت هذه النظرية على تحول مهم في مجال الأسلحة المستخدمة بهدف توسيع مداها القتالي المؤثر وزيادة قدرتها التدميرية، فمنظومات الأسلحة التقليدية التي تعتمد على تكنولوجيا المعلومات والأجهزة الكمبيوترية لم يعد مداها مقتصراً على مسارح العمليات، بل امتد أثرها المدمر إلى أهداف استراتيجية خارج نطاق النشاط الميداني أو التعبوي للقوات المتحاربة، لتصل إلى داخل العمق الاستراتيجي للعدو.[39] من هنا جاء في تقرير المراجعة الرباعية الذي قدمته وزارة الدفاع الأمريكية للكونغرس، وتكلل بالإشارة التي اوردها نائب وزير الدفاع الأمريكي الاسبق (بول ولفويتز) في العام 2001 إلى: «ضرورة تبني الولايات المتحدة لاستراتيجيات جديدة للدفاع ضد أنماط غير تقليدية من الحروب يأتي في مقدمتها حروب الشبكة الدولية للمعلومات»[40].

(39)عبد القادر محمد فهمي، مصدر سبق ذكره، ص171.

(40) نقلاً عن: سامر مؤيد عبد اللطيف، مصدر سبق ذكره، ص93.

وهذا ما اكدت عليه الاستراتيجية القومية العسكرية الامريكية لعمليات الفضاء الالكتروني الصادرة في العام 2006 من خلال تأكيدها السيطرة على المعلومات وتبادلها وتوظيفها بما يخدم الاهداف المرسومة دون التلاعب فيها او تدميرها، والقدرة على الاختراق ومراقبة بيانات العدو، والتطبيقات الحركية، وحرية الحركة داخل الفضاء الالكتروني سواء كانت حركات هجومية او دفاعية، وتطبيق القانون من خلال سرعة اجراء التحقيقات في الاعمال الاجرامية لردع الجناة، ومكافحة التجسس من خلال معرفة الخصم ومدى نواياه واهدافه وقدرته في استغلال المجال الالكتروني[41].

(41) يونس مؤيد يونس، مصدر سبق ذكره، ص141.

بذلك جاءت استراتيجية الأمن القومي الأمريكي للعام 2010 لتؤكد أن: «التهديدات الإلكترونية تمثل واحدة من أخطر التهديدات التي تواجه الأمن القومي والسلامة العامة للمواطنين، فضلاً عن أنها أحد أهم التحديات التي تواجه الاقتصاد القومي، ومن ثم يجب تأمينها، كما يجب أن تكون جديرة بثقة مستخدميها، ويمكن تحقيق ذلك عبر الاستثمار في الناس والتكنولوجيا، وعبر تدعيم قدرات الشركات مع القطاعات المختلفة، سواء كانوا أفراداً أو مؤسسات خاصة»[42]. بناء على ذلك فقد اكدت استراتيجية الأمن القومي الأمريكي للعام 2010 التي أعادت تأكيد الأولويات الطويلة الأمد في السياسة الخارجية الأمريكية على الاتي:[43]

(42) نقلاً عن: إيهاب خليفة، أبعاد التحول في استراتيجية الدفاع الأمريكية، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ابو ظبي، 2014، متاح على الموقع: https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/856/cyber-defense.

(43) Kristin M. Lord and Travis Sharp, America's Cyber Future: Security and Prosperity in the Information Age, center for a new American security, Francisco in February 2011, p12.

1 - أمن الولايات المتحدة ومواطنيها وحلفائها وشركائها.

2 - اقتصاد أمريكي قوي مبتكر ومتنامي في ظل نظام اقتصادي دولي مفتوح يعزز الفرص والازدهار.

3 - احترام القيم العالمية.

ففي ذات السياق اشارت وثيقة الامن القومي الامريكي عن حماية الولايات المتحدة من الحرب الالكترونية لتحسين الامن الامريكي في بنيتنا التحتية الحيوية، إذ تقوم الاستراتيجية بتقييم المخاطر في ست مجالات رئيسة هي: (الامن الوطني، والطاقة، والاعمال المصرفية المالية، والصحة والسلامة والاتصالات، والنقل)، إذ تعمل الاستراتيجية على مواجهة التهديدات الالكترونية، داخلياً من خلال فرض الولايات المتحدة الامريكية عواقب سريعة ومكلفة على الحكومات الاجنبية والمجرمين والجهات الفاعلة الاخرى التي تضطلع بأنشطة الكترونية خبيثة، وخارجياً من خلال العمل مع الحلفاء والاصدقاء لتوسيع وعيها بالأنشطة الخبيثة، من اجل تحسين تبادل المعلومات مع الدول الصديقة[44]، ويمكن القول إن السطور الأولى من هذه الاستراتيجية تلخص أزمة العقل السياسي الأميركي المعاصر الذي مازال أكثر تمسكاً بمشروع السيطرة على العالم، وهي السيطرة التي أطلق عليها الحزب الجمهوري تسمية (الهيمنة الأميركية على العالم)، وأطلق عليها الحزب الديمقراطي تسمية (قيادة أميركا للعالم)، ورغم الفرق الشكلي بينهما الا ان المضمون نفسه بين القيادة والهيمنة[45].

(44) يحيى سعيد قاعود وعلا عامر الجعب، وثيقة الامن القومي الامريكي 2017، قراءة تحليلية في استراتيجية دونالد ترامب، مجلة قراءات استراتيجية، منظمة التحرير الفلسطيني، مركز التخطيط الفلسطيني، العدد (20)، 2018، ص44.

(45) الحرب الناعمة الاسس والنظرية والتطبيقية، مصدر سبق ذكره، ص72.

بناء على ذلك اوجدت ثورة المعلومات بيئة استراتيجية من الصعب توظيفها، إذ يمكن من خلالها صياغة مفهوم جديد للاستراتيجية العسكرية، إذ في هذا الصدد يذكر (الفن توفلر):» ان الاهتمام بالحرب والحرب المضادة -حرب المعلومات- يبدأ من اعادة صياغة استراتيجية المعرفة العسكرية والمخابراتية، حيث لا تعتمد الاستراتيجيات اليوم على القوة العسكرية فحسب، وانما على القدرة الشاملة للدولة، والتي تكمن في القدرات المتوفرة والكامنة والمحتملة، ويأتي في مقدمتها العقل والمعلومة»[46]، بذلك اخذ مصطلح استراتيجية حرب المعلومات منحاً جديداً يقتضي محاولة معرفة كل شيء عن الخصم ومنعه في الوقت نفسه من الحصول على المعلومات، وهذا يعد جزءاً اساسياً من الاستراتيجية العسكرية التي يطلق عليها (توفلر): «تغيير توازن المعلومات والمعرفة لصالحك»[47].

(46) نقلاً عن: جهاد عودة، المعلومات وصناعة القرار الاستراتيجي، (القاهرة: المكتب العربي للمعارف، 2018)، ص282. للمزيد ينظر:Isaac Bin Israel and Lior Tabansky, An Interdisciplinary View of Security Challenges in the Information Age, Military and Strategic Affairs, Center for Strategic Studies B,institute for National Security Studies cd, Volume 3, No. 3, December 2011, p13.

(47) جهاد عودة، مصدر سبق ذكره، ص282.

من هنا تأسست العقيدة الاستراتيجية للولايات المتحدة في ظل الظروف الموضوعية للبيئة الدولية للرد على أي هجوم سيبراني بأي سلاح، وبما يتناسب

والضرر المادي الناجم عن إصرار أن القانون الدولي- بما في ذلك الحق في الدفاع عن النفس- ينطبق على النزاعات السيبرانية[48]، وعليه فقد أعدت الإدارات المتعاقبة على البيت الأبيض في إطار مواجهة التهديدات الإلكترونية المختلفة، سواء في مدة رئاسة الرئيس الامريكي الاسبق (جورج دبليو بوش) أو في مدة رئاسة الرئيس الامريكي السابق (باراك أوباما)، العديد من الخطط والاستراتيجيات التي تتنوع ما بين، الدفاع مثل: الاستراتيجية القومية للحماية المادية للبنية التحتية الحيوية والأصول الرئيسة، والاستراتيجية القومية لتأمين الفضاء الإلكتروني الصادرتين في العام 2003، والهجوم مثل: الاستراتيجية القومية العسكرية لعمليات الفضاء الإلكتروني الصادرة في العام 2006، وإنشاء قيادة عسكرية في الفضاء الإلكتروني تابعة لوزارة الدفاع والصادرة في العام 2009، وتعظيم التعاون الدولي في مجال مكافحة الهجمات الإلكترونية مثل: الاستراتيجية الدولية للفضاء الإلكتروني الصادرة في العام 2011[49].

(48) Joseph S. Nye, Is Cyber the Perfect Weapon, the world›s opinion page, July 05, 2018 https://www.project-syndicate.org/commentary/deterring-cyber-attacks-and-information-warfare-by-joseph-s--nye-2018-07 .

(49) إيهاب خليفة، أبعاد التحول في استراتيجية الدفاع الأمريكية، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ابو ظبي، 2014، متاح على الموقع: https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/856/cyber-defense.

ان الغرض الاساس من اي استراتيجية امنية وطنية امريكية هي الدفاع عن الولايات المتحدة، فالولايات المتحدة الامريكية لا تصنع الاسلحة بغرض بسط الهيمنة على مختلف المجالات (البحار والفضاء الخارجي والفضاء الالكتروني) فحسب، وانما للدفاع عن امنها القومي، واذا كان هذا القول يبدو بسيطاً لأول وهلة فانه سرعان ما يصبح معقداً بسبب من يعتقدون ان افضل السبل للدفاع هو الهجوم وتدمير الخصم، وفي هذا الصدد يذكر الجنرال (روبرت الدر) عندما كان على راس قيادة حرب الفضاء الالكتروني التابعة للقوات الجوية، إذ ذكر لعدد من الصحفيين ان قيادته على الرغم من تمتعها بقدرات هجومية كانت تخطط لشل شبكات الحاسوب لدى العدو بقوله: «اننا نريد ان ننقض عليهم لنضربهم الضربة القاضية في الجولة الاولى»[50].

(50) نقلاً عن: ريتشارد كلارك وروبرت نيك، حرب الفضاء الالكتروني: التهديد التالي للأمن القومي وكيفية التعامل معه، (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2012)، ص ص190ـ191.

ونتيجة لذلك اقرت الولايات المتحدة الامريكية في العام 2018 استراتيجية جديدة للأمن السيبراني اتخذت فيها موقفاً أكثر شراسة في الحرب السيبرانية، في مقابل تهديدات كل من روسيا والصين، ودخلت حيز التنفيذ بعد قرار الرئيس (دونالد ترامب) بإلغاء قواعد حددها سلفه الرئيس (باراك أوباما) للعمليات السيبرانية، والاتجاه لاستعدادات الحرب السيبرانية من خلال بناء قوة أكثر فتكاً، وتوسيع التحالفات والشراكات، وهي ترى ان الفضاء السيبراني يجب ان يعزز بالتفوق العسكري وممارسة الأنشطة الاستخباراتية، وحماية الامن القومي، والعمل على ردع

اقرت الولايات المتحدة الامريكية في العام 2018 استراتيجية جديدة للأمن السيبراني اتخذت فيها موقفاً أكثر شراسة في الحرب السيبرانية

القوى الدولية المنافسة، ومواجهة سرقة الأسرار الصناعية، وتهديد البنية التحتية المعلوماتية والنظام الديموقراطي، وذلك من خلال العمل على:[51]

1 - ضمان قدرة الجيش الأمريكي على القتال وكسب الحروب في أي مجال، بما في ذلك الفضاء السيبراني، وحماية الأمن القومي وردع العدوان الذي قد يشنه الأعداء، والاستجابة السريعة للهجمات السيبرانية التي تمثل استخداماً للقوة ضد مصالح الولايات المتحدة وحلفائها وشركائها الاستراتيجيين.

2 - السعي لشن هجمات استباقية وردع الأنشطة السيئة عبر الإنترنت، التي تستهدف البنية التحتية، والتي قد تؤثر في قدرة وزارة الدفاع للدفاع عن المصالح الوطنية، واعتماد أسلوب الدفاع الى الإمام من خلال ضرب مصادر الخطر خارج حدود الولايات المتحدة قبل ان تصل الى الداخل.

3 - تعزيز التعاون مع الهيئات المعنية بالدفاع مع القطاعين العام والخاص لتنسيق انماط الاستجابة، ونقل الخبرات والتعاون في تنفيذ الاستراتيجية القومية للأمن السيبراني.

4 - التعاون مع الحلفاء من اجل تعزيز القدرة على مواجهة الهجمات السيبرانية، وتعزيز جاهزيتها في مجال الدفاع السيبراني والردع ومواجهة الهجمات، وتشارك المعلومات للعمل على فاعلية مواجهة التهديدات السيبرانية وتعزيز وضع الأمن السيبراني.

5 - تعزيز قواعد السلوك الرسمي للدولة في الفضاء السيبراني من اجل العمل على تبني المبادئ الطوعية وغير الملزمة لسلوك الدولة في الفضاء السيبراني، وتأييد عمل لجنة فريق الخبراء الحكوميين التابع للأمم المتحدة المعني بالتطورات في مجال المعلومات والاتصالات في سياق الأمن الدولي.

وفي هذا السياق ثمة مبادئ اساسية من مبادئ الاستراتيجية السيبرانية ربما تساعد في الموازنة الجديدة لعملية التحول في النسق الدولي تتمثل في:

المبدأ الأول: إدراك أن المفاهيم الاستراتيجية لم تعد تحمل المعنى نفسه بسبب التغيير التكنولوجي، فالعملة النقدية على سبيل المثال تعد لاعباً في الاستراتيجية المالية لأي دولة أو شركة أو فرد، ومع ذلك فقد تبدل شكل هذه العملة على مر الزمن، إذ كانت في السابق تصنع من المعادن، اصبحت ورقية، وفي عالم اليوم باتت قطع عملة رقمية على الانترنت، وأدى هذا التحول بدوره إلى تغييرات في الاستراتيجيات نفسها التي يمكن استخدامها لرفع قيمة هذه العملات.[52]

(51) نقلاً عن: المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني، عادل عبد الصادق، صراع السيادة السيبرانية بين التوجهات الروسية والأمريكية، التقرير الاستراتيجي العربي 2018، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2019، ص ص26ـ29. متاح على الموقع: http:// accronline.com/article_detail.aspx-?id=29415

(52) بيتر سنجر، التكنولوجيا العسكرية.. دورها حاسم في الحروب، مجلة آفاق المستقبل، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، العدد (27)، 2015، ص90.

المبدأ الثاني: إدراك أن الادوات الموثوق بها ربما لا تخدم الأهداف الاستراتيجية بالسبل عينها، فقد نرى اليوم تحولاً مماثلاً في طور الحدوث، فعلى سبيل المثال في الأشهر التسعة الأولى من عمليات الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها ضد تنظيم (داعش) اصيب أكثر من 5548 هدفاً خلال ما يقرب من 3300 ضربة جوية، ويعد هذا المستوى عالٍ من الدقة تاريخياً مقارنة بالاختبارات التي أجريت إبان الحرب العالمية الثانية، إذ كان معدل الإصابة أقل من 4 % من خلال الضربات الصاروخية ضد أهداف ثابتة كانت مطلية باللون الأبيض.

المبدأ الثالث: هو معاينة إمكانية تسبب التحولات التكنولوجية في تغيير الأهداف نفسها التي تنطوي عليها استراتيجية ما، فهناك هدف محوري يتمثل في بحث الكيفية التي يمكن من خلالها زيادة قدرتنا في الجانب الهجومي، حتى نصل إلى مرحلة الردع، لكن بالمقابل هناك تحدٍ كبير يتمثل في حالة الصراع الإلكتروني، إذ ان معرفة من يتعرض للهجوم والتعرف إلى الذي يشن هذا الهجوم، يعدان مسالة بالغة الاهمية[53].

من هنا نصت سياسة الردع في الفضاء الإلكتروني التي انتهجتها إدارة الرئيس السابق (باراك أوباما) من أن: «الردع في الفضاء الإلكتروني في عصر المعلومات يختلف اختلافاً جوهرياً عن مفاهيم عصر الحرب الباردة التي تهدف إلى ردع استخدام أسلحة الدمار الشامل»[54]. ووفقاً لذلك فإن الفضاء الإلكتروني يتمتع بخصائص فريدة بما في ذلك طبيعته العالمية والمترابطة، والملكية الخاصة إلى حد كبير، وإمكانية عدم الكشف عن الهوية، والحواجز المنخفضة أمام دخول أولئك الذين يرغبون في إحداث الضرر، وهي خصائص تشكل تحديات للردع تختلف في نوعها ونطاقها عن الردع في الجانب التقليدي بنسبة أكبر[55]، يتضح من ذلك ان (الردع السيبراني) اصبح مفهوماً عصرياً ذو اتجاهات متعددة، فهناك مجموعة كبيرة من الأدبيات والجدل الذي يسعى إلى تبسيطه وجعله كنظرية قابلة للتطبيق في سبيل إدراجه في استراتيجيات الأمن القومي، لاسيما التهديدات التي طرأت في العصر الحديث من خلال المجالات السيبرانية (التجسس الإلكتروني، الحرب الإلكترونية، الهجمات الإلكترونية، القرصنة والتخريب الإلكتروني، سرقة الصناعة)، فقد اضطر استراتيجيو ومخططو الأمن القومي في البحث من ردع أعمال القوة السيبرانية، ليس فقط على الشبكات الحكومية ولكن أيضاً على الشركات والأفراد عبر تشكيل دفاع قوي قائم على التهديد بالانتقام[56].

(53) بيتر سنجر، مصدر سبق ذكره، ص90.
الردع السيبراني هو استراتيجية تسعى من خلالها الدولة المدافعة للحفاظ على الوضع الراهن من خلال الإشارة إلى نواياها لردع نشاط سيبراني عدائي، عبر استهداف جهاز صنع القرار لدى الخصم، والتأثير عليه لتجنب الانخراط في نشاط سيبراني مدمر، خوفاً من الانتقام الأكبر من جانب المعتدي الأول، ويختلف الردع في التفاعلات الدولية على أرض الواقع جزئياً منه في حالة الردع في الفضاء الإلكتروني، كون أن أحد الفاعلين غير قادر على إزالة أو تدمير الطرف الآخر كلياً، كما في حالة الردع النووي مثلاً، كذلك ليس من السهولة تحقيق الردع في الفضاء الإلكتروني بسبب خاصية التخفي، والتي تجعل من الصعوبة بمكان على متخصصي الأمن الإلكتروني أن يتعرفوا على خصومهم أو أن يتوقعوا من أين سوف تأتيهم الهجمة الإلكترونية القادمة، وهو ما يطرح سؤالاً حول إمكانية أن تقوم الهجمات الإلكترونية بتهديد السلم والأمن العالمي؟ ولتحقيق الردع الإلكتروني يجب أن تعمل الدول على زيادة قدراتها الدفاعية من خلال حائط صد للهجمات الإلكترونية، ووضع أجهزة استشعار على بنيتها التحتية للكشف المبكر عن الأخطار الإلكترونية، وتطوير قدراتها في مجال التتبع العكسي للهجمات الإلكترونية لمعرفة مكان إطلاقها. المصدر:
A A Ghionis, The Limits of Deterrence in the Cyber World An Analysis of Deterrence by Punishment, university of Sussex, 2013, p12. Available on the site:http://www.inss.org.il.

(54) نقلاً عن: يوشياكي ناكاغاوا وسكوت دبليو هارولد واخرون، التحالف الأمريكي الياباني ومواجهة ضغوطات النزاع البارد (المنطقة الرمادية) في مجالات البحر والفضاء الإلكتروني والفضاء الخارجي، مؤسسة (راند)، سانتا مونيكا، كاليفورنيا، 2017، ص ص42ـ43. متاح على الموقع: www.rand.org.

(55) يوشياكي ناكاغاوا وسكوت دبليو هارولد واخرون، مصدر سبق ذكره.

(56) A A Ghionis, The Limits of Deterrence in the Cyber World An Analysis of Deterrence by Punishment, university of Sussex, 2013, p9. Available on the site : http://www.inss.org.il.

وبالاستناد الى ما تقدم فان العقيدة الاستراتيجية للردع السيبراني في الفضاء الالكتروني ترتكز الى ثلاث ركائز هي:[57]

(57) رغدة البهي، الردع السيبراني: المفهوم والاشكاليات والمتطلبات، مجلة العلوم السياسية والقانون، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، العدد (17)، 2017، ص ص 52، 61

الاولى: مصداقية الدفاع عن انظمة المعلومات وردع اي محاولة لاختراقها وتوافر انظمة نسخ احتياطية اخرى، مما يعني ان اي هجوم ناجح عليها لن يسفر عن التدمير التام لها او الفقدان الكلي لما تحويه من معلومات، ورغم تزايد تكلفة هذا الحل الا انه الحل العملي الاكثر فعالية.

الثانية: الرغبة في الانتقام، إذ على من تعرض للهجوم ان يعلن عن رغبته في الانتقام من المهاجم، كون ان امتلاك القدرة على الانتقام لا تكفي بمفردها لردعه، كما يختلف الردع في عصر المعلومات كثيراً عنه في عصر الحرب الباردة الذي تميز بقلة عدد الدول المالكة للسلاح النووي، لكن في عالم اليوم فان عدد الدول التي تسعى لتطوير اسلحتها السيبرانية بلغ حوالي 140 دولة، كذلك ادخلت 30 دولة الوحدات السيبرية في جيوشها.

في عالم اليوم فان عدد الدول التي تسعى لتطوير اسلحتها السيبرانية بلغ حوالي 140 دولة، كذلك ادخلت 30 دولة الوحدات السيبرية في جيوشها.

الثالثة: القدرة على الانتقام، إذ لا بد من ان يتكبد المهاجم ضرراً يفوق ما وقع على المدافع من اضرار، ولكن هذا يتطلب القدرة على الانتقام وتنفيذ هجمة سيبرانية ضد المهاجم الاول بعد التعرف عليه وهو امر صعب التحقق.

مما تقدم يمكننا القول: تغيرت الرؤية الامريكية بالنسبة الى بيئتها الداخلية، وانعكست تلك الرؤية بالتفكير على المستوى الامني بأبعاده الداخلية، فاصبح يشكل تهديداً كبيراً على امن الدولة، لاسيما في ظل التقنية المتاحة والمتوافرة للأفراد والشركات والتنظيمات الارهابية، فأصبحت حرية الراي والمشاركة متاحة للجميع في الفضاء الالكتروني، وبالنتيجة انعكس ذلك عن تبني نوع معين من العقيدة الاستراتيجية تتماشى وواقع هذه البيئة، والتي جاءت مصاحبة ومتزامنة مع التطور الحاصل للقوة في مفهومها الشامل والمتمثلة بالقوة المعلوماتية.

الخاتمــة:

يمكن القول تغيرت الرؤية الامريكية بالنسبة الى بيئتها الداخلية، وانعكست تلك الرؤية بالتفكير على المستوى الامني بأبعاده الداخلية، فاصبح يشكل تهديداً كبيراً على امن الدولة، لاسيما في ظل التقنية المتاحة والمتوافرة للأفراد والشركات والتنظيمات الارهابية، فأصبحت حرية الراي والمشاركة متاحة للجميع في الفضاء

الالكتروني، وانعكس ذلك عن تبني نوع معين من العقيدة الاستراتيجية تتماشى وواقع هذه البيئة، والتي جاءت مصاحبة ومتزامنة مع التطور الحاصل للقوة في مفهومها الشامل والمتمثلة بالقوة المعلوماتية. بالاستناد الى ما تقدم يتضح ان القوة المعلوماتية الامريكية قد تطورت بشكل كبير نتيجة لعوامل عدة اثرت في البيئتين الداخلية والخارجية، اي على الصعيدين المحلي والدولي، وانعكس ذلك وبالشكل الكبير والمباشر في رسم الاستراتيجيات التي تنسجم مع متطلبات التحول التي يشهدها عالم اليوم في ظل تسارع تكنولوجيا المعلومات، بالنتيجة احدثت هذه التحولات نقلة نوعية في حركة التفاعلات الدولية من سباق تسلح وحروب وصراعات دولية، كان لها الدور الكبير في اختلالات ميزان القوى الدولي.

ان التطورات التي يشهدها النظام الدولي من تقدم تكنولوجي اثرت في ميزان القوى، وجعلت من القوة شيئاً نسبياً يختلف عما كان عليه فيما مضى، فقد اصبح امتلاك القوة وتوظيفها وممارسة التأثير والنفوذ في السياسة الدولية امر متاح، لاسيما مع دخول فواعل من غير الدول في النظام الدولي وممارستهم لأنواع عدة من القوة في الفضاء الالكتروني. لذلك، وانسجاماً مع متطلبات المرحلة التي يشهدها النظام الدولي والتي تعد منعطفاً خطيراً في العلاقات الدولية، اخذت الدول على عاتقها تبني القوة المعلوماتية، وتأتي في مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية، سيما وانها تبحث دوماً عن متطلبات الهيمنة.

قائمة المصادر والمراجع:

اولاً: الكتب

1 - جهاد عودة، المعلومات وصناعة القرار الاستراتيجي، (القاهرة: المكتب العربي للمعارف، 2018).

2 - جون باسيت، الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين، (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014).

3 - ـــــــــــ، حرب الفضاء الالكتروني: التسلح واساليب الدفاع الجديدة، (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014).

4 - -4ريتشارد كلارك وروبرت نيك، حرب الفضاء الالكتروني: التهديد التالي للأمن القومي وكيفية التعامل معه، (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2012).

5 - عبد القادر محمد فهمي، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية: دراسة في الافكار والعقائد ووسائل البناء الامبراطوري، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009).

6 - مارك بيردسول، مستقبل الاستخبارات في القرن الحادي والعشرين، (ابو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014).

7 - مركز الحرب الناعمة للدراسات، شبكات التواصل الاجتماعي منصات للحرب الامريكية الناعمة، (شبكة المعارف الإسلامية، 2016).

ثانياً: الدوريات والمجلات

1 - اسماعيل زروقة، الفضاء السيبراني والتحول في مفاهيم القوة والصراع، مجلة العلوم القانونية والسياسية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، العدد (1)، 2019.

2 - إيهاب خليفة، ثورة قادمة: ابتكارات تكنولوجية تغير نمط حياة الأفراد وأوضاع الدول، تحليلات المستقبل، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ابو ظبي، العدد (16)، 2016.

3 - بيتر سنجر، التكنولوجيا العسكرية.. دورها حاسم في الحروب، مجلة آفاق المستقبل، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، العدد (27)، 2015.

4 - تغريد معين حسن المشهدي، الأثر العسكري للأمن السيبراني في الجغرافيا السياسية للدولة، مجلة البحوث الجغرافية، جامعة الكوفة، كلية الآداب، العدد (30)، 2019.

5 - رغدة البهي، الردع السيبراني: المفهوم والاشكاليات والمتطلبات، مجلة العلوم السياسية والقانون، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، العدد (17)، 2017.

6 - روبرت كيوهان، مبني للمجهول: مآلات القيادة الامريكية للنظام الدولي، ترجمة: أحمد محمد ابو زيد، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد (404)، 2012.

7 - سامر مؤيد عبد اللطيف، الحرب في الفضاء الرقمي رؤية مستقبلية، مجلة رسالة الحقوق، مركز الدراسات القانونية والدستورية، جامعة كربلاء، العدد (2)، 2015.

8 - صباح عبد الصبور عبد الحي، استخدام القوة الالكترونية في التفاعلات الدولية، بحوث ودراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، اسطنبول، 2016.

9 - عبد الغفار رعفيفي الدويك، مستقبل الصراع السيبراني العالمي في القرن الـ 21، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد (214)، 2018.

10 - عادل عبد الصادق، القوة الالكترونية: اسلحة الانتشار الشامل في عصر الفضاء الالكتروني، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد (188)، 2012.

11 - ـــــــــــــــ، اسلحة الفضاء الالكتروني في ضوء القانون الدولي الانساني، سلسلة اوراق، وحدة الدراسات المستقبلية، الاسكندرية، العدد (23)، 2016.

12 - ـــــــــــــــ، أنماط الحرب السيبرانية وتداعياتها على الأمن العالمي، ملحق مجلة السياسية الدولية، مؤسسة الاهرام، القاهرة، العدد (208)، 2017.

13 - عامر هاشم عواد، حدود الامن القومي الامريكي، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، بغداد، العدد (42)، 2013.

14 - عمار حميد ياسين، مكانة القوة في المدرك الاستراتيجي الأمريكي دراسة في التأصيل النظري والتوظيف الاستراتيجي، مجلة السياسية والدولية، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، العددان (35-36)، 2017.

15 - نورة شلوش، القرصنة الالكترونية في الفضاء السيبراني «التهديد المتصاعد لأمن الدول»، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، جامعة بابل، العدد (2)، 2018.

16 - محمد البخاري، الثورة المعلوماتية فجرت الحواجز القائمة بين الشعوب والدول، مجلة المعرفة، دمشق، العدد (576)، 2011.

17 - ـــــــــــــ، المعلوماتية والعلاقات الدولية في عصر العولمة، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، الرياض، العدد (320)، 2003.

18 - -18وصفي محمد عقيل، التحولات المعرفية للواقعية والليبرالية في نظرية العلاقات الدولية المعاصرة، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الاردنية، العدد (1)، 2015.

19 - يحيى سعيد قاعود وعلا عامر الجعب، وثيقة الامن القومي الامريكي 2017، قراءة تحليلية في استراتيجية دونالد ترامب، مجلة قراءات استراتيجية، منظمة التحرير الفلسطيني، مركز التخطيط الفلسطيني، العدد (20)، 2018.

20 - يونس مؤيد يونس، استراتيجية الولايات المتحدة الامريكية للأمن السيبراني، مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد، العدد (55)، 2018.

ثالثاً: الرسائل

1 - وليد غسان سعيد، دور الحرب الإلكترونية في الصراع العربي الإسرائيلي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2013.

رابعاً: الانترنت

1 - الهيئة المنظمة للاتصالات، لمحة عامة حول الأمن السيبراني، لبنان. متاح على الموقع: http://www.tra.gov.lb/Cybersecurity-in-few-words-AR .

2 - إيهاب خليفة، أبعاد التحول في استراتيجية الدفاع الأمريكية، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ابو ظبي، 2014، متاح على الموقع: https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/856/cyber-defense .

1 - المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني، عادل عبد الصادق، صراع السيادة السيبرانية بين التوجهات الروسية والأمريكية، التقرير الاستراتيجي العربي 2018، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2019. متاح على الموقع: http://accronline.com/article_detail.aspx?id=29415 .

2 - جيل برعام، تأثير تطور تكنولوجيا الحرب السيبرانية على بناء القوة في اسرائيل، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2014. متاح على الموقع: http://www.palestine-studies.org .

3 - رانيا عبد الله، القوة الإلكترونية وأبعاد التحول في خصائص القوة، اوراق، مجلة الشباب، 2014، متاح على الموقع: http://shabab.ahram.org.eg/News/21761.aspx .

4 - عمرو صبحي، تكتيك الدرع والسيف في استخدام القوة السيبرانية، دراسات، المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة، 2018. متاح على الموقع: http://www.acrseg.org/40716.

5 - يوشياكي ناكاغاوا وسكوت دبليو هارولد واخرون، التحالف الأمريكي الياباني ومواجهة ضغوطات النزاع البارد (المنطقة الرمادية) في مجالات البحر والفضاء الإلكتروني والفضاء الخارجي، مؤسسة (راند)، سانتا مونيكا، كاليفورنيا، 2017. متاح على الموقع: www.rand.org .

Books:

1 - Isaac Bin Israel and Lior Tabansky, An Interdisciplinary View of Security Challenges in the Information Age, Military and Strategic Affairs, Center for Strategic Studies B,institute for National Security Studies cd, Volume 3, No. 3, December 2011.

2 - Kristin M. Lord and Travis Sharp, America's Cyber Future: Security and Prosperity in the Information Age, center for a new American security, Francisco in February 2011.

Internet:

1 - A A Ghionis, The Limits of Deterrence in the Cyber World An Analysis of Deterrence by Punishment, university of Sussex, 2013. Available on the site: http://www.inss.org.il .

2 - Gabi Siboni and Ofer Assaf, Guidelines for a National Cyber Strategy, the institute for national security studies, strategic studies center, 2014. Available on the site: http://www.inss.org.il.

3 - Alyza Sebenius, Writing the Rules of Cyber war, Harvard Kennedy school belfer center Cyber war, June 28, 2017. Available on site: https://www.belfercenter.org/publication/writing-rules-cyberwar.

4 - Joseph S. Nye, Is Cyber the Perfect Weapon, the world's opinion page, July 05, 2018 https://www.project-syndicate.org/commentary/deterring-cyber-attacks-and-information-warfare-by-joseph-s--nye-2018-07.

بلفور من اللاسامية إلى إنشاء وطن قومي لليهود

م. مراد الزير*
باحث من فلسطين

* مدير تنفيذي ومدير قسم الدراسات /في مركز كنعان للدراسات والخدمات المتحفية
mailto:muradkablias@gmail.com

الملخص:

(**تهدف** الدراسة لمعرفة التحول الفكري والديني والسياسي لآثر جيمس بلفور، صاحب الوعد الصادر في 2 نوفمبر 1917 من ناحية تحوّله من اللاسامية التي ظهرت لديه في عام 1905 ورفضه التام لهجرة اليهود لبريطانيا، إلى تأييده فجأةً لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين عام 1917، وذلك من خلال التعرف على اللاسامية عند بلفور، واجتماع حاييم وايزمان معه حول الوطن القومي، والتعرف على كيفية إعداد نص وعد بلفور من بدايته وصولاً للنسخة النهائية، ومن ثم تحليل كيفية تحوّل بلفور من اللاسامية إلى السامية وفق رؤية المؤرخين، وقامت الدراسة على المنهج الوصفي التاريخي والتحليلي من خلال الرجوع لأهم الدراسات والمصادر الأجنبية والعربية التي تناولت موضوع تحوّل بلفور من اللاسامية إلى السامية، والأحداث التي جرت خلال تلك السنوات، وبناءً على تحليل ما جاء بالأدبيات، توصلت الدراسة إلى أن التأثير الصهيوني في السياسية البريطانية لها الأثر الكبير في إصدار الإعلان المتعلق بإنشاء وطن قومي لليهود، وإنّ تحول بلفور من اللاسامية إلى السامية كان ناجماً لأكثر من سببٍ وفق رؤية المؤرخين، فمنهم من أشار إلى وازعه الديني، ومنهم إلى أسلوب وايزمان بالإقناع، أو إلى ازدواجية السبب بين المصلحة البريطانية والمصلحة الصهيونية حول إنشاء وطن قومي لليهود، ولكن تبين السبب خلال الدراسة بأنه محاولة بلفور استرداد مكانته السياسية في السياسة البريطانية؛ وذلك بعدما خسر مقعده في الانتخابات في عام 1906 في ظل رفضه للهجرة).

الكلمات المفتاحية: اللاسامية، الوطن القومي، وعد بلفور.

Balfour, From Anti-Semitism to Creating a National Home For Jews

Murad AL-Zeer

Bachelor's Degree in Electronic Engineering.
Executive Director and Director of Studies at
Canaan Institute For Studies and Museum Services

Abstract:

(The study aims to find out the impact of the intellectual, religious and political transformation on James Balfour. His promise issued on November 2, 1917 in terms of his shifting from anti-Semitism, which appeared to have in 1905 and completely rejected the Jewish immigration to Britain. Suddenly, he advocated for the establishment of a Jewish homeland in Palestine in 1917 through recognizing anti-Semitism at Balfour, the meeting of Chaim Weizmann with him on the national home, and learn how to prepare a text-homeland Balfour from the beginning and reaching the final version. Then, analyzing how Balfour transformed from anti-Semitism to Semitism in accordance with the vision of historians. The study adapted the methodology of the historical and analytical descriptive approach by going back to the reference of the most important of foreign and Arabic studies that dealt with the subject of Balfour transformation from anti-Semitism to Semitism and the events that took place during those years. Based on the analysis of literatures, the study found that the Zionist influence on the British policy have a significant impact in declaring the establishment of a national country for the Jews. Balfour transformation from anti-Semitism- to Semitism was due to more than one reason according to the vision of historians. Some of them pointed out to religious reasons, some to the method of Weizmann persuasion, or duplication of reason between the British interest and the interest of Zionism regarding the establishment of a Jewish homeland, but it turns out the reason is to try to recover the Balfour political position in British politics; after he lost his seat in the election in 1906 because of his rejection of immigration)

Key Words: Anti-Semitism, The national homeland, The Balfour Declaration.

المقـدمــة:

يعتبر مفهوم اللاسامية أو معاداة السامية من المفاهيم الحديثة، والتي يعود جذورها من المنطلق التوراتي إلى سام بن نوح، فمفهوم السامية أو شعوب السامية، هو مصطلح مبتكر حسب ما تمت الإشارة إليه، ويؤكد ذلك ما أشار إليه عرابي إلى أن مصطلح الشعوب السامية قد ظهر في منتصف القرن الثامن عشر على يد مجموعة

من المؤرخين المُستشرقين لربط أصولهم اليهودية بالمنطقة العربية، وينفي «عرابي» ذلك بأن اليهود الحاليين من شعوبٍ وجنسياتٍ مختلفة، ولا صلة لهم بالسامية، [1] حيث يشير حجازي بأن السامية مصطلح مستوحاة من التوراة تمّ استعماله من قبل الألماني شولتزر في عام 1781، وقد اعتبر بأن السامية تعود لكل من تكلّم باللغات الآرامية المتمثلة بالآشورية والآكادية والبابلية والفينيقية والكنعانية والعبرية، بينما الصهاينة قد احتكروا المفهوم لليهود فقط،[2] وينفي عرابي بناءً على أقوال الدكتور أحمد داود في كتابه (الساميون والعبرانيون) بأن السامية المنتسبة لنسل سام لم تخلقْ لغةً عبرية فسام بن نوح وآرام بن سام لم يبتدعا لغة، وكانت لغتهما اللغة العربية ولم يخرجا عنها.[3]

(1) عرابي، رجا (2006) سفر التاريخ اليهودي اليهود تاريخهم عقائدهم فرقهم نشاطاتهم سلوكياتهم الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية، (ط.2)، سورية، الأوائل للنشر والتوزيع، ص44.

(2) حجازي، فهد (2016) الوظيفة اليهودية من أرتحششتا إلى بلفور، بيروت، دار الفارابي، ص238.

(3) عرابي، رجا، مرجع سابق، ص 46.

وبعد التعرف على السامية فإنّ اللاسامية مفهوم يعادي اليهود، وبالتالي اختلط المعنى الدلالي للاسامية في اللغة الأوروبية، فقد أُزيل الفرق بين ظاهرة معاداة اليهود في الدولة الرومانية وفي العصور الوسطى المسيحية ومعاداتهم على أساس عرقي أو ديني، وكذلك أصبحت معاداة الصهيونية معاداة لليهود[4]، فمن هرتزل إلى وايزمن، ومن بن غوريون إلى غولدمان، آمن جميع قادة الصهيونية وعظوا بأن العدو الرئيس للصهيونية ليست «معاداة السامية»، والتي هي أممية بل بـ»استيعاب» اليهودي في بلدان العالم، ويتفق كل من «معاداة السامية» والصهيونية على الفرضية الأساسية: أن جميع اليهود هم أمة واحدة ذات خصائص وطنية مشتركة ومصير وطني مشترك، والفرق بينهما هو أنه في حين أن «معاداة السامية» تكره «الخصائص القومية» المزعومة لليهود وتبتهج بالمعاناة اليهودية، حيث إن الصهيونية تجسد تلك الخصائص الخيالية وتسعى إلى جمع جميع اليهود معاً في دولة يهودية واحدة[5]، والسبب في معاداة السامية تتمثل باليهودي، فحسب ما يشير رشاد إلى إنّ مفهوم «اليهودي» وفقاً للنفسية الإسرائيلية يعتبر مصطلحاً عنصرياً يجمع بين العصبية العرقية والغرور السياسي،[6] ويشير إسماعيل محمد إلى أن الشخصية اليهودية شخصية مليئة بالغرور والتعصب وهي تنظر لغير اليهود نظرة استعلاء وتكبر،[7] ربما هذه الأمور تعتبر كتقديم لخلق مفهوم اللاسامية، حيث يشير عبد الحميد حمدان إلى أن اليهود لا يصنفوا كأمة ولا كوحدة إثنولوجية، وإنما هي مجموعة اجتماعية دينية، ومن ثم فإنّ اللاسامية مفهوم مبتكر أيضاً،[8] حيث يشير ستانلي واليس وتشارلز داير(Stanley Ellisen & Charles Dyer) إلى أن أول من استخدم كلمة «معاداة السامية» لأول مرة كان فيلهلم مار في عام 1879، وإنّ معاداة السامية كراهية اليهود؛ كونها تتهم اليهود بجريمة أنهم يهود، وبالتالي فإنّ هذا المفهوم

(4) هاشم، محمد (2010) الدين والسياسة والنبوءة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية، حلب، دار الكتاب العربي، ص 245.

(5) Sayegh, Fayez A (1965) Zionist Colonialism In Palestine, Beirut, Research Center * Palestine Liberation Organization, P22.

(6) رشاد، يوسف (2009) اليهودي العالمي/ قراءة جديدة لكتاب هنري فورد، حلب، دار الكتاب العربي، ص114.

(7) محمد، إسماعيل (2010) الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية، القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ص 87ـ88.

(8) حمدان، عبد الحميد (2000) فلسطين أولا... إسرائيل ـ فلسطينيات وإسرائيليات، القاهرة، مكتبة مدبولي، ص 320.

اختلط بالمناطق المعادية للسامية، [9] ويؤكد ذلك ما يشير إليه منصور بأن مفهوم اللاسامية هو مصطلح متعارف عليه في أوروبا وهو كراهية اليهود.[10] وحسب ما تقدم فإنّ معاداة السامية في أبسط معانيها هي الكراهية تجاه اليهود[11]، مما يعني بأن اليهود مضطهدين وفق اللاسامية مما أدى لنشوء الصهيونية، ومعاداتهم بمثابة معاداة السامية والصهيونية، فحسب ما يشير إليه صموئيل سالزبورن (Samuel Salzborn)[12] بأن مفهوم معاداة الصهيونية حسب تعريف الاتحاد الأوروبي، هو إنكار حق الشعب اليهودي في تقرير المصير حول أن وجود دولة إسرائيل هو مشروع عنصري، بالإضافة لاستخدام الرموز والصور المرتبطة بمعاداة السامية التقليدية مثل الاتهام بقتل المسيح أو أسطورة القتل الطقسي، ووفق تعريف معاداة الصهيونية يتبين بأن مفهومي اللاسامية ومعاداة الصهيونية ذات المفهوم، مما يعكس أسباباً مختلفة لنشوء هذا المفهوم، وهذا ما أشار إليه منصور بأن مفهوم اللاسامية نشأ بسبب عامل ديني متمثل بأن اليهود هم السبب في موت السيد المسيح، وعامل اقتصادي بأن اليهود نجحوا في المجال الاقتصادي فوجهت إليهم التهم بأنهم يقومون باستغلال المجتمعات المسيحية التي يقيمون بها، وعامل قومي بأن اليهود ليسوا أمناء للبلاد التي يقيمون فيها، فهم يرفضون الاختلاط بالمجتمعات، وعامل اجتماعي فاليهودي يرفض الاندماج مع المجتمع المسيحي، وعامل عنصري وهو كراهية الأوروبي لليهودي بسبب عنصره السامي، وعامل سياسي، فقد قامت الأحزاب لكراهية اليهود كونهم أصحاب رأس مال كبير.[13]

لذا فإنّ سبب استخدام المفهوم يعود لأسباب دينية توراتية، فحسب ما تشير ريت (Rhett) بأن مؤسسي الحركة الصهيونية أدركوا أنه باستخدام الخطاب المسيحي الصهيوني وكسب عطف الناس فيما يتعلق بتسريع مجيء الثاني للمسيح سيشجع الأوروبيين بالرغبة لمعاداة السامية والتخلص من اليهود، فحسب ريت (Rhett) فإنّ ظاهرة معاداة السامية هي فكر مبتكر،[14] حيث يشير سليمان ناجي إلى أن أثرياء اليهود قد رشوا حكام روسيا من أجل توسيع اضطهادهم لليهود ليجبروهم على الخروج من روسيا إلى فلسطين، وأن قضية درايفوس (Dreyfus) التي اعتبرت مهد التحول من التشتت لفكرة إنشاء وطن قومي، مُشكك بها،[15] وخصوصاً ما يؤكده إسماعيل كوس بأن قضية درايفوس (Dreyfus) عام 1894 كانت حكماً كاذباً مما أجبر بعض اليهود لدعم رغبة الصهاينة في إقامة دولة يهودية، وقد كانت بريطانيا على علاقة جيدة مع اليهود والصهاينة بخلاف دول قارة أوروبا وروسيا القيصرية.[16] لذا يتبين من أن اللاسامية مفهوم مبتكر وفق هؤلاء المُشار إليهم، وبهذا تكمن مشكلة

(9) Stanley A. Ellisen & Charles H. Dyer (2005) Wem gehört das Land? Die wirklichen Ursachen des Nahost-Konflikts,USA, Tyndale House Publishers, s46

(10) منصور، جوني (2009) معجم الأعـلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، رام الله، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، ص 45.

(11) Yesevi, Çağla Gül (2017) İsrail'in Devlet İmajının Şekillenmesi, Bilge Strateji, 9(16), p p 97-129, s 110.

(12) Salzborn, Samuel(2010) Israelkritik oder Antisemitismus? Kriterien für eine Unterscheidung, Deutschland, der Georg-August-Universität Göttingen, s 10

(13) منصور، جوني، مرجع سابق، ص 45ـ46.

(14) Rhett, Maryanne A. (2016) The Global History of the Balfour Declaration Declared Nation, London, Routledge Taylor & Francis Group,p 6.

(15) ناجي، سليمان (2007)اليهود عبر التاريخ، تقديم، سهيل زكّار، دمشق، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ص240.

(16) Köse, Ismail(2018)the lloyd george government of the uk: balfour declaration the promise for a national home to jews (1916-1920), p p727-754.

الدراسة بأن وعد بلفور من القضايا التي اختلف الباحثون حول أسبابها ودواعيها، وحسب تاريخ بلفور فقد تبيّن بأنه كان معادياً للسامية في فترة ما قبل صدور الإعلان، وهذا يثير الجدل حول كيفية إصدار بلفور للوعد المتمثل بإنشاء وطن قومي لليهود وهو يتصف باللاسامية، ومن هنا فقد جاءت هذه الدراسة لتدرس التحوّل الذي طرأ على بلفور بتحوّله من اللاسامية إلى إنشاء وطن قومي، وذلك بتحليل ما جاءت به الدراسات العلمية والمصادر المختلفة لدراسة الغموض في وعد بلفور، حيث أن وعده صدر غامضاً وما زال غامضاً، ولهذا فإنّ دراسته أمر مهم، وهذا ما تؤكده ريت (Rhett) بأن إعلان بلفور وتاريخه، حتى الآن يعدُّ مجال دراسات المنطقة، أكثر بكثير من تاريخ الوثيقة التأسيسية لإسرائيل،[17] وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن سؤالِها الرئيس: **كيف تحوّل آرثر بلفور من اللاسامية إلى إنشاء وطن قومي لليهود؟**

(17) Rhett, Maryanne A, p3.

اللاسامية عند بلفور:

كان بلفور معادياً للسامية وفق آراء الباحثين، فحسب ما يشير ديفيد كرونين (David Cronin)[18] إلى أن بلفور لُقّبَ بدموي بلفور فقد ثبت ذلك بفترة خدمته كرئيس للسكرتير في أيرلندا بين عامي 1887 و1891 عندما نُظم احتجاجاً في ميتشلستاون، مقاطعة كورك، ضد محاكمة الزعيم السياسي ويليام أوبراين، أمر بلفور الشرطة بفتح النار، مما تسبب في مقتل ثلاثة أشخاص، وقد أكسبه الحادث لقب «دموي بلفور»، فبهذا اللقب ربما يظن البعض بأن لتصرفه العدائي صوب الأيرلنديين لمنع الاحتجاج بأنه شبيه لمعاداة السامية، وهذا غير معقول، لأن ظرف النظام السياسي يتطلب توجهاً عسكرياً في بعض الأحيان، وفيما يتعلق باللاسامية عند بلفور فقد أشار بعض الباحثين إلى ذلك، حيث يشير فارس يحيى (Faris Yahya) إلى أن بلفور كان أهم معادٍ للسامية في عصره، وخصوصاً في نقاشه البرلماني حول مسألة الهجرة، فقد ألقى خطاباً معادياً للسامية،[19] فقد صرح ديفيد كرونين (David Cronin) بأن بلفور لم يكن متعاطفاً مع اليهود فهو كان معادياً للسامية، فهو كرئيسٍ للوزراء قد دعا لوضع قانون صارم في عام 1905، وهو قانون الأجانب[20] الذي ينص على مكافحة الهجرة، وجاء ذلك لمنع اليهود الفارين من المذابح الروسية من اللجوء إلى بريطانيا.[21] ويتفق مع ذلك ما أشارت إليه ندى الشقيفي إلى أن بلفور لا ينتمي للسامية، وكُشف ذلك بعد عام 1905 حينما أقر بقانون يحد من هجرة اليهود من أوروبا الشرقية، وقد اتهم المندوب الإنجليزي للمؤتمر الصهيوني السابع بلفور باللاسامية ضد الشعب اليهودي.[22] كما ويتفق معهما ما أشار إليه عبد الكريم الحسني بأن بلفور في عام 1905 رفض مشروع

(18) Cronin, David (2017)Bal-four's Shadow A Century of British Support for Zionism and Israel, London, British Library Catalogu-ing in Publication, p5.

(19) Yahya, Faris(1982) Die Zion-isten Und Nazi-Deutschland, Dort-mund, Hartmut Dicke Verlag, s 6

(20) صدر قانون الأجانب في 1905 رداً على اضطهاد يهود أوروبا الشرقية وهجرتهم القسرية، وبشكلٍ رئيس من القيصرية الروسية لبريطانيا، وقد حُدّد لأولِ مرة في القانون البريطاني مفهوم «المهاجر غير المرغوب فيه»، والمعايير لاستبعاد المهاجرين المحتملين، للمزيد ينظر:,Bashford, Alison,McAdam, Jane (2014) The Right to Asylum: Britain's 1905 Aliens Act and the Evolution of Refugee Law, Cam-bridge University Press, 32(2), p-p 309-350

(21) Cronin, David, p5.

(22) الشقيفي، ندى (2011) الهولوكوست: حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، بيروت، باحث للدراسات، ص 37.

القانون الخاص بالأجانب واصفاً بأن المجتمع البريطاني قد أُصيب بسبب تدفق المهاجرين اليهود.[23]

فحسب ما تقدّم فإنّ رفض فكرة الهجرة لا تعني اضطهاد اليهود أو استبدادهم وفق نظرية اللاسامية، وإنما هي لأسباب سياسية تتعلق بالمجتمع البريطاني، فلهذا ربما الإشارة للاسامية بلفور تعتبر إعلامية لإثارة اللاسامية أكثر من أنها عداء لليهود، ولأن بلفور أحد رجال السياسة في بريطانيا، فهو على علم بمجتمعه البريطاني الذي لا يعادي السامية، وذلك وفق ما أشار إليها شنير(Schneer) بأن معاداة السامية كانت معتدلة نسبياً في بريطانيا، فاليهود كانوا يحظون بحقوقهم الإنسانية والسياسية مثل بقية المواطنين منذ عام 1858، وكانوا يُعرّفون أنفسهم بأنهم بريطانيون يهود وليس يهود بريطانيين، وكانوا يكرهون الصهاينة كونهم يعتبرون اليهود كشعب أو أمة منفصلة.[24]

(23) الحسني، عبد الكريم (2010) الصهيونية، القاهرة، شمس للنشر والتوزيع، ص291.

(24) Schneer, Jonathan (2012)Bal-four Declaration, The Origins Of The Arab-Israeli Conflict, Çeviren: Ali Cevat Akkoyunlu, İstanbul, Kırmızı Kedi Yayınevi,s132

آرثر بلفور وحاييم وايزمان والوطن القومي:

تعتبر فكرة الوطن القومي ليست فكرة تعود لصهيونية هرتزل وإنما تسبق ذلك بكثير، وهناك العديد من المحاولات لفكرة إقامة وطن قومي لليهود، سواء من القادة السياسيين أو المفكرين أو غيرهم، فمثلاً كتاب السير هنري فنش (Sir Henry Fenech) المستشار القانوني لملك انجلترا بعنوان «الاستعادة العظمى العالمية» في عام 1621 قد طالب المسيحيين باستعادة إمبراطورية الأمة اليهودية[25]، فمثل هذه الأفكار لم تكن مجرد أفكار وإنما اختلاق منهج سياسي يُقام على إثره وطن قومي، ولا شك بأن هناك محاولات قديمة حول إرجاع اليهود لفلسطين، فقد نشر جميس بتشيمو كتابه بعنوان (إرجاع اليهود- أزمة جميع الأمم) في عام 1800 مطالباً الحكومة البريطانية باستخدام قوتها لأجل أن تتخلى الامبراطورية العثمانية عن فلسطين[26]، والأمثلة كثيرة. وبالتالي فإنّه حسب ما يشير غازي حسين إليه بأنه في عام 1904 أكّد الزعيم الصهيوني أوسيشكين بضرورة تأسيس دولة يهودية في فلسطين تكون جميع أراضيها ملكاً لشعب إسرائيل أو معظمها، وبالتالي يتطلّب الأمر حق ملكية الأراضي، فبدونها لن تكون فلسطين يهودية.[27] ويشير جوني منصور إلى أن أوستكشين قد بنى فكره على خمسة أسس وهي السياسة وشراء الأراضي والهجرة والاستيطان وتحضير الشعب استعداداً ليوم الخلاص.[28]

لا شك بأن فكرة إنشاء وطن قومي جاءت نتيجة مساعٍ صهيونية، وليست من ابتكار آرثر بلفور، وبسبب أسبقية بلفور اللاسامية، فإنّ مناقشة وايزمان لبلفور حول إنشاء

(25) ثابت، عبير (2015) مدى تأثير فكرة يهودية الدولة الإسرائيلية على مستقبل القضية الفلسطينية، مجلة جامعة الشارقة، 12(1)، ص ص ـ1 28، ص7.

(26)الصائغ، بان (2011) سياسة بريطانيا تجاه النصارى واليهود في الدولة العثمانية (1839ـ1914) دراسة تاريخية، مجلة التربية والعلم، 19(5)، ص ص 1ـ41، ص41.

(27) حسين، غازي (2003) الاستيطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار إلى الإمبريالية، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 18.

(28) منصور، جوني، مرجع سابق، ص 248.

وطن قومي لليهود تعتبر غريبة، لذا فإنّ الأمر مختلف وفق الرؤية التحليلية، ولكن حسب ما يشير إليه حسين بأن وايزمان استغل معاداة السامية عند بلفور بطريقة أخرى مؤديةً لإصدار الوطن القومي، دون الشرح للطريقة، لذا فإنّ هذا يدل بأنه وفقاً لوايزمان بأن بلفور كان معادياً للسامية، وهنا يبرر بأن وايزمان جاء لبلفور ليصحح فكره اللاسامي من بوابة الوطن القومي لليهود.[29] حيث يشير دروي (Droy) بأن وايزمان تم تقديمه لبلفور في عام 1906، وأقنعه بالحاجة الروحية لليهودي للعودة إلى وطنهم التاريخي، ولكنهما لم يشيرا إلى إخلاء العرب من فلسطين.[30] في حين يفسر آخر من وجهة نظر أخرى متعلقة بمناقشة اقتراح أوغندا، حيث يشير ابستين (Epstein) إلى أن بلفور اجتمع مع وايزمان لمعرفة سبب رفض اليهود لاقتراح أوغندا، فاقترح بأن تكون باريس بدلاً من لندن، لكن وايزمان رفض ذلك؛ كونه يفكر مثل بقية اليهود، ووفق ذلك اللقاء فقد كان يتسم بالتهديد والعدائية، [31] في حين يشير دوري (Droy) إلى أن اللقاء تمثل بالإقناع لقبول فلسطين وطن قومي لليهود كونها نابعة من أسباب توراتية، بينما يشير وايتلام إلى أن وايزمان قام بالتركيز بشكلٍ كبير على الارتباط التاريخي في إصدار فكرة الوطن القومي بين اليهود وأرض إسرائيل.[32] ومما سبق فقد اختلفت آراء كل من ابستين(Epstein) ودوري (Droy) حول طبيعة اللقاء، بينما يجمع عيسى وعطية في رؤيتهما بالإشارة إلى أنه في عام 1903 قد عرضت حكومة بلفور على المنظمة الصهيونية أرضاً في مستعمراتها شرقي إفريقيا لإنشاء دولة عليها، فرفض وايزمان وأصرّ على فلسطين، مما جعل بلفور يصدر قوانين تحدّ من هجرة اليهود إلى بريطانيا، وفي 1906 قابل وايزمان بلفور للمرة الأولى ولم تسفر المقابلة عن شيء، لذا فإنّه حسب رؤية «عيسى وعطية» فإنّ قرار منع الهجرة كان لاعتراض وايزمان أو الحركة الصهيونية لفكرة بلفور وهذا ما جعله يُوصم باللاسامية.[33] بينما يبرر كولمان (Coleman) رفض بلفور لهجرة اليهود إلى فلسطين من أن الكنيسة الكاثوليكية تعارض الهجرة الصهيونية لفلسطين وذلك بالاستناد لرفض البابا بيوس العاشر لفكرة الصهيونية.[34]

(29)حسين، ياسر(1997) يهود ضد إسرائيل، القاهرة، مركز الحضارة العربية للأعلام والنشر، ص15.

(30) Droy, Alf (2005) Wake Up! The Lord is Returning, 4 edition, England, El Shaddai Publishers,p130.

(31) Epstein, Howard (2017) Chaim Weizmann: The Indispensable Zionist, Independently Published By Howard David Epstein,P58-59.

(32) وايتلام، كيث(1999)اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهنيدي، الكويت، عالم المعرفة، ص69.

(33) عيسى، صلاح، عطية، جميل(1991)صك وعد بلفور، القاهرة، دار الفتى العربي، ص110.

(34) Coleman,John (2013) Rothschild Hanedanliği, İstanbul, Destek Yayınları,s99

إعداد نص وعد بلفور:

كان الوعد عبارة عن رسالة من وزير الخارجية البريطانية آرثر بلفور إلى اللورد ليونيل روتشيلد (مصرفي يهودي)، وتضمنت الرسالة وعد اليهود بوطن قومي في فلسطين، وتم نشر الرسالة في نوفمبر 1917 لصالح الاتحاد الصهيوني لبريطانيا العظمى وأيرلندا[35]، وحسب هذا فإنّ هذا الإعلان كان مفاجأة بالنسبة للأوساط العربية الفلسطينية، وصدمة للأوصياء التقليديين للأماكن المقدسة، والأوصياء-

(35) Bowler, Hannah (2017) Giving Away Other People's Land: The Making of the Balfour Declaration, London, Crown House North Circular Road,p3.

حسب ديماس(Demars)- هم الإمبراطورية العثمانية وفرنسا وروسيا الأرثوذكسية والإمبراطورية الكاثوليكية النمساوية الهنغارية وجميعهم أصبحوا ضحيةً لإعلان بلفور، وأنهم قد رفضوا العروض في عام 1916.[36]

تبين مما سبق بأن بلفور يَعدُ روتشيلد بوطن قومي لليهود في فلسطين، لذا تم ربط الوعد بالقومية اليهودية، وحسب ما يشير إليه منصور[37] حول مفهوم الوطن القومي بأنه ورد في وعد بلفور لأول مرة ولم يتم شرحه، فقد فسرته الصهيونية بأنه يشمل أرض إسرائيل، ولا يشمل كل فلسطين بل جزءاً منها، والنقص يعود إلى عدم وجود «الـ» قبل كلمتي «وطن قومي»، لذا- حسب «منصور»- فإنّ الوطن القومي مقتصر على أجزاء من فلسطين وليس على كلّ فلسطين، ولغرابة وغموض وعد بلفور فإنّه من الغريب أن يكون الوعد مجرد ابتكار من بلفور، لأنه تم الذكر سابقاً بأن وايزمان وبلفور قد اجتمعا حول إنشاء وطن قومي لليهود، وبالتالي فالوعد كان مُخططاً له بخطط مُسبقة حسب ما يشير إليه هيديشايمر(Heddesheimer) بأن النص الوارد في الإعلان كان يُجهز من قبل سنوات، وبالتالي فإنّ النص كان حصيلة جهود سياسية،[38] حيث يشير روزنبرغ (Rosenberg) بأن المذكرة لم تُكتب من قِبل الحكومة البريطانية ولكن بواسطة قادة الصهيونية ومن ثمّ تمّ تقديمها إلى بلفور للتوقيع والتي بدوره أرسلها إلى روتشيلد، وهذا يعني بأن بلفور كان مجرد مُستلم حسب روزنبرغ (Rosenberg)،[39] فمَن قادة الصهيونية هؤلاء؟ فحسب ما يشير إليه جولوفينسكي ونيلوس (Golovinski, Nilus) فإن وعد بلفور لم يكن صادراً منه وإنما أملته زعماء اليهود عليه وهم وايزمان وسوكولو، وبالتالي فإنّ وايزمان مُستمر بخطته حول إنشاء وطن قومي لليهود ولم يستسلم جراء لقاءه مع بلفور في يناير 1906.[40] ويؤكد ذلك ما تشير إليه نجار بوجود مباحثات متواصلة بين وايزمان ولويد جورج عامي 1915 و1916، مما يعكس بأن وايزمان قد توصّل مع لويد جورج لإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين.[41] فكيف توصّل بلفور إلى هذا النص؟ فحسب ما يشير إليه «منصور» بأن هربرت صموئيل هو من وضع المسودة الأولى لوعد بلفور.[42] ويُحدد سلامة بأنه في عام 1908 قدم صموئيل اقتراح بتأسيس دولة يهودية في فلسطين شارحاً ما ستجنيه بريطانيا من فوائد بسبب قربها من قناة السويس.[43] ويشير عثمان إلى إنّ صموئيل قد اجتمع مع وزير الخارجية البريطاني إدوارد جراي في نوفمبر 1914 لإقناعه بإقامة دولة يهودية في فلسطين،[44] ويؤكد ذلك بيستون (Beeston) حيث أنه أثناء الحرب وضع هربرت مذكرات تدعو للمزاعم اليهودية أمام مجلس الوزراء.[45] كما يُشير مانجو وآخرون (Mango and others)

(36) Demars, Lucien(1972) La Honte Sioniste Aux Sources Du Sionisme Et De Ses Ravages Dans Le Monde, Beyrouth, L. Cavro-De-mars,P33.

(37) منصور، جوني، مرجع سابق، ص118.

(38) Heddesheimer, Don(2018)Ho-locaust Handbücher, Band 6, Uk,-Castle Hill Publishers,s67.

(39) Rosenberg, Tausend (1923) Die Protokolle Der Weisen Von Zion Und Die Jüdische München, Weltpolitik,Deutscher Volksverlag München,s16

(40) Golovinski, Mathieu, Nilus, Serge(1924) Protocoles Des Sages D'israel, Paris, Urbain Gohier,P274.

(41) نجار، عايدة (2005) صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قـرن1900ـ1948، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص54.

(42) منصور، جوني، مرجع سابق، ص291.

(43) سلامة، عبد الغني (2017) المقدمات التاريخية والسياسية لوعد بلفور، قضايا إسرائيلية، العدد65، ص ص25ـ37، ص30.

(44) Umar, Ömer Osman (2002) Osmanli Döneminde Yahudiler'in Filistin'e Yerleşme Faaliyetleri, Fırat Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi, 12(2),s-s421-438. s433.

(45) Beeston, David (1988) Anti-Semitic Journalism And Authorship In Britain, (A Doctoral Thesis), Loughborough University Of Technology,P129.

بأن صموئيل أعدّ مذكرةً، ووُزعت على زملائه في يناير 1915، وقام بمراجعتها في مارس وطلب بعدم سماح أن تخضع فلسطين للقوى الأوروبية الكبرى كالفرنسية والألمانية بسبب قربهم من قناة مهمة وهي قناة السويس. لذا حسب ما سبق فإنّ صموئيل هو من حوّل فكرة وايزمان على الورق من خلال مسودة لإنشاء وطن قومي لليهود، وحسب ما أشار إليه مانجو وآخرون (Mango and others) بأن صموئيل قدم المسودة لزملائه في شهر يناير 1915، وذلك لدراستها.[46] حيث يشير رينتون(Renton) إلى أن صموئيل قد اتخذ بحماسة دعم الأهداف الصهيونية في فلسطين من نوفمبر1914، وطرح مذكرته على مجلس الوزراء في مارس 1915، أي بعد شهر من مناقشة زملائه للنص، وكانت تحمل حجتين: الأولى تتمثل بالأهمية الإستراتيجية لفلسطين للإمبراطورية البريطانية، والتي من شأنها حماية مصر وقناة السويس من أي تهديد مستقبلي من قوى أوروبية أخرى، والحجة الثانية هي أن التأثير اليهودي يمكن أن يكون ذو قيمة للإمبراطورية البريطانية.[47] ولا يقتصر الأمر على هربرت صموئيل، فقد شَمَلَ أيضاً محاولات القادة في تحقيق فكرة الوطن القومي، فحسب ما تشير إليه إيلانا هايدمان (Elana Heideman) بأنه في 7 فبراير 1917 التقى سايكس مع قادة الحركة الصهيونية حول اعترافه بالمسعى الصهيوني مقابل مساعدتهم في المفاوضات مع الفرنسيين، وعلى إثرها تم إرسال نوهام شكولي (Nahum Sokolow) وقد صدر في 4 يونيو 1917 خطاباً من الزعيم الفرنسي جون كامبون (Jules Cambon) رئيس الوزارة الخارجية الفرنسية تعاطفهم مع القضية العادلة للقومية اليهودية.[48]

وحسب ما تقدم فإنّ فكرة وايزمان كانت هي الأساس في انطلاقة هربرت صموئيل لتنفيذها وتقديمها بعد رفضهم لأوغندا وربط القومية اليهودية بتاريخهم التوراتي، وبالتالي فإن مهمة وايزمان لم تكن مجرد إرشادات وأفكار يُمليها على القادة الصهيونيين أو البريطانيين، وإنما كان يسعى بجهدٍ من أجل تحقيق الفكرة واقعياً، فحسب ما تشير إليه ويبر (Weber)، أن وايزمان قدّم لوزارة الخارجية البريطانية في نهاية يناير 1917 مذكرة رسمية حول السياسة الفلسطينية متمثلة بصياغة برنامج لإعادة التوطين اليهودي في فلسطين وفقاً للحركة الصهيونية.[49] ويضيف ديفشي (Devci) بأن إعلان بلفور بدأ يُنشر عندما دعا بلفور وايزمان وروتشيلد في 19 يونيو 1917، وطلب بلفور من الصهاينة إصدار إعلان يحتوي على مطالبهم بفلسطين وتقديمه له، وبعد الاجتماع أنشأ وايزمان لجنة لإعداد محتويات الإعلان ضمت: سيمون ماركس وإسرئيل موسى سيف وليون سيمون وهاري ساشر وجي إيتنغر

(46) Mango, Andrew Ve diğerleri (2011) Modern Ortadoğu'nun Kurulusu smanlı İmparatorluğu'nun çöküşü, yeni Türkiye, Arap milliyetçiliği, Siyonizm ve günümüzü hazırlayan tarihsel süreç, îstanbul, Haus Publishing Limited,s64.

(47) Renton, James. (2007) Turning Perceptions into Policy: The Role of Jewish Activists, 1914–1917. In: The Zionist Masquerade. Palgrave Macmillan, London, p44.

(48) Heideman, Elana(2017)Celebrating Balfour: Today, Tomorrow, Forever, Israel, The Israel Forever Foundation, P 10.

(49) Weber, Siegfried (2016) Geschichte Israels Im 20. Jahrhundert, Deutschland, Verlag Lebensquelle,s47.

واللورد روتشيلد، وعقد الاجتماع الأول في 4 يوليو 1917 وآخر اجتماع في 17 يوليو 1917، ورأت اللجنة أن يتم الاعتراف بفلسطين كبيت وطني يهودي، وإعادة تأسيس فلسطين كدولة للأمة اليهودية، وأن تكون فلسطين يهودية، لذا- وحسب ديفشي (Devci)- فإن بلفور هو الذي سعى لتلبية مطالب وايزمان، وليس مطالب وايزمان لبلفور، كما وأن الأفكار التي استندت عليها اجتماعات الصهاينة حول اختيار المفاهيم، فإنّ وايزمان دائماً ما كان يعترض على النصوص من أجل اختيارها بالشكل المناسب والملائم.[50] حيث يشير حسين فوزي النجار[51] إلى أن وايزمان اعترض في بداية الأمر على النص، وطالب بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود، واعترض على «إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين» باستبدال كلمة «إنشاء» بـ «إعادة إنشاء»، واستبدال كلمة «اليهود» بـ»الشعب اليهودي»، فاستجابت الحكومة للاعتراض الثاني ورفضت الاعتراض الأول، لذا حسب ما سبق أن اختيار المفهوم مهم جداً ليكون مناسباً للفكر الصهيوني، وكان الاعتراض السابق على المسودة الأخيرة، فقد كانت آخر نسخة للنص في 17 يوليو1917، والتي تتضمن أن فلسطين هي البيت القومي اليهودي، وأن حكومة صاحبة الجلالة ستقوم باستخدام جميع الوسائل لتحقيق الهدف، وأنْ يتم مناقشة جميع الأساليب اللازمة مع المنظمة الصهيونية لإعادة توطين فلسطين باليهود.[52] إذ كانت آخر نسخة للنص في 17 يوليو1917، وبعد يوم قدّم روتشيلد ثلاث اقتراحات مهمة في رسالته إلى بلفور، الأول: فلسطين وطن لليهود، الثاني: هجرة اليهود دون قيود، والثالث: الحكم الذاتي لليهود[53]، ويشير تورلاك[54] بأن الثالثة هي إنشاء منظمة الاستعمار القومي اليهودي، وهذه المطالب هي ما تناولته مناقشات الصهيونية على مدار السنوات السابقة، ومن ثم أرسل روتشيلد النص الذي تم إعداده في 18 يوليو 1917 لبلفور، وشكر بلفور روتشيلد على نص الصهاينة في 19 يوليو 1917، وفي منتصف أغسطس 1917 أرسل بلفور خطاباً آخر لروتشيلد بأن حكومة صاحبة الجلالة وافقت على النص من حيث المبدأ لإقامة بيت قومي لليهود في فلسطين[55].

تعتبر محاولات الصهيونيين كناحوم سوكولوف وهربرت صموئيل وحاييم وايزمن وغيرهم في إعداد الإعلان مهمة جداً، بحيث تم إعدادها بالشكل المطلوب لأجل الوصول للنص المناسب، فحسب ما يشير إليه الحارتي بأن المسودة الأخيرة لإعلان بلفور قد كتبها بلفور.[56] أي حسب «الحارتي» بأن النص الأخير كان من صنع بلفور، وكما يشير برير إلى أنه في 13 أكتوبر 1917 أقنع آرثر جيمس بلفور المجلس الوزاري الحربي بأنه يعمل على وعدٍ يروج للدعاية لهم في روسيا وأمريكا وذلك بواسطة

(50) Devci, Can (2017) Filistin'de İngiltere Mandasinin Kuruluşu (1917-1925), (Doktora Tezi),Isparta, Süleyman Demirel Üniversitesi,s25.

(51) النجار، حسين (بدون تاريخ) وعد بلفور، مصر، اخترنا للطالب، ص37.

(52) Devci, Can, s 26.

(53) Kızıloğlu, Sedat (2012) İsrail Devleti'nin Kuruluşuna Kadar Geçen Süreçte Yahudiler Ve Siyonizm'in Gelişimi, Kırıkkale Üniversitesi, 2(1),S-S35-64,s49.

(54) Torlak, Mustafa(2010) Siyonizmin Penceresinden Arap - İsrail (Yüksek Lisans Tezi),İstanbul, Kadir Has Üniversitesi,s31.

(55) Devci, Can, s26.

(56) الحارتي، إبراهيم (2006) الصهيونية من بابل إلى بوش، طنطا، دار البشير للثقافة والعلوم، ص330.

الصهيونية ودعمها،[57] وبالتالي يفسر «برير» سبب إعداد بلفور للمسودة الأخيرة حسب ما أشار إليه «الحارتي». وبهذا الأمر وحسب ما يشير إليه نيقوسيا(Nicosia) بأن إعلان بلفور تم الموافقة عليه من قبل مجلس الحرب في لندن ونشره بلفور في رسالة شهيرة لروتشيلد.[58] ويشير إلكسندر(Alexande) إلى أنه في أوائل نوفمبر 1917 استقبل روتشليد في منزله رقم (148) بيكاديللي في لندن، رسالة من بلفور حول إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد خضعت هذه الرسالة لعدد من إعادات الصياغة بأيدي مختلفة قبل أن تصل إلى صيغتها النهائية، [59] لذا يؤكد نيقوسيا (Nicosia) بأن الوعد تم إعداده من مجموعة شخصيات.

ويستغرب بعض الباحثين حول سبب اختيار روتشيلد كمُستقبِل لرسالة بلفور، وليس وايزمان أو هربرت صموئيل أو غيرهم من القادة، فحسب ما يشير إليه منصور بأن روتشيلد عمل جاهداً من أجل نيل وعد بلفور من الحكومة البريطانية عام 1917، وحسب «منصور» أيضاً، لا يعني هذا سبباً لاختيار روتشيلد عن غيره من القادة، فوايزمان وهربرت صموئيل كلاهما اجتهدا في الأمر، ولكن السبب الذي يعتبر واقعياً،[60] وهو ما أشار إليه بوكارا (Boukara) من أن وايزمان رغب بربط اسم ليونيل روتشيلد وعائلته بخطواته الأولية لإعلان بلفور، حيث أن البارون هو حفيد ليونيل ناثان روتشيلد أول يهودي يجلس كعضو في مجلس العموم في عام 1858 ونائبها من عام 1865، ويعد هو السبب حقيقي لاختيار ليونيل روتشيلد.[61]

تبين مما سبق أن إعداد النص لم يكن سهلاً سواء من ناحية الإعداد أو من ناحية قبول السياسة البريطانية للفكرة، فحسب ما يشير إليه جوني بأن وايزمان قد استدعى (اطينجر)، وهو مهندس زراعي ورجل إدارة الحركة الاستيطانية اليهودية في فلسطين، ليكون مستشاراً قريباً أثناء المفاوضات لصدور وعد بلفور من الحكومة البريطانية، وبالتالي فإنّ وايزمان كان يستشير في إعداده للفكرة شخصيات مختلفة ولم يقتصر على الأهوال التوراتية في إنشاء وطن قومي.[62] ولا يقتصر الأمر على «اطينجر»، وإنما شمل آخرين، ومنهم آحاد هعام، فحسب ما يشير إليه كوماي(Comay) بأن وايزمان قد سجل بأن هعام صديق مقرب له، وأنه قدّم لهم نصيحته القيّمة، فقد كان لهعام جهد دبلوماسي وقت الحرب، والذي أدى إلى إعلان وعد بلفور في عام 1917.[63] ويشير جوني منصور إلى أن هعام انتقل إلى لندن ليعمل في شركة فزوتسكي للشاي بين عام 1917 و1921، وقد تقرّب من وايزمان وعملا معاً في لندن لأجل إصدار وعد بلفور.[64] وبالتالي ففي فترة انتقال هعام عملا على إعداد فكرة النص، كما ويشير كوماي(Comay) بأن هعام فسّر وعد بلفور مجرد السماح بوطن

(57) برير، مايكل(2004)الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني: أمريكا اللاتينية جنوب افريقيا فلسطين، ترجمة أحمد الجمل وزياد منى، (ط.2)، سوريا، قدمس للنشر والتوزيع، ص186.

(58) Nicosia, Francis R. (2000) The Third Reich & the Palestine Question, London, Routledge Taylor &. Francis Group,p4

(59) Alexander, Philip(2017) 'Why did Lord Balfour back the Balfour Declaration?' Jewish Historical Studies, 49(1), p-p188-214.P188

(60) منصور، جوني، مرجع سابق، ص155.

(61) Boukara, Philippe (2017) Portraits des protagonistes de la Déclaration Balfour, Revue d'études juives du Nord, Tsafon 74,p41.

(62) منصور، جوني، مرجع سابق، ص36.

(63) Comay, Joan(2005)Who's Who in Jewish History, London, Taylor & Francis e-Library,p16.

(64) منصور، جوني، مرجع سابق، ص14.

قومي لليهود في فلسطين يتمتعون فيه بالحكم الذاتي في الشؤون الداخلية، جنباً إلى جنب مع المجتمع العربي الفلسطيني، مما يعني بأن هعام كان يريد أن يكون إنشاء وطن قومي لليهود بجانب العرب الفلسطينيين، وهذا ما عكسه النص في الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين.[65]

(65) Comay, Joan,p16.

إنّ اختيار بريطانيا من قِبل اليهود يعتبر علامة فارقة في التطور الصهيوني

بعد التعرف على إعداد النص، فإنّ اختيار بريطانيا من قِبل اليهود يعتبر علامة فارقة في التطور الصهيوني، فهناك أسباب لاختيارها دون غيرها، وربما الاعتقاد الحقيقي- حسب ما يشير إليه مانجو وآخرون(Mango and others)- هو أن وايزمان لجأ لاختيار بريطانيا بدلاً من فرنسا، وذلك لأن فكرة فرنسا الاستعمارية قائمة على القيم الفرنسية والكاثوليكية، وبالتالي فإنّ تقارب الفكر البروتستانتي القائم في بريطانيا من الفكر اليهودي لإنشاء وطن قومي سيكون أفضل من القيم الكاثوليكية، باعتبار الفكر الكاثوليكي والفكر اليهودي يتناقضان حول الوطن القومي.[66] بينما يشير كودال (Kodal) إلى أن اليهود قد رأوا أن طريقة كسب فلسطين كوطن قومي لليهود هي عبر لندن، باعتبارها أقوى دولة وأنه من الحكمة دعم بريطانيا مالياً، لذلك تم تحقيق هذه النتيجة.[67] ومن هنا يتضح بأن الفكر الصهيوني أكثر تخطيطاً في مسألة إعداد النص واختيار الدولة التي تعلن عن فكرها.

(66) Mango, Andrew Ve diğer- leri,s102.

(67) Kodal, Tahir (2007) Türk Arştvbelgelerine Göre Ii. Dünya Savaşı(1939-1945) Yillarinda Türkiye Üzerinden Filistin'e Yahudi Göçleri, Uluslararası Asya Ve Kuzey Afrika Çalışmaları Kongresi'nde Sunulmuştur, Ankara'da, Pamukkale Üniversitesi, s138

اختلف الباحثون في سبب إعلان بريطانيا لإنشاء وطن قومي لليهود، فمنهم من أشار إلى أنها أسباب دينية، ومنهم من أشار إلى أنها أسباب عسكرية، ومنهم لأسباب جيو- إستراتيجية، أو غيرها، حيث أن مشروع إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين كان بدافع توافق أهداف بريطانيا مع الحركة الصهيونية في ظل أطماع الفرنسيين في أجزاء الإمبراطورية العثمانية، وبالتالي سعت بريطانيا بالإعلان عن الوعد وذلك تجنباً لأي نزاع مع حلفاءها الفرنسيين أو مع القوات العربية المعادية للعثمانيين[68]، ويؤكد ذلك بلاير (Billauer) حول أن الأهمية الدعائية كانت تتمثل حول بناء وطن قومي لليهود تحت سيطرة السياسة البريطانية مما يعني تجميد دور فرنسا والآخرين بوجودهم في فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى. مما سبق يُبين بأن بريطانيا تسعى لتوسيع نفوذها، وهذا ما يؤكده كلاوس جيرد شتاين (Klaus Gerd Steen) إلى أن السبب من إعلان بلفور هو قمع النفوذ الفرنسي في الشرق الأوسط،[69] وهذا ما يتفق معه روبرت ماكنمارا بأن الهدف من وعد بلفور ليس التعاطف مع قضية الصهاينة وإنما بأن تصبح بريطانيا من خلال إقامة وطن قومي قوة سائدة في فلسطين ومنافسة للقوة الفرنسية،[70] حيث أن شتاين (Steen) يَنفي التعاطف مع الصهيونية

(68) Regan, Bernard (2016) The Implementation of the Balfour Declaration and the British Mandate in Palestine: problems of conquest and colonisation at the nadir of British Imperialism (1917–1936), London, St Mary's University, p 111.

(69) Steen, Klaus Gerd(2007) Der Nahostkonflikt,der Carl von Ossietzky Universität Oldenburg, BIS-Verlag, s 23

(70) ماكنمارا، روبرت (2016) الهاشميون وحلم العرب، ترجمة منال حامد، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ص105.

لأجل النفوذ. كما وإنّ هناك إشارة أخرى للتنافس البريطاني ليست لفرنسا وإنما لألمانيا، حيث يشير ستيفن سيزر (Stephen Sizer) إلى أنه في أكتوبر 1917 عَلِمَ بلفور بأن ألمانيا على وشك إصدار إعلان التعاطف مع الصهاينة، فبالتالي أوصى مجلس وزراء بريطانيا باستباقها، وعلى إثر ذلك قدّمت المنظمة الصهيونية مسودة مُقدّمة لبلفور بناءً على دعوةٍ من بلفور في يوليو 1917،[71] وبالتالي هذا يبرر وقت إصدار الوعد في تاريخه 2 نوفمبر 1917.

تبين مما سبق بأن السبب من إصدار الوعد هو لأسباب تتعلق بالسيطرة والنفوذ، وتنفي مساندة الصهاينة حول فكرتهم التوراتية، لكن ما سبق لا يعد سبباً لإصدار وعد من أجل إثبات النفوذ والسيطرة، في حين أشارت مصادر أخرى لأسباب تتعلق بمكافأة بريطانيا لوايزمان حيث يشير جوني منصور في كتابه معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية إلى أنّ وايزمان كسب تأييد رئيس الحكومة البريطانية لويد جورج ووزير خارجيته بلفور ووزير مستعمراته تشرتشل لِما قدمه من خدمات علمية للجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى،[72] حيث يشير عبد الكريم النقيب إلى أن وايزمان قد ابتكر طريقة لإنتاج الأسيتون في مختبره كمحاولة لإنقاذ بريطانيا من معاناتها من نقص مادة الأسيتون التي تعتبر وسيلة هامة لإنتاج المواد الناسفة، وعلى إثرها تم تعيينه مستشاراً كيماوياً لدى ونستون تشرتشل.[73] ويتفق مع «منصور» سيسبانوفيتش (Scepanovic) حول أن لويد جورج منح فلسطين للصهاينة كمكافأة لمساعدة وايزمان التقنية لهم.[74] ولكن هذا الادعاء شكك به كل من وايزمان وهربرت صموئيل، ولكنه تغير بعد تشكيل لويد جورج للحكومة الائتلافية، كما ويؤكد الحسني بأنه من الأسباب التي شاعت لدعم بلفور هي أن وايزمان استطاع خلال الحرب العالمية الأولى باختراع مادة الأسيتون الحارقة وكان الوعد عبارة عن مكافأة له.[75]

مما سبق يعتبر سبب مكافأة بريطانيا لوايزمان لإسهامه العلمي سبباً غير منطقي، فمهما كان الإسهام العلمي، لا يمكن أن يتم تقديم وطن قومي لليهود كهدية، فالسياسة الخارجية لبريطانيا لا تقم بمثل هذا الأمر لمثل هذا السبب، لذا فإنّ السبب المُرجح والذي أشار إليه الكثير من الباحثين والمؤرخين هو أنه لأسباب جيوإستراتيجية وعسكرية، ففي وقت صياغة إعلان بلفور كان الجو العام في الإمبراطورية البريطانية في تلك الفترة هي أن فلسطين كانت أرضاً ذات أهمية قصوى لأمن ورفاهية الإمبراطورية في المستقبل[76]، وبالتالي فإنّ بريطانيا درست اختيار فلسطين من الناحية التي تخدم مصلحتها الجيو-

إنّ بريطانيا درست اختيار فلسطين من الناحية التي تخدم مصلحتها الجيو-استراتيجية

(71) Sizer, Stephen(2002)The Promised Land: A Critical Investigation of Evangelical Christian Zionism in Britain and the United States of America since 1800, (A thesis degree of Doctor of Philosophy), Middlesex University, School of Humanities and Cultural Studies, p61.

(72) منصور، جوني، مرجع سابق، ص 511.

(73) النقيب، عبد الكريم(2015) شخصيات صهيونية (5) آباء الحركة الصهيونية، عمّان، دار الجليل للنشر، ص79.

(74) Scepanovic, Janko(2014) Sentiment and Geopolitics in the formulation and realization of the Balfour Declaration, (A master's thesis), University of New York, p 34.

(75) الحسني، عبد الكريم، مرجع سابق، ص291.

(76) Bowler, Hannah, p19.

استراتيجية، فحسب ما يشير إليه فرانسيس نيقوسيا (Francis R. Nicosia) إلى أن الضرورة العسكرية والطموح الإمبراطوري لبريطانيا في الشرق الأوسط هي التي دفعتها بالمقام الأول لدعم الأهداف الصهيونية في فلسطين،[77] ويفسر ذلك ما يشير إليه بانزر (Panzer) بأن دافع بريطانيا من إعلان بلفور كان لمنع أي هجوم من الشمال على مصر وقناة السويس.[78]

(77) Nicosia, Francis R., p5

(78) Panzer, Christoph (2015) Das Vergessen Der Pazifistischen Antisemitism us bwehr,(Inaugural dissertation Zur Erlangung Des Akademischen Grades Eines Doktors Der Philosophie Der Philosophischen Fakultät Der), Ernst-Moritz-Arndt-Universität Greifswald, s 108.

وربما اقتصار السبب من وراء إصدار إعلان بلفور على السبب الجيوإستراتيجية والعسكرية لا يعتبر سبباً كافياً للإعلان، بينما يشير آخرون إلى أن السبب من الإعلان هو لدعم الحلفاء لبريطانيا في الحرب العالمية الأولى، فحسب ما يشير إليه مصطفى تورلاك (Mustafa Torlak) بأن بريطانيا سعت لدعم اليهود لأسباب استراتيجية، وأن اليهود سارعوا بالعديد من المحاولات الدولية في ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا.[79] ويؤكد ذلك يانكو سيسبانوفيتش (Janko Scepanovic) من أن لويد جورج رأى أهمية الإعلان الموالي لليهود وذلك من أجل الحصول على دعم الحلفاء.[80] ويشير أيضاً بيتر هايسينكو (Peter Haisenko) إلى أن الهدف السياسي والعسكري للوعد هو كسب المجتمعات اليهودية في جميع أنحاء العالم لقضية التحالف.[81]

(79) Torlak, Mustafa, s 30

(80) Scepanovic, Janko, p34.

(81) Haisenko, Peter (2016) England, die Deutschen, die Juden und das 20. Jahrhundert, Deutschland, AnderweltVerlag, s 6

تبين مما سبق بأن أسباب دعم بريطانيا لإصدار وعد بلفور كانت لأسباب تتعلق بالنفوذ وأسباب عسكرية وجيوإستراتيجية وإستراتيجية، ومكافأة لحاييم وايزمان لما قدمه من إسهام علمي، لكن حسب ما تفسر فاطمة يسار وآخرون (Fatma Yaşar ve diğerleri) بأن إعلان بلفور كان أكثر من خطة بريطانية لإقامة منطقة عازلة لقناة السويس، أو للحصول على دعم يهود العالم للحلفاء، وإنما هي محاولة مقررة من الحركة الصهيونية لتوفير الدعم البريطاني.[82] كما ينفي جيولسا ايكر (Gülşah Eker) الأسباب الجيوإستراتيجية والإستراتيجية بأن إعلان بلفور لم يكن نتيجة للخطة البريطانية لإقامة منطقة عازلة للسويس أو للحصول على دعم يهود العالم للحفاء، ولكن كان بلفور نتيجة لخطة صهيونية مخططة.[83] بينما يتعارض مع ذلك ما تشير إليه وحدة الدراسات الاشتراكية بأن وعد بلفور كان لأهداف المصالح الامبريالية البريطانية وليس نتيجة للسيطرة اليهودية باعتبارها صغيرة الحجم ومندمجة بالمجتمع البريطاني،[84] وبالتالي ربما يكون هذا الرأي غير منطقي، لأن تنفيذ بريطانيا كان لتأثير اليهود في الإعلان، فهناك اتفاقية سايكس بيكو سابقة لذلك، ويمكن لبريطانيا السيطرة على فلسطين. بينما يجمع نيكولاس بوسانر (Nikolaus Possanner) بين السببين بـأن سياسة لويد جورج في فلسطين تتمثل بالبراغماتية

(82) Yaşar, Fatma(2011) Siyonizm Düşünden İşgal Gerçeğine Filistin, İstanbul, İHH Araştırma Yayınlar Birimi, s 37.

(83) Eker, Gülşah (2005) İsrail'in Siyasal Sistem Yapisi Ve Siyasal Partileri, İstanbul, Marmara Üniversitesi, s 4.

(84) وحدة الدراسات (2001) القضية الفلسطينية (رؤية ثورية)، مصر، مركز الدراسات الاشتراكية، ص22.

والمثالية، فالبراغماتية بالترويج للاستعمار، ومثالية في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.[85] وباختلاف الأسباب فإنّ هناك سبب مختلف عن الأسباب السابقة وهو اللاسامية، فحسب ما يشير إليه عبد الله أبو علم، بأن وعد بلفور لم يصدر إكراماً لليهود، وذلك بسبب أن اليهود الشرقيين سيشكلون عبئاً ثقيلاً، وبالتالي كانت الضرورة للتوجه لمكان آخر غير أوروبا.[86] ولكن ما يشير إليه «أبو علم» لا يعتبر مقبولاً، لأنه يمكن وضع اليهود في أي أرض وليس بفلسطين لتجنب هذه المسألة، ولكن الأمر يدل على جهود صهيونية في ذلك لتحقيق الوعد بإنشاء وطن قومي.

(85) Possanner, Nikolaus (2012) Krieg um die Stadt des Friedens: Jerusalem/ al-quds zwischen Politik und Religion,(der Diplomarbe-it), Wien,Universität Wien, s 48.

(86) أبو علم، عبد الله (2016) اليهود لا مواثيق ولا عهود، الأردن، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ص291.

التحول من اللاسامية إلى السامية:

يعتبر التحول من اللاسامية إلى السامية عند بلفور محطةً للبحث والدراسة، وحسب ما تبين مما سبق بأن الصهيونية وصَمَت بلفور باللاسامية لمعارضته في البرلمان لهجرة اليهود، وبالتالي قد اتفق بعض الباحثين على ذلك، لكن يبقى التساؤل حول سبب التحول من اللاسامية إلى السامية، وكيف تحول بلفور من رفضه للهجرة اليهودية في البرلمان، إلى إصدار وعده في 2 نوفمبر 1917؟ فبلفور- كما يشير عيسى وعطية- كانت حياته معادية لليهودية، وهو متعصب للديانة المسيحية، لكنه في الستين من عمره عَدِل عن موقفه، معبراً بأنه مال إلى الصهيونية بدافع إنساني بسبب تشتت اليهود في كل مكان في العالم.[87] فحسب ما ذُكر فأن بلفور عطف على الصهيونية رغم تعصبه للمسيحية ولدافع إنساني، لذا فإنّ هذا التحول والعطف كيف جاء؟ فكيف ارتبطت النشأة المسيحية بالفكر الصهيوني؟

أن بلفور تعلم بتعاليم العهد القديم بشكل مكثّف

(87) عيسى، صلاح، عطية، جميل، مرجع سابق، ص102.

يقترح بلاك (Black)، بمناقشته للعديد من القراءات، بأن وعد بلفور لم يكن لأسباب إستراتيجية وسياسية وعسكرية وإنما لبعد ديني كونه ولد في منزل أسقف الانجيلية الاسكتلندية المشيخية، وهي تطلعات دينية ولاهوتية لعودة اليهود إلى فلسطين، وبالتالي تبين بأن بلفور تربى تربية دينية وهذا يجعله يميل للفكرة،[88] فحسب ما يشير الخوند بأن بلفور تعلم بتعاليم العهد القديم بشكل مكثّف واهتم بالمسألة اليهودية ما بين 1902-1905، وبالتالي لا يعني بأن اهتمامه بالمسألة اليهودية هو لأجل الإعلان عن إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وإنما ربما يكون لدراسة المجتمع اليهودي، والذي بدوره رفض الهجرة اليهودية،[89] وبالتالي فيما يتعلق بالتعصب المسيحي وفق «عيسى وعطية»، فهذا يجعل بلفور يُؤيد الفكرة؛ كونه يعلم بأن التعاليم المسيحية في الكتاب المقدس تعتبر عودة اليهود إلى أرض الميعاد شرطاً أساسياً للمجيء الثاني للمسيح، ومن هنا كانت فكرة فلسطين ذات طابع رومانسي في مهمة الاعتراف بها كأرض الميعاد[90]، وبالتالي فإنّ فكرة إنشاء

(88) Black, Alasdair(2018) The Balfour Declaration: Scottish Presbyterian Eschatology And British Policy Towards Palestine, Perichoresis, 16(4), p-p35-59, P55-56,p38.

(89) الخوند، مسعود (1995)الموسوعة التاريخية الجغرافية الجزء الثاني، لبنان، مؤسسة هانياد، ص209.

(90) Bowler, Hannah, p6.

أن بلفور نشأ في منزل إنجيلي، وكان متعاطفاً مع الصهيونية بسبب تأثير التعليم الديني

وطن قومي لليهود في فلسطين، أو عودة اليهود لفلسطين هي نتيجة للثقافة الدينية الإنجيلية التي تدعو لذلك. فحسب ما يشير إليه جارفينكل (Garfinkle) أنه حينما تم الإعلان عن وعد بلفور كانت الثقافة المسيحية الصهيونية للنخبة الأنجليكانية ترى بأن هذا الإعلان مرسوم في أناجيلها منذ زمنٍ بعيد، وبالتالي فإنّ التربية الدينية لبلفور- حسب ما سبق- لعبت دوراً كبيراً في قبول بلفور الفكرة،[91] وهذا يعكس مدى تعاطف بلفور مع الصهيونية حول إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. فحسب ما يشير إليه سيزر(Sizer) بأن بلفور نشأ في منزل إنجيلي، وكان متعاطفاً مع الصهيونية بسبب تأثير التعليم الديني، وقد اعتبر التاريخ أداة لتنفيذ غرض إلهي،[92] وبالتالي فإنّ التأثير الديني- حسب سيزر «Sizer- يعتبر هي التي تسببت في تأييد بلفور للفكرة. في حين يشير بوغينوفيتش (Božinović) إلى أن بلفور أصبح من أتباع الصهيونية لأسباب دينية بروتستانتية،[93] فحسب هذا فإنّ السبب من ميل بلفور للصهيونية هو لتوافق الفكر البروتستانتي مع الفكر الصهيوني حول عودة اليهود إلى أرض الميعاد.

تبيّن مما سبق بأن التنشئة الدينية لبلفور هي التي جعلته يتحول من اللاسامية إلى إنشاء وطن قومي، ولكن من ناحية بحثية يعتبر ذلك ليس سبباً مقنعاً، ولدراسة الأمر بشكل يتعلق بالفكر السياسي، فحسب ما يشير إليه عيسى وعطية بأن بلفور قد اختفى من الحياة السياسية ما بين 1905-1915، أي إنه لم يكن له أي دور سياسي في الفترة المذكورة،[94] وبالتالي كيف تحول بلفور خلال هذه الفترة من معادٍ للسامية إلى مؤيد لأفكار الصهيونية بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين؟ فوفق ما يشير إليه فريدمان(Freedman)، فإن بلفور ترك السياسة لفترة وجيزة عام 1911 وذلك بعد استقالته من حزب المحافظين، ولكنه عاد لمجلس الوزراء أثناء الحرب بصفته اللورد الأول للأدميرالية في ظل حكومة الائتلاف في عام 1915 قبل أن يُعيّنه لويد جورج وزير الخارجية في عام 1916، وبالتالي عودة بلفور للسياسة كانت بسبب لويد جورج، ولكنّ السبب لتعيين لويد جورج بلفور ضمن الحكومة يعتبر غامضاً،[95] فحسب ما تشير إليه رام (Ram) بأن حكومة الحرب لرئيس الوزراء لويد جورج قد تكوّنت من تسعة أعضاء، منهم ستة قد نشأوا في منازل كالفينية إنجيلية، حيث كان الكالفينيون مؤيدين لإسرائيل ولعودة اليهود لوطنهم، غير أن الحكومة تكونت أيضاً من مونتاجو وكان يهودياً ومعادياً بشدة للصهيونية، وبالتالي هذا يعني بأن الحكومة الائتلافية كانت قائمة على تأييد فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، مما يفسر بأن لويد جورج هو المبتكر للحكومة في ظل تعاطفه مع الصهيونية.[96] فحسب ما يشير سيسبانوفيتش (Scepanovic) إلى أن تعاطف لويد

(91) Garfinkle, Adam(2014) Origins Of The Palestine Mandate, Philadelphia, Foreing Policy Research Institute (Fpri),P5.

(92) Sizer, Stephen (2002) The Promised Land: A Critical Investigation of Evangelical Christian Zionism in Britain and the United States of America since 1800, (A thesis degree of Doctor of Philosophy), Middlesex University, School of Humanities and Cultural Studies, p60.

(93) Božinović, Stipe (2017) Zionismus Und Antisemitismus In Hermann Bahrs Roman «Die Rotte Korahs», (Diplomski Rad), Sveučilište U Zadru, s12.

(94) عيسى، صلاح، عطية، جميل، مرجع سابق، ص102.

(95) Freedman, Rabbi (2017) Bob's Your Uncle!The Balfour Declaration And The New West End Synagogue (120 YEARS OF ZIONIST HISTORY), London, United Synagogue,p28.

(96) Ram, Shira Sorko (2017) Birthing Israel, Changing History: The Balfour Declaration, Israel, Maoz Israel Report, P4.

جورج مع القضية الصهيونية كان مزيجاً من التربية المسيحية الخاصة، والفلسفة والإيمان بالقيمة الدعائية لدعم اليهود.[97] ويتبين هنا بأن لويد جورج مؤيد للفكرة من منطلق ديني مثل آرثر بلفور وأن القيمة الدعائية بإمكانها مساعدته في ضمان دعم اليهود. فحسب ما يشير إلكسندر (Alexande) إلى أن دعم لويد جورج لإعلان بلفور كان ناتجاً من التنشئة التوراتية التي تربى عليها،[98] وبالتالي فإنّ الحكومة مؤيدة للفكرة من منطلق ديني حسب ما سبق.

(97) Scepanovic,Janko (2014) Sentiment and Geopolitics in the formulation and realization of the Balfour Declaration, (A master's thesis), University of New York, Janko,p34.

(98) Alexander, Philip, P208

يُفسّر وصول لويد جورج للحكم بأنه كان يعرف أنه أمام قضية حرب وقضية إقامة وطن قومي، فحسب ما يشير باتوت(Batut) إلى أن لويد جورج قَبِلَ الفكرة الصهيونية من عام 1903 وذلك حينما رفض المشروع الذي أعدته شركته القانونية لشرق أفريقيا؛ كون لويد قد تأثر بالمعتقدات الصهيونية وكذلك بالمصالح في السياسات الخارجية،[99] وبالتالي فإنّ لويد فكر من ناحية دينية وسياسية في نفس الوقت، وهذا ما يؤكده سيسبانوفيتش(Scepanovic) بأن لويد جورج وبلفور كانا مؤدين لدمج الفلسفة الإنسانية مع الجغرافيا السياسية البراغماتية التي تُؤمن مُستقْبَلاً لليهود المضطهدين وللإمبراطورية البريطانية في وقت واحد،[100] وبالتالي فإنّ لويد جورج وبلفور مؤيدان للفكرة من منطق ديني وسياسي، وهذا ما جعل حكومة لويد تهتم بالأمر، فحسب ما يشير ديفشي (Devci) بأن لويد جورج كلّف السير سايكس لإقامة علاقة مع الصهاينة فالتقى سايكس في 28 يناير1917 بوايزمان وتلقى معلومات حول الصهيونية، وفي 7 فبراير1917 التقى وايزمان مرة أخرى بسايكس وأخبره عن المنظمة العالمية الصهيونية، وكان هناك اجتماع رسمي لأول مرة لممثلي حكومة المملكة المتحدة للتعرف على البرنامج الصهيوني لمستقبل فلسطين.[101]

(99) Batut, Katia(2014)Le Sionisme chrétien contemporain aux États-Unis, Entre religion et politique, (Thèse de doctorat)Université de Montréal et Université Bordeaux-Montaigne,Faculté de Théologie et de Sciences des Religions, p84.

(100) Scepanovic, Janko, p33.

(101) Devci, Can, s23.

حسب ما تقدم تبين بأن الحكومة كانت مؤيدة للفكرة الصهيونية، وأن تأييدها الحكومة لسببٍ حديث أم قديم؟ فحسب عرابي بأن العوامل التي جعلت بريطانيا تؤيد عودة اليهود لفلسطين هو قيام حركة الإصلاح الديني فيها، وانفصال الكنيسة البريطانية عن التبعية للبابا في روما، وقيام المذهب الأنكليكاني فيها من عهد الملك هنري الثامن، وهو يعكس بأن الحكومة مؤيدة للفكرة من قبل 350 سنة سابقة للإعلان،[102] وهذا يفسر محاولة تأييد الحكومة للفكرة بسبب الانفصال عن التبعية الدينية المسيحية حسب «عرابي». لكن لويد جورج وتأييده للصهيونية لا يمكن أن يعود لذلك التاريخ البريطاني القديم، فحسب ما يشير الطويل إلى صهيونية لويد جورج؛ كونه تربى على يد خاله في الكنائس المعمدانية ومعروف بتعصبه بوجوب عودة اليهود لأرض فلسطين تصديقاً

أن دعم لويد جورج لإعلان بلفور كان ناتجاً من التنشئة التوراتية التي تربى عليها

(102) عرابي، رجا، مرجع سابق، ص504.

لنصوص دينية لعودة المسيح المنتظر،[103] فحسب «الطويل» فإنّ لويد متعصب دينياً ولهذا سعى لتنفيذ الفكرة على أرض الواقع، بينما كان لويد جورج مؤيداً للفكرة من قبل تاريخ الإعلان. فحسب ما يشير تقرير للهيئة الملكية الفلسطينية المقدمة لبرلمان المملكة المتحدة في 1937 بعنوان الولايات الفلسطينية، إلى أن لويد جورج يشير إلى أن القضية الصهيونية قد حظيت بدعم بريطانيا قبل عام 1917، وأنه لم يتم الإعلان عن مطالبها لأسباب تتعلق بالتخطيط، لذا فإنّ لويد يخطط للفكرة مسبقاً،[104] وهذا ما يؤكده ناجي من أن كلاً من لويد جورج وكليمانصو وجورج ماندیل اليهودي تعاونوا لوضع مخططاتهم لخلق وعد بلفور،[105] وبالتالي فإنّ بلفور كان مجرد مستلم للأفكار وليس مبتكراً للوعد. فحسب ما يشير إليه مانجو وآخرون (Mango and others)، فإن بلفور تلقى تعليمات للإدلاء ببيان يؤكد به عاطفة الحكومة البريطانية على الصهيونية، وفي 19 يوليو كان بلفور بمزاجٍ معقول، حيث حضر إليه ويزامان وغراهام وروتشيلد وطلب منهم مسودة، وحسب ما سبق فإنّ بلفور كان وسيلة لتنفيذ الأفكار الصهيونية وليس مقتنع بالفكرة ربما، ولكن حسب المصادر التي أشارت إلى تربيته الدينية ربما كانت لها أثر في الإعلان.[106] ولكن حسب ما يشير إليه فريدمان (Freedman) فإنّ اهتمام بلفور بإقامة دولة يهودية في فلسطين قد تأثرت بوايزمان حسب ما أشار إليه بلفور، وأنه خلال المحادثات مع وايزمان في يناير 1906 اقتنع بلفور بأنه لا يمكن تجاهل التاريخ، وأن البحث عن مأوى للشعب اليهودي يكون عبثاً في ظل وجود فلسطين،[107] وبالتالي فإنّ بلفور قد وافق على الفكرة لتأثير وايزمان. حيث يشير هاوهسن(Heuhsen) إلى أن تحقيق بلفور كان بسبب التزام وايزمان وتأثيره السياسي،[108] وبالتالي كان لوايزمان تأثير فعّال من الناحية السياسية على بلفور، حيث أنه في عام 1914 استجاب بلفور لتحليل وايزمان واعتبر أن دعوة الصهاينة هي الحل الفعال[109]، وبحلول 1916 كان لويد جورج رئيس الوزراء وبلفور وزير الخارجية مؤيدين لوايزمان[110]، مما يعكس بأن لوايزمان تأثير بالإقناع، وهذا يبرر تأييد بلفور ولويد جورج لأفكاره، حيث أن وايزمان قد غرس الأيديولوجية الصهيونية في رجال الدولة الذين قابلهم، حيث صرح بلفور أن هذا الرجل- أي وايزمان- قد جعله صهيونياً[111]، ويشير لمعي بأن لويد جورج اقتنع بالصهيونية على يد وايزمان بموهبته في الإقناع،[112] كما يؤكد مانجو وآخرون (Mango and others) بأن بلفور قد تأثّر بما قاله وايزمان حول اليهود، وأن القدس كان يملكها اليهود وهي في كارثة، وبسبب تأثّره بالاجتماع واقتناعه، فقد قال بأنه إذا كان هناك وطن لليهود فينبغي أن تكون فلسطين،[113] فالإقناع الديني المتعلق بالسامية وكيف تعرضت السامية للعداء جعلت بلفور يتأثّر بوايزمان. ولكن

(103) الطويل، يوسف (2010) الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم وعلاقتها بمخطط إسرائيل الكبرى ونهاية العالم الجذور والممارسة وسبل المواجهة. الجزء الأول، (ط.2)، مصر، صوت القلم العربي، ص81.

(104) Commission Royale De Palestine (1937) Mandats Palestine, Présenté Au Parlement Du Royaume-Uni Par Le Secrétaire D'etat Pour Les Colonies Par Ordre De Sa Majesté Britannique (Juillet 1937), P23.

(105) ناجي، سليمان، مرجع سابق، ص241.

(106) Mango, Andrew Ve diğerleri, s105.

(107) Freedman, Rabbi, p33.

(108) Heuhsen, Heinz(2015) Die Nationen Europas in ihrer Beziehung zu Israel, Deutschland, IFI-Deutschland, s12.

(109) Stein, Leonard(1975) The Letters And Papers Of Chaim Weizmann August 1914 – November 1917 Volume VII, Series A, Oxford University Press, London and Israel Universities Press, Jerusalem, p5.

(110) Kızıloğlu, Sedat, s48.

(111) Özgül, Esin(2018) 1917 Balfour Deklarasyonu Ve Filistin'e Yahud Göçüi, (Yüksek Lisans Tezi),Balıkesir,Balikesir Üniversitesi, s142.

(112) لمعي، إكرام (1993) الاختراق الصهيوني للمسيحية، (ط.2)، القاهرة، دار الشروق، ص186.

(113) Mango, Andrew Ve diğerleri, s50.

روس(Ross) يضيف أن التأثير كان لإعجاب لويد جورج وبلفور بوايزمان ليس لأنه يهودي، وإنما لتراثه الروسي وتعليمه الألماني، وهذا لا يعني بأن له الحق للوصول إلى لويد جورج وبلفور فهو لا يُتاح له الوصول بشكل متكرر لهما.[114]

Ross, Jared (2009) Rebellion (114) In Palestine: The Transformation Of Middle East Politics, 1936-1939, (Thesis Master) Florida State University, College Of Arts And Sciences, p19.

تأثير وايزمان على بلفور ولويـــد جورج يعتبر سبباً من الأسباب التي أقنعت بلفور في إصدار الإعلان، لكن حسب روس(Ross) فإنّ وايزمان لا تتاح له الفرصة لمقابلة بلفور، لذا فإنّ هناك تأثير آخر غير وايزمان، فحسب ما يشير ديفشي (Devci)، فإن وايزمان التقى ببلفور خلال الانتخابات العامة عام 1906، وقد أخبره عن الأهداف الصهيونية، واعتمد بلفور السياسات الصهيونية وأصبح صديقاً لوايزمان رغم فقده لحزبه في الانتخابات العامة عام 1906، في حين التقى وايزمان مع بلفور في 14 ديسمبر 1914، وأشار إلى أن بلفور سيدعم الصهيونية داخل الحكومة البريطانية،[115] وحسب ما سبق فإنّ فقدان بلفور للحزب ربما يكون لعدم قبول بلفور لعرض وايزمان. ويزيد الشكوك حول ذلك ابستين (Epstein) بإشارته إلى أنه بعد اجتماع يناير 1906 فَقد بلفور الانتخابات ومقعده، ولم يجتمع مع وايزمان مرة أخرى حتى عام 1916.[116] وبالتالي فإنّ فقدان بلفور لمقعده في الانتخابات ربما بسبب تدخل الصهيونية في ذلك، وكان دعمها لتشرشل، فحسب ما يشير كوهين (Cohen) فإنّ تشرشل شعر بالتأثير اليهودي مرات كثيرة، سواء كان ذلك خلال انتخابات عام 1906 في مانشستر أو في عام 1908،[117] فالتأثير الصهيوني كان فعّالاً في الأوساط الأوروبية والبريطانية، حيث أن اللوبي الإسرائيلي يستخدم السباق الإمبراطوري في أوروبا منذ عام 1914، ويقيم صلة بين المصالح الإستراتيجية للدول الأوروبية وإقامة الدولة الإسرائيلية[118]، ويشير إيجيرت (Eggert) إلى أنه بعد موت كتشنر في 1916 بدأت المؤامرات مع حملة صحفية ضخمة ترأسها «التايمز» و«صنداي تايمز» و«مانشستر غارديان» بحماسهم الصهيوني حول مجلس الوزراء المتمثل ببلفور ولويد جورج، وبالتالي فإنّ التأثير الصهيوني هو الذي ساعد في وصول لويد جورج من خلال الدعاية الصحفية لهم.[119] وهذا يؤدي إلى أن إتّباع الصهيونية التأثير الإعلامي في خطواتها لنشر الفكرة لا يقتصر على كتشنر، وإنما حسب ما يشير كار فأن اسكويث كان شريفاً ويعمل لمصلحة بريطانيا، ولكنه معاد للصهيونية، لذا سعى المرابون العالميون اليهود إلى الإسراع بإزاحته من الحكم واستبداله بلويد جورج وآرثر بلفور وتشرتشل،[120] وبالتالي يظهر من هذا بأن الحركة الصهيونية قائمة على خطط إعلامية في دعم القادة، وفيما يتعلق بالمسألة اليهودية، فإنّه حسب ما يشير فولفجانج شوانيتز (Wolfgang Schwanitz) فإنه في 12 أغسطس أصدر الوزير العثماني طلعت باشا إلغاء القيود التي صدرت عن

Devci, Can, s18 (115).

Epstein, Howard, p59 (116).

Cohen, Michael (2003) (117) Churchill And The Jews, London, Routledge Taylor &. Francis Group.

Ulutaş, Ufuk, Ve Diğerleri (118) (2012) İsrail Siyasetini Anlama Kilavuzu, Ankara, Seta Siyaset, Ekonomi Ve Toplum,s194-195.

Eggert,Wolfgang(2002)Is- (119) raels Geheimvatikan, München, Beim Propheten! Verlag, s70.

(120) كار، وليم(1982)اليهود وراء كل جريمة، شرح وتعليق خير الله الطلفاح، (ط.2)، بيروت، دار الكتاب العربي، ص173ـ174.

أن الحركة الصهيونية قائمة على خطط إعلامية في دعم القادة

إنّ التحرك السياسي للصهيونية قائم على أهم محورين، وهما المال والإعلام

جمال باشا بتهديد اليهود بعد النصر، وعبّر عن تعاطفه لإنشاء مركز يهودي ديني ووطني في فلسطين عن طريق الهجرة المنظمة والاستعمار، ويشير الكاتب إلى أن التصريح العثماني كان مدفوعاً بدوافع خفية، وبالتالي فإنّ مثل هذه قرارات يمكن أن يتم إصدارها بناءً على الرشوة.[121] فحسب ما يشير ناجي، فأن هرتزل اعتمد في تحركه السياسي على الدعاية الصحفية والرشوة،[122] وبالتالي فإنّ التحرك السياسي للصهيونية قائم على أهم محورين، وهما المال والإعلام المتمثلين بالفساد، كما وأن التأثير الصهيوني كبير بسبب التخطيط المسبق للأفكار، حيث يتأثر السياسيون البريطانيون بالقادة اليهود وذلك لما لعبته شبكات الصداقات والعلاقات التي بنوها اليهود مع البريطانيين.[123] ولا يقتصر الأمر على ذلك، فحسب ما يشير عرابي فأنه حينما عادت الملكية لبريطانيا كان لليهود نفوذ في الدولة بسيطرتهم على الموارد المالية، وتزويج اليهوديات بعدد من نبلاء الإنجليز، وهو اختلاط الدماء اليهودية بدماء نبلاء الإنكليز مما يتيح الأمر لسيطرة اليهود على النبلاء،[124] وبالتالي فإنّ الفكر اليهودي كان سائداً في المجتمع البريطاني منذ القِدم، ولهذا فإنّ مصلحة الصهيونية هي تنفيذ خططها، حيث يشير وينستوك (Weinstock) إلى أن الصهيونية حركة تحويلية، فوفقاً للأيديولوجية الصهيونية، فإنّ مشروع دولة يهودية تحت حماية قوة إمبريالية في فلسطين العربية تسبق تحالف قادة الصهاينة مع بريطانيا،[125] وبالتالي فإنّ الصهيونية تبحث عن ما يتوافق مع أفكارها وسياستها، وهذا ما جعل اليهود يستغلون أهداف الاستعمار لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين[126]، كما أنه يبين تأثير الصهيونية في السياسة البريطانية. ولكن روس(Ross) يَنفي تأثير المنظمة الصهيونية على قرار حكومة لويد جورج حول إصدار إعلان بلفور، فالأمر غير صحيح؛ لأن المنظمة طرف هامشي داخل بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى، وأن معاداة السامية التي أدت بسياسة الصهيونية تجاه بريطانيا نحو الشرق الأوسط لا أساس لها من الصحة، فالسياسة البريطانية تجاه فلسطين هي بسبب الفشل في عدم قبول الشعب العربي في حملته العسكرية ضد الإمبراطورية العثمانية، لهذا فإنّه من الضروري على بريطانيا تشكيل تحالف مع شعب يدعم المصالح البريطانية في المنطقة.[127] حيث يشير عرابي إلى أن وايزمان كان ينتهج منهجاً يقوم على ربط المصلحة الصهيونية بمصالح ومطامع البريطانيين في الشرق الأوسط، وبالتالي فإنّ وايزامان كان يقدم للحكومة البريطانية دعمه من أجل الظفر بمطالب الصهيونية.[128] ويفسر ذلك ميم اوك (Mim Öke) من أن لويد جورج قال لوايزمان بأن الحكومة البريطانية ستساعد الصهاينة مقابل الحصول على المساعدة المالية والدعم من اليهود في بريطانيا،[129] وهذا

(121) Schwanitz, Wolfgang G. (2018) "A Jewish National Home,"100 Years On The "Ottoman Balfour Declaration", Usa, Middle East Quarterly, P1.

(122) ناجي، سليمان، مرجع سابق، والتوزيع، ص221.

(123) Sonyel, Saliihi(1993) Osmanli İmparatorlugu'nun Sonu Kurtuluş Savaşive Museviler, The Journal Of Ottoman Studies Xiii, İstanbul, s6.

(124) عرابي، رجا، مرجع سابق، ص448ـ449.

(125) Weinstock, Nathan(1969) Le Sionisme Contre Israël, Paris, Librairie François Maspero, P57.

(126) الخولي، حسن (1968) فلسطين بين مؤامرات الصهيونية والاستعمار، مصر، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، ص12.

(127) Ross, Jared, p16.

(128) عرابي، رجا، مرجع سابق، ص630.

(129) Öke, Mim (2006) Osmanu İmf Aratorlucu, Siyonizm Ve Filistin Sorunu (1880. 1914), Marife, 6 (1), S-S 261-270.s267.

ما يؤكد محاولات وايزمان بربط الفكر الصهيوني بالسياسة البريطانية. حيث يشير شتاين(Steen) إلى أن وايزمان اقترح على روتشيلد دولة يهودية قوية على الجانب المصري من أجل تأمين المصالح البريطانية،[130] لذا فإنّ هناك مصلحة مشتركة بين الصهيونية والحكومة البريطانية، فنظراً للالتزام المزدوج بين الصهيونية وبريطانيا، فقد تعهد البريطانيون مساعدة الصهاينة في إقامة وطن قومي يهودي وحماية حقوق العرب الفلسطينيين ولكن السياسة البريطانية كانت مضرة لمصلحة السكان الأصليين غير اليهود في فلسطين[131]، وخصوصاً بأن بريطانيا أعلنت في عام 1914 الحرب على الإمبراطورية العثمانية، وعلى هذا الأساس فإنّ رجال الدولة البريطانيين سارعوا بالتعامل مع القضية كوسيلة لتحرير فلسطين من سيطرة العثمانيين لتتوافق مع الإستراتيجية الصهيونية[132].

وحسب ما تبين، فأن التأثير الصهيوني كان له الأثر الأكبر في تحويل أفكار الصهيونية إلى وثيقة تصدرها الحكومة البريطانية، ولكن يعتبر الإعلان بمثابة تحول في الفكر الديني، حيث يشير فريدمان (Freedman) إلى هرتزل وبلفور قد رأوا بأن لإعلان بلفور أهمية توراتية في سجلات التاريخ اليهودي، لهذا فإنّ أفكار الصهيونية تم قبولها بسبب ربط الوطن القومي بنصوص توراتية، وأن التأثير البروتستانتي كان له دور كبير في التأثير على المجتمع البريطاني.[133] حيث تشير عبير عبد الرحمن ثابت إلى أن ديفيد لوين جورد (David Lewin Gordes) كان يعرف تاريخ اليهود أكثر من معرفة تاريخ بلاده بريطانيا، وكان هذا بسبب الأفكار التي أفرزتها حركة الإصلاح البروتستانتي، ومن معتقداتها عودة المسيح الثانية وبناء مملكة اليهود،[134] وهذا يعني بأن السياسة البريطانية بتأييدها للمذهب البروتستانتي اعتبرت الأمر انتصاراً لهم. فحسب ما يشير إليه شوماري (Shomary) فأن إعلان بلفور يعتبر تجسيداً للصهيونية المسيحية، حيث أن البروتستانتية تؤيد بقوة سعي اليهود من أجل الوطن اليهودي.[135] وهذا ما يؤكده إلكسندر (Alexande) في أن وعد بلفور كان انتصاراً للصهيونية المسيحية بقدر انتصاره للصهيونية اليهودية.[136] وبالتالي فأن بريطانيا استغلت الصهيونية لتحقيق أهدافها السياسية على الصعيد المحلي أو العالمي. فحسب ما يشير نيقوسيا (Nicosia) إلى أن الحركة الصهيونية أصبحت أداة لتعزيز المصالح البريطانية.[137] ويذكر أنطونيوس (Antonius) أن اللورد إزلينغتون قد فهم الهدف من وعد بلفور، ولكنه لم يوافقه وطالب بأن يكون الأمر تدريجياً على الفلسطينيين، لكن اللورد بلفور رفض حجته.[138] وبالتالي فإنّ الفكرة تنبع من وازع ديني أكثر من الوازع

(130) Steen, Klaus Gerd (2007) Der Nahostkonflikt,der Carl von Ossietzky Universität Oldenburg, BIS-Verlag, s24

(131) Keda, Alexandre, Forman, Geremy (2003) Colonialism, Colonization, and Land Law in Mandate Palestine: The Zor al-Zarqa and Barrat Qisarya Land Disputes in Historical Perspective, Theoretical Inquirie, 4(2), p-p491-539.P497.

(132) Black, Alasdair, P55-56.

(133) Freedman, Rabbi, p36.

(134) ثابت، عبير، مرجع سابق، ص10.

(135) Shomary, Wiji (2010) Arab Anti-Semitism, Gotland University History, Department of History, p19.

(136) Alexander, Philip. P 213.

(137) Nicosia, Francis R., p6.

(138) Antonius, Rachad (2016) Palestine-Israël: Moments structurants et droit international (1917-2015), Guerres mondiales et conflits contemporains 2(262),p-p. 107-128.p113

السياسي، وأن الســـياسة البريطانية هي أداة لتعزيز المصالح الصهيونية وليست عكس ذلك.

وحسب ما تقدم فإنّ التحول من اللاسامية إلى السامية يعود لأسباب دينية أو لأسباب سياسية، أو بسبب التأثير الصهيوني، ومن المرجح بأن الأخيرة هي السبب في عملية التحول، لأن بلفور فَقَدَ الانتخابات في عام 1906 مما يعكس بأن خروجه من منصبه قد أثّر عليه، وبالتالي فقد تعاطف مع الصهيونية حتى يحظى بمكانته السياسية، وهذا ما جعل لويد جورج يختاره، فلو لم يكن متعاطفاً ومتعاوناً مع المنظمة الصهيونية لما قام لويد جورج بتعيينه في الحكومة الائتلافية، كون لويد جورج له أسبقية في تعاطفه مع الصهيونيين وفق ما أشارت إليه المصادر.

ما بعد الإعلان:

بعد التعرف على التحول من اللاسامية إلى السامية سواء عند بلفور أو عند لويد جورج، فإنّ الإعلان كسياسة تم الاتفاق عليه، ولكن ما بعد الإعلان اختلفت الآراء في الوسط اليهودي والبريطاني، حيث لعبت الدعاية الإعلامية دوراً مهماً إلى ما أشار إليه نص وعد بلفور، وقامت بإسقاط المنشورات على الأراضي الألمانية والنمساوية، بالإضافة لتوزيع المنشورات على الجنود اليهود في جيوش ألمانيا وحلفاءها في أوروبا الوسطى حول استقطاب عاطفتهم بالمساعدة في بناء وطن قومي لليهود في فلسطين[139]، وبالتالي فإنّ المنظمة الصهيونية سعت إلى تطبيق الإعلان على أرض الواقع من خلال الحملات الإعلامية في الأوساط الأوروبية. فرغم تحالفات بريطانيا مع العرب فإنه لم يكن بوسعها حكم فلسطين، ولكن بوعد بلفور استطاعت القوات البريطانية والقوات المتحالفة بالدخول إلى فلسطين عبر الحدود الجنوبية في ظل رفض تام من قِبل القوات التركية بقيادة الجنرال الألماني فريدريش كريس فون كرسنشتاين (Friedrich Kress von Kressenstein)، وأسفرت أول معركتين في مدينة غزة عن خسائرٍ كبيرة، لكن نجح الجنرال إموند اللنبي (Edmund Allenby) من الاستيلاء على مدينة غزة في 8 نوفمبر 1917، أي بعد ستة أيام من توقيع خطاب بلفور، وفي شهر ديسمبر تم الاستيلاء على القدس[140].

(139) Hon, Rt, Nutting, Anthony (2013) Balfour And Palestine A Legacy Of Deceit, London, The Council For The Advancement Of Arab·British Understanding, P5.

(140) Mathew, William(2014) War-Time Contingency and the Balfour Declaration of 1917: An Improbable Regression, Journal of Palestine Studies, 40(2), p p 26-42. P 29

فالتوجه الإعلامي والعسكري لتطبيق الإعلان كان يعترضه مجموعة آراء ومفكرين، فبعد أسبوع من إعلان وعد بلفور تم تأسيس رابطة اليهود البريطانيين بشكل علني بقيادة ثلاث يهود بريطانيين بارزين وهم ليونيل ناثان دي روتشيلد (Lionel Nathan de Rothschild)، والسير فيليب ماغنوس (Sir Philip Magnus)، واللورد سويثينج

(Lord Swaything)، وهدفهم يتمثل بمعارضة الأيديولوجية الصهيونية، وأشاروا إلى أن اليهودية هي دين وليست عرقاً أو أمة، وتم الإشارة إليهم بالصحافة بمقاومة الإدعاء بأن اليهود يشكلون جنسية سياسية منفصلة.[141] حيث يشير أليكس جوفي إلى أن المؤسسة البريطانية كانت منقسمة في آراءها لاستجابتها السلبية للصهيونية ولوعد بلفور في أوائل العشرينات.[142] وهذا يؤكد عدم انسجام مضمون الإعلان مع الفكر المتباين لدى السياسيين والمفكرين، حيث كانت الحملة اليهودية المعادية للصهيونية في بريطانيا قوية وكانت الحركة تضمن أمثال الحاخام إسرائيل ماتوك (Rabbi Israel Mattuck)، وكلود مونتيفيوري (Claude Montefiore)، ولوسيان وولف (Lucien Wolf)، ولوري ماجنوس (Laurie Magnus)، وأصبحوا يعبرون عن آرائهم كتابيا، ً فقد أنشأوا مجلة الجارديان اليهودية (Jewish Guardian) لمواجهة صحيفة «كرونيكل اليهودية» (Jewish Chronicle) المجلة الصهيونية العدائية.[143] كما ويُصرّح المفكر اليهودي آرثر كويستلر (Arthur Koestler) بأن وعد بلفور «أمة واحدة وعدت رسمياً إلى أمة ثانية ببلد ثالث» بأنه لا يوجد سبب منطقي واضح مما زاد الشكوك حول الإعلان[144]، وكان هذا الوعد من أكثر الوثائق السياسية غير المرغوبة على الإطلاق حسب كويستلر[145]، كما عد إدوين صموئيل مونتاجو (Edwin Samuel Montagu) من أشد المعارضين للإعلان، وهو وزير الحكومة اليهودية ووزير الدولة لشؤون الهند في ذاك الوقت، حيث يشير في رسائله بأن هناك قائمة تضم (45) من اليهود البريطانيين البارزين الذين عارضوا بشدة الإعلان.[146] ورفض مونتاجو للوعد لم يكن لأمر القضية الفلسطينية، وإنما لأهداف أخرى، ويؤكد ذلك ما يشير إليه جوزيف بورغ (Josef Burg) بأن اعتراض مونتاجو كان لسببٍ معين، وهو أنه يخشى بأن يحولوا اليهود القائمين ببريطانيا لأجانب ويتعرض وجودهم للخطر.[147] ولا يقتصر الأمر على ذلك فحسب، ولكنه حسب ما أوضحه مونتاجو بأن اليهود سيواجهون مشكلة في الاندماج حين يتمّ الإعلان عن وطنهم القومي في فلسطين[148]، وهذا يفسر أن الاعتراض كان لغايةٍ سياسية تهتم بالعرق اليهودي وليس بمضمون النص. ويشير جوني منصور بأن الجمعية الأنجلو- يهودية (Anglo-Jewish Association) اعترضت على وعد بلفور، لكنها أيدت الانتداب البريطاني على فلسطين،[149] وهذا يعكس أن الاعتراض على فكرة الإعلان ليس دعماً للعرب في فلسطين ولكن ربما لعدم توافقه مع أفكارهم، حيث كان الحاخام ماتوك الأكثر نفوذاً في الحركة اليهودية الليبرالية، والذي ألقى خطابات كثيرة تتمثل بأن فكرة الجنسية اليهودية لا يُفترض أن توعد اليهود بأرض قومي،[150] وهذا يفسر الاعتراض على الوعد بسبب أفكار دينية توراتية أكثر من أنها دعماً للإنسانية.

(141) Bowler, Hannah, p11.

(142) Joffe, Alex (2017) Palestinians and the Balfour Declaration at 100: Resisting the Past, BESA Center Perspectives, No. 433, p2.

(143) Bowler, Hannah, p11.

(144) Kramer, Martin (2017) For 100 years the British statement, which inaugurated Zionism's legitimation in the eyes of the world, has been seen as the isolated act of a single nation. The truth is much different, mosaic magazine: mosaicmagazine.com.

(145) Lustick, Ian (2017) The Balfour Declaration a Century Later: Accidentally Relevant, Middle East Policy, 24(4), p p 166-176. P167.

(146) Bowler, Hannah, p8.

(147) Burg, Josef(1965) juden zwischen henkern heuchlern,4 Auflage, München, Damm Verlag GmbH, s 243.

(148) Bowler, Hannah, p11.

(149) منصور، جوني، مرجع سابق، ص 155.

(150) Bowler, Hannah, p12.

تبين مما سبق أن وايزمان والحركة الصهيونية وجهود الكثير من القادة استطاعوا تطبيق النص، وقد تحققت محاولاتهم في إصدار الوعد، حيث يشير فيرنر هافيل (Werner Häfele) إلى أن الهدف المحدد في برنامج بازل المتمثل في تحقيق موافقة الحكومة قد تحقق.[151] ولا يقتصر الأمر على الحكومة البريطانية، فقد تم الاهتمام بتناول الأمر مع العرب، وذلك حسب ما يشير بارد (Bard) بأن الأمير فيصل نجل شريف حسين قد وقع اتفاقاً مع حاييم وايزمان وغيره من قادة الصهاينة لدعم تنفيذ وعد بلفور وذلك خلال مؤتمر باريس للسلام عام 1919.[152] ويشير توبي جرين (Toby Greene) إلى أن التوقيع كان بالتزام كل منهما بدعم تطلعات الآخر، وقد تم الوفاء حينما سمح تشرشل بإقامة دولة شرق الأردن لشقيق فيصل عبد الله بأن يحكمها.[153]

(151) Häfele, Werner(2008) Zionismus und Araberfrage,»Am Beispiel zionistischer Persönlichkeiten bis zum britischen Mandat», Wien, Wien Universität, s24

(152) Bard, Mitchell G. (2017) A Guide To The Arab-Israeli Conflict, Usa, American -Israeli Cooperative Enterprise (Aice), P5

(153) Greene, Toby(2017)We Need To Talk About The Balfour Declaration, Balfour 100 The Fathom Essays, Fathom, P9.

وبالانتقال لمناقشة المضمون، فقد أشار مصدر قديم يعود لعام 1919 لهربرت آدمز غيبونز (Herbert Adams Gibbons) بأنه دون المساس بالحقوق المدنية والدينية للمجتمعات غير اليهودية في فلسطين، فلن يؤدي ذلك إلى خطر، لأن مئة ألف يهودي مقابل (630) ألف غير يهودي، منهم (550) ألف كتلة إسلامية صلبة من اللغة الأثرية التي تتعاطف بعرقها ودينها مع جيرانها عرب سوريا وبلاد بين النهرين والجزيرة العربية ومصر، فالتهديد اليهودي غير موجود.[154] وبالتالي اتضح بأن العلاقة لم تكن هكذا، بسبب العدائية في تطبيق الإعلان، بل أنها قديمة بين اليهود والعرب فيما يتعلق بالهجرة اليهودية، وذلك حسب ما يشير إليه لورنس ديفيدسون (Lawrence Davidson) من أن العالم الأخلاقي اليهودي الشهير آشر جينزبرج (Asher Ginzberg) قد لاحظ في وقت مبكر من عام 1891 بأن المستوطنين الصهاينة في فلسطين لديهم ميل إلى الاستبداد، فقد كانوا يعاملون العرب بالعداء والقسوة ويحرمونهم من حقوقهم، وقد كانوا يتباهون بهذه الأعمال، وبالتالي الافتراض الذي قدمه غيبونز «Gibbons لم يكن متوافقاً مع الواقع.

(154) Gibbons,Herbert (1919) Le Sionisme Et La Paix Mondiale, Paris, Les Amis De La Terre Sainte, ..P8

الخاتـمــة:

بناءً على ما ورد بالدراسة، فإنّ بلفور كان معادياً للسامية حينما رفض الهجرة اليهودية من الشرق لبريطانيا في عام 1905، ولكنه في 2 نوفمبر 1917 أَصْدَرَ وعده بإنشاء وطن قومي لليهود، وأن التحول من اللاسامية إلى السامية يعود لأسباب مختلفة، فبعض الباحثين أشاروا إلى أن الأمر يعود بسبب وازعه الديني، وذلك لتوافق المطالب الصهيونية مع تعاليم المذهب البروتستانتي حول إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لأجل عودة المسيح المنتظرة، ولكن هذا السبب غير مقنع. بينما أشار آخرون إلى أن بلفور قد وافق على مطالب الصهيونية نظراً لأسلوب وايزمان في

الإقناع، ومنهم من أشار إلى ازدواجية السبب بين المصلحة البريطانية والمصلحة الصهيونية حول إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين مقابل أن تستفيد الحكومة البريطانية جراء الإعلان عسكرياً وجيو- إستراتيجياً، ولكن الأمر غير مقنع لاختيار فلسطين عن غيرها، فلو اعتقدت بريطانيا بأنها تحاول أنْ تحقق أهدافها بواسطة الصهيونية، فبإمكانها أن تحقق ذلك في اختيار أوغندا مثلاً أو غيرها، لكن السبب من تحول بلفور من اللاسامية إلى اللاسامية هي بسبب التأثير الصهيوني وهيمنته، فبلفور فَقَدَ مقعده في الانتخابات في عام 1906، وبالتالي فإن عودته بواسطة الحكومة الائتلافية بقيادة لويد جورج تعود إلى أنه شعر بتهديد الصهيونية لخسارته الانتخابات، ولأنه مهتم بمكانته السياسية، فقد تعاطف مع السامية لأجل تحقيق مصلحته بالعودة للسياسة.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

1 - أبو علم، عبد الله (2016) اليهود لا مواثيق ولا عهود، الأردن، دار الفلاح للنشر والتوزيع.

2 - ثابت، عبير (2015) مدى تأثير فكرة يهودية الدولة الإسرائيلية على مستقبل القضية الفلسطينية، مجلة جامعة الشارقة، 12(1).

3 - الحارتي، إبراهيم (2006) الصهيونية من بابل إلى بوش، طنطا، دار البشير للثقافة والعلوم.

4 - حجازي، فهد (2016) الوظيفة اليهودية من أرتحششتا إلى بلفور، بيروت، دار الفارابي.

5 - الحسني، عبد الكريم (2010) الصهيونية، القاهرة، شمس للنشر والتوزيع.

6 - حسين، غازي (2003) الاستيطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار إلى الإمبريالية، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

7 - حسين، ياسر (1997) يهود ضد إسرائيل، القاهرة، مركز الحضارة العربية للأعلام والنشر.

8 - حمدان، عبد الحميد (2000) فلسطين أولا... إسرائيل- فلسطينيات وإسرائيليات، القاهرة، مكتبة مدبولي.

9 - الخولي، حسن(1968) فلسطين بين مؤامرات الصهيونية والاستعمار، مصر، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر.

10 - الخوند، مسعود (1995) الموسوعة التاريخية الجغرافية الجزء الثاني، لبنان، مؤسسة هانياد.

11 - رشاد، يوسف (2009) اليهودي العالمي/ قراءة جديدة لكتاب هنري فورد، حلب، دار الكتاب العربي.

12 - سلامة، عبد الغني (2017) المقدمات التاريخية والسياسية لوعد بلفور، قضايا إسرائيلية، العدد 65.

13 - الشقيفي، ندى (2011) الهولوكوست: حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها، بيروت، باحث للدراسات.

14 - الصائغ، بان (2011) سياسة بريطانيا تجاه النصارى واليهود في الدولة العثمانية (1839-1914) دراسة تاريخية، مجلة التربية والعلم، 19(5).

15 - الطويل، يوسف (2010) الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم وعلاقتها بمخطط إسرائيل الكبرى ونهاية العالم الجذور والممارسة وسبل المواجهة، الجزء الأول، (ط.2)، مصر، صوت القلم العربي.

16 - عرابي، رجا (2006) سفر التاريخ اليهودي اليهود تاريخهم عقائدهم فرقهم نشاطاتهم سلوكياتهم الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية، (ط.2)، سورية، الأوائل للنشر والتوزيع.

17 - عيسى، صلاح، عطية، جميل (1991) صك وعد بلفور، القاهرة، دار الفتى العربي.

18 - لمعي، إكرام (1993) الاختراق الصهيوني للمسيحية، (ط.2)، القاهرة، دار الشروق.

19 - محمد، إسماعيل (2010) الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية، القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع.

20 - منصور، جوني (2009) معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، رام الله، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية.

21 - ناجي، سليمان (2007) اليهود عبر التاريخ، تقديم، سهيل زكّار، دمشق، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.

22 - النجار، حسين (بدون تاريخ) وعد بلفور، مصر، اخترنا للطالب.

23 - نجار، عايدة (2005) صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن 1900-1948، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

24 - النقيب، عبد الكريم (2015) شخصيات صهيونية (5) آباء الحركة الصهيونية، عمّان، دار الجليل للنشر.

25 - هاشم، محمد (2010) الدين والسياسة والنبوءة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية، حلب، دار الكتاب العربي.

26 - وحدة الدراسات (2001) القضية الفلسطينية (رؤية ثورية)، مصر، مركز الدراسات الاشتراكية.

27 - المراجع المترجمة للغة العربية:

28 - برير، مايكل (2004) الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني: أمريكا اللاتينية جنوب افريقيا فلسطين، ترجمة أحمد الجمل وزياد منى، (ط.2)، سوريا، قدمس للنشر والتوزيع.

29 - كار، وليم (1982) اليهود وراء كل جريمة، (ط.2)، بيروت، دار الكتاب العربي.

30 - ماكنمارا، روبرت (2016) الهاشميون وحلم العرب، ترجمة منال حامد، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

31 - وايتلام، كيث (1999) اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهنيدي، الكويت، عالم المعرفة.

المراجع باللغة الإنجليزية:

1 - Alexander, Philip (2017) 'Why Did Lord Balfour Back The Balfour Declaration?' Jewish Historical Studies, 49(1), P P 188-214

2 - Bard, Mitchell G. (2017) A Guide To The Arab-Israeli Conflict, Usa, American-Israeli Cooperative Enterprise (Aice)

3 - Bashford, Alison,McAdam, Jane (2014) The Right to Asylum: Britain's 1905 Aliens Act and the Evolution of Refugee Law, Cambridge University Press, 32(2), p-p 309-350.

4 - Beeston, David (1988) Anti-Semitic Journalism And Authorship In Britain, (A Doctoral Thesis), Loughborough University Of Technology.

5 - Billauer, Barbara Pfeffer (2013) Case Studies In Scientific Statecraft: Chaim Weizmann And The Balfour Declaration- Science, Scientists And Public Diplomacy, U. Of Porto; Foundation For Law And Science Centers

6 - Black, Alasdair(2018) The Balfour Declaration: Scottish Presbyterian Eschatology And British Policy Towards Palestine, Perichoresis, 16(4), P P 35-59.

7 - Bowler, Hannah (2017) Giving Away Other People's Land: The Making Of The Balfour Declaration, London, Crown House North Circular Road.

8 - Cohen, Michael(2003) Churchill And The Jews, London, Routledge Taylor &. Francis Group.

9 - Comay, Joan (2005) Who's Who In Jewish History, London, Taylor & Francis E-Library.

10 - Cronin, David (2017) Balfour's Shadow A Century Of British Support For Zionism And Israel, London, British Library Cataloguing In Publication.

11 - Droy, Alf (2005) Wake Up! The Lord Is Returning, 4 Edition, England, El Shaddai Publishers.

12 - Epstein, Howard (2017) Chaim Weizmann: The Indispensable Zionist, Independently Published By Howard David Epstein.

13 - Freedman, Rabbi (2017) Bob's Your Uncle! The Balfour Declaration And The New West End Synagogue(120 Years Of Zionist History), London, United Synagogue.

14 - Garfinkle, Adam (2014) Origins Of The Palestine Mandate, Philadelphia, Foreing Policy Research Institute (Fpri)

15 - Greene, Toby(2017) We Need To Talk About The Balfour Declaration, Balfour 100 The Fathom Essays, Fathom.

16 - Heideman, Elana(2017) Celebrating Balfour: Today, Tomorrow, Forever, Israel, The Israel Forever Foundation.

17 - Hon, Rt, Nutting, Anthony (2013) Balfour And Palestine A Legacy Of Deceit, London, The Council For The Advancement Of Arab·British Understanding

18 - Keda, Alexandre, Forman, Geremy (2003) Colonialism, Colonization, And Land Law In Mandate Palestine: The Zor Al-Zarqa And Barrat Qisarya Land Disputes In Historical Perspective, Theoretical Inquirie, 4(2).

19 - Köse, Ismail (2018) The Lloyd George Government Of The Uk: Balfour Declaration The Promise For A National Home To Jews (1916-1920).

20 - Kramer, Martin (2017) For 100 Years The British Statement, Which Inaugurated Zionism's Legitimation In The Eyes Of The World, Has Been Seen As The Isolated Act Of A Single Nation. The Truth Is Much Different, Mosaic Magazine: Mosaicmagazine.Com.

21 - Lustick, Ian(2017) The Balfour Declaration A Century Later: Accidentally Relevant, Middle East Policy, 24(4).

22 - Mathew, William(2014) War-Time Contingency And The Balfour Declaration Of 1917: An Improbable Regression, Journal Of Palestine Studies, 40 (2).

23 - Nicosia, Francis R. (2000) The Third Reich & The Palestine Question, London, Routledge Taylor &. Francis Group.

24 - Ram, Shira Sorko(2017) Birthing Israel, Changing History: The Balfour Declaration, Israel, Maoz Israel Report.

25 - Regan, Bernard (2016) The Implementation Of The Balfour Declaration And The British Mandate In Palestine: Problems Of Conquest And Colonisation At The Nadir Of British Imperialism (1917–1936), London, St Mary's University.

26 - Renton, James. (2007) Turning Perceptions Into Policy: The Role Of Jewish Activists, 1914–1917. In: The Zionist Masquerade. Palgrave Macmillan, London.

27 - Rhett, Maryanne A. (2016) The Global History Of The Balfour Declaration Declared Nation, London, Routledge Taylor &. Francis Group.

28 - Ross, Jared (2009) Rebellion In Palestine: The Transformation Of Middle East Politics, 1936-1939, (Thesis Master) Florida State University, College Of Arts And Sciences.

29 - Sayegh, Fayez A (1965) Zionist Colonialism In Palestine, Beirut, Research Center * Palestine Liberation Organization.

30 - Scepanovic, Janko (2014) Sentiment And Geopolitics In The Formulation And Realization Of The Balfour Declaration, (A Master's Thesis), University Of New York.

31 - Schwanitz, Wolfgang G. (2018) "A Jewish National Home,"100 Years On The "Ottoman Balfour Declaration", Usa, Middle East Quarterly.

32 - Shomary, Wiji (2010) Arab Anti-Semitism, Gotland University History, Department Of History.

33 - Sizer, Stephen(2002)The Promised Land: A Critical Investigation Of Evangelical Christian Zionism In Britain And The United States Of America Since 1800, (A Thesis Degree Of Doctor Of Philosophy), Middlesex University, School Of Humanities And Cultural Studies.

34 - Stein, Leonard(1975) The Letters And Papers Of Chaim Weizmann August 1914– November 1917 Volume Vii, Series A, Oxford University Press, London And Israel Universities Press, Jerusalem.

المراجع باللغة الألمانية:

35 - Božinović, Stipe (2017) Zionismus Und Antisemitismus In Hermann Bahrs Roman “Die Rotte Korahs”,(Diplomski Rad), Sveučilište U Zadru.

36 - Burg, Josef (1965) Juden Zwischen Henkern Heuchlern,4 Auflage, München, Damm Verlag Gmbh.

37 - Eggert, Wolfgang (2002)Israels Geheimvatikan, München, Beim Propheten! Verlag.

38 - Häfele, Werner (2008) Zionismus Und Araberfrage,”Am Beispiel Zionistischer Persönlichkeiten Bis Zum Britischen Mandat”, Wien, Wien Universität.

39 - Haisenko, Peter(2016)England, Die Deutschen, Die Juden Und Das 20. Jahrhundert, Deutschland, Anderweltverlag.

40 - Heddesheimer, Don(2018)Holocaust Handbücher, Band 6, Uk,Castle Hill Publishers.

41 - Heuhsen, Heinz(2015) Die Nationen Europas In Ihrer Beziehung Zu Israel, Deutschland, Ifi-Deutschland.

42 - Panzer, Christoph (2015) Das Vergessen Der Pazifistischen Antisemitism us abwehr,(Inauguraldissertation Zur Erlangung Des Akademischen Grades Eines Doktors Der Philosophie Der Philosophischen Fakultät Der), Ernst-Moritz-Arndt-Universität Greifswald.

43 - Possanner, Nikolaus(2012) Krieg Um Die Stadt Des Friedens: Jerusalem/ Al-Quds Zwischen Politik Und Religion,(Der Diplomarbeit), Wien,Universität Wien.

44 - Rosenberg, Tausend (1923) Die Protokolle Der Weisen Von Zion Und Die Jüdische München, Weltpolitik,Deutscher Volksverlag München.

45 - Salzborn, Samuel(2010) Israelkritik Oder Antisemitismus? Kriterien Für Eine Unterscheidung, Deutschland, Der Georg-August-Universität Göttingen.

46 - Stanley A. Ellisen & Charles H. Dyer(2005) Wem Gehört Das Land? Die Wirklichen Ursachen Des Nahost-Konflikts,Usa, Tyndale House Publishers.

47 - Steen, Klaus Gerd (2007) Der Nahostkonflikt,Der Carl Von Ossietzky Universität Oldenburg, Bis-Verlag

48 - Weber, Siegfried(2016)Geschichte Israels Im 20. Jahrhundert, Deutschland, Verlag Lebensquelle.

49 - Yahya, Faris(1982) Die Zionisten Und Nazi-Deutschland, Dortmund, Hartmut Dicke Verlag.

المراجع باللغة الفرنسية:

1 - Antonius, Rachad (2016) Palestine-Israël: Moments Structurants Et Droit International (1917-2015), Guerres Mondiales Et Conflits Contemporains 2(262).

2 - Batut, Katia (2014) Le Sionisme Chrétien Contemporain Aux États-Unis, Entre Religion Et Politique, (Thèse De Doctorat)Université De Montréal Et Université Bordeaux-Montaigne,Faculté De Théologie Et De Sciences Des Religions.

3 - Boukara, Philippe(2017)Portraits Des Protagonistes De La Déclaration Balfour, Revue D'études Juives Du Nord, Tsafon 74.

4 - Commission Royale De Palestine (1937) Mandats Palestine, Présenté Au Parlement Du Royaume-Uni Par Le Secrétaire D'etat Pour Les Colonies Par Ordre De Sa Majesté Britannique (Juillet 1937).

5 - Demars, Lucien(1972) La Honte Sioniste Aux Sources Du Sionisme Et De Ses Ravages Dans Le Monde, Beyrouth, L. Cavro-Demars.

6 - Gibbons,Herbert (1919) Le Sionisme Et La Paix Mondiale, Paris, Les Amis De La Terre Sainte.

7 - Golovinski, Mathieu, Nilus, Serge(1924) Protocoles Des Sages D'israel, Paris, Urbain Gohier.

8 - Weinstock, Nathan (1969) Le Sionisme Contre Israël,Paris,Librairie François Maspero.

المراجع باللغة التركية:

1 - Coleman, John (2013) Rothschild Hanedanliği, İstanbul, Destek Yayınları.

2 - Eker, Gülşah (2005) İsrail'in Siyasal Sistem Yapisi Ve Siyasal Partileri, İstanbul, Marmara Üniversitesi.

3 - Devci, Can (2017)Filistin'de İngiltere Mandasinin Kuruluşu (1917-1925), (Doktora Tezi),Isparta, Süleyman Demirel Üniversitesi.

4 - Kızıloğlu, Sedat (2012) İsrail Devleti'nin Kuruluşuna Kadar Geçen Süreçte Yahudiler Ve Siyonizm'in Gelişimi, Kırıkkale Üniversitesi, 2(1).

5 - Kodal, Tahir (2007) Türk Arştvbelgelerine Göre Ii. Dünya Savaşı (1939-1945) Yillarinda Türkiye Üzerinden Filistin›e Yahudi Göçleri, Uluslararası Asya Ve Kuzey Afrika Çalışmaları Kongresi'nde Sunulmuştur, Ankara'da, Pamukkale Üniversitesi.

6 - Mango, Andrew Ve Diğerleri (2011) Modern Ortadoğu'nun Kurulusu Smanlı İmparatorluğu'nun Çöküşü, Yeni Türkiye, Arap Milliyetçiliği, Siyonizm Ve Günümüzü Hazırlayan Tarihsel Süreç, İstanbul, Haus Publishing Limited.

7 - Öke, Mim (2006) Osmanu İmf Aratorlucu, Siyonizm Ve Filistin Sorunu (1880. 1914), Marife, 6(1).

8 - Özgül, Esin(2018) 1917 Balfour Deklarasyonu Ve Filistin›e Yahud Göçüi, (Yüksek Lisans Tezi), Balıkesir,Balikesir Üniversitesi.

9 - Schneer, Jonathan (2012)Balfour Declaration, The Origins Of The Arab-Israeli Conflict, Çeviren: Ali Cevat Akkoyunlu, İstanbul, Kırmızı Kedi Yayınevi.

10 - Sonyel, Saliihi (1993) Osmanli İmparatorlugu'nun Sonu Kurtuluş Savaşive Museviler, The Journal Of Ottoman Studies Xiii, İstanbul.

11 - Torlak, Mustafa (2010) Siyonizmin Penceresinden Arap- İsrail (Yüksek Lisans Tezi), İstanbul, Kadir Has Üniversitesi.

12 - Ulutaş, Ufuk, Ve Diğerleri (2012) İsrail Siyasetini Anlama Kilavuzu, Ankara, Seta Siyaset, Ekonomi Ve Toplum.

13 - Umar, Ömer Osman (2002) Osmanli Döneminde Yahudiler'in Filistin'e Yerleşme Faaliyetleri, Fırat Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi. 12(2).

14 - Yaşar, Fatma (2011) Siyonizm Düşünden İşgal Gerçeğine Filistin, İstanbul, İhh Araştırma Yayınlar Birimi.

15 - Yesevi, Çağla Gül (2017) İsrail'in Devlet İmajının Şekillenmesi, Bilge Strateji, 9 (16).

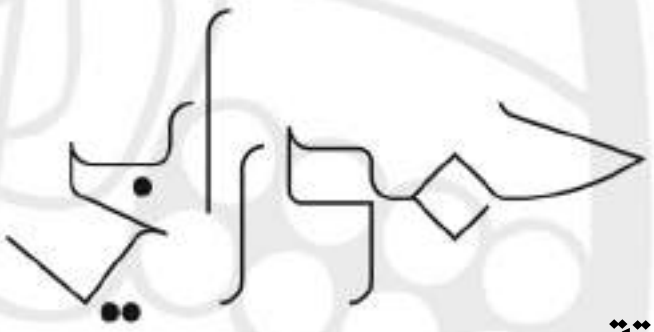

الأبواب الثابتة

- **البحوث المترجمة**
  الجائحة والنظام السياسي ـ يتطلب وقفة ـ متابعة ترجمة: ضحى الخالدي
- **الأكاذيب والأخطاء التي قادتنا إلى العراق, تطرح في كتاب** ترجمة: ضحى الخالدي
- **اصدارات حمورابي** هبة علي حسين
- **رسائل واطاريح جامعية** هبة علي حسين و سماح نجم كاظم
- **عرض الكتب الاجنبية والعربية**
  ضحى الخالدي و مصطفى صادق عواد و هبة علي حسين

البحوث المترجمة

الجائحة و النظام السياسي ـ يتطلب وقفة ـ متابعة

ترجمة: ضحى الخالدي

موقع فورين أفيرز Foreign Affairs
تموز / آب 2020

الأزمات الكبرى لها عواقب كبرى، وعادةً تكون غير متوقعة. الكساد الكبير حفَّز الانعزالية، القومية، الفاشية، والحرب العالمية الثانية، لكنه ايضاً أدّى الى الصفقة الجديدة، نهوض الولايات المتحدة كقوة عظمى عالمية، وفي نهاية المطاف نهاية الاستعمار.

هجمات 9/11 أنتجت تدخلين أميركيين فاشلين، نهوض أيران، والاشكال الجديدة من الأصولية الاسلامية.

الازمة المالية في 2008 ولَّدت طفرة في الشعبوية ضد المؤسسات، والتي استبدلت القادة عبر العالم.

مؤرِّخو المستقبل سيخطّون آثاراً كبيرة نسبياً للجائحة الحالية؛ التحدي هو في اكتشافها في وقت مبكر. من الواضح عادةً لماذا بعض البلدان يكون أداؤها أفضل من الآخرين في مواجهة الأزمات الى حد بعيد؛ وهناك سبب للاعتقاد باستمرار هذه الاتجاهات. ليست القضية في نوع النظام، بعض الديمقراطيات أبلت حسناً، والاخرى أخفقت، ونفس الحقيقة بالنسبة للأنظمة الاستبدادية. العوامل المسؤولة عن الاستجابة الناجحة للجائحة: قدرة الدولة، ثقة المجتمع، والقيادة.

البلدان التي تمتلك العوامل الثلاثة- أجهزة دولة كفوءة، حكومة يثق بها الشعب ويصغي اليها، و قادة مؤثرين- يكون لديها أداءُ مثيرُ للأعجاب يحد من الضرر الذي يحيق بهم.

البلدان التي لديها دول غير كفوءة، مجتمعات مستقطَبة، وقيادة ضعيفة، يكون أداءها سيئاً؛ تاركةً مواطنيها واقتصاداتها مكشوفةً وغير محصَّنة.

ما عُرِف أكثر عن COVID-19 المرض الذي يسببه فايروس كورونا المستجد، هو ان الأزمة تبدو ستطول مقاسة بالسنوات بدلاً من الفصول. ويبدو المرض أقل فتكاً مما يُخشى، الا انه مُعد جداً وغالباً ينتقل دون أعراض. فايبولا قاتل بدرجة عالية، لكن من الصعب التقاطً عدواه؛ يموت الضحايا بسرعة قبل ان ينقلوه للآخرين. COVID-19 على العكس من ذلك، مما يعني ان الناس لا يميلون الى اخذه جدياً كما يجب، لذلك فهو يستمر بالانتشار، وسيستمر بالانتشار بصورة كبيرة عبر العالم مسبباُ أعداداً كبيرةً من الوفيات. ولن تكون هناك لحظة تعلن فيها الدول الانتصار على المرض؛ بدلاً عن ذلك ستنفتح الاقتصادات بشكل بطئ ومؤقت، مع تقدم تُبطؤه الموجات المتعاقبة من العدوى. والآمال بالشفاء بشكل V (منحنى بيانياً) تبدو تفاؤلاً مفرطاً. والاكثر احتمالاً هو بشكل L طويل الذيل ينحني للأعلى، أو سلسلة من W (متكرر). ولن يعود الاقتصاد العالمي الى اي شيء يشبه ما كان عليه قبل COVID-19 في أي وقت قريب.

اقتصادياً، فأن الازمة الممتدة تعني فشل الاعمال التجارية ودمار الصناعات مثل مراكز التسوق، وسلاسل البيع بالتجزئة، وقطاع السفر. ومستويات تركيز السوق في اقتصاد الولايات المتحدة ارتفعت بثبات لعقود، والجائحة ستدفع هذا الاتجاه اكثر. فقط الشركات الكبيرة ذات التمويل الضخم ستكون قادرة على ركوب العاصفة، مع عمالقة التكنلوجيا الذين يكسبون أكثر من الجميع، حيث التفاعلات الرقمية تزداد أهمية.

العواقب السياسية ممكن ان تكون أكثر اهمية. ومن الممكن استدعاء الشعوب لأفعال بطولية من التضحية الجماعية بالنفس لبرهة، ولكن ليس للأبد. وباء باقٍ مقترن مع فقدان قاتم للوظائف، ركود اقتصادي طويل الامد، وعبء ديون غير مسبوق، لا محالة سيخلق توترات تتحول الى ردود فعل سياسية عنيفة (ارتدادات سياسية) لكن ضد من؟ ليس واضحاً حتى الآن.

فشلت الولايات المتحدة في استجابتها بصورة سيئة، ويبدو ان هيبتها انزلقت بشكل كبير.

سيستمر التوزيع العالمي للقوة بالميل ناحية الشرق، ما دام شرق آسيا يدير الوضع بشكل افضل من أوروبا والولايات المتحدة. رغم ان الجائحة بدأت في الصين، وتكتمت بكين عليها في البداية وسمحت بانتشارها، فأن الصين ستستفيد من الأزمة، على الاقل في الفترات القريبة. كما حدث ان دولاً اخرى كان أداؤها سيئاً، وحاولت

التكتم على الجائحة ايضاً بشكل أكثر وضوحاً، وبتبعات قاتلة على مواطنيها. وعلى الاقل فإن الصين اصبحت قادرة على استعادة السيطرة على الوضع، وهي تتحرك باتجاه التحدي التالي، العودة باقتصادها الى التقدم بسرعة واستدامة.

بالمقابل، فأن الولايات المتحدة فشلت في استجابتها بصورة سيئة، ويبدو ان هيبتها انزلقت بشكل كبير. يمتلك البلد قدرة وامكانيات دولة كبيرة، و له سجل حافل مثير للأعجاب في الأزمات الوبائية السابقة، لكن مجتمعه الحالي المستقطَب بدرجة كبيرة، و وقائده غير الكفوء، منعاه من العمل بشكل أكثر فاعلية. قام الرئيس بترسيخ الانقسام بدلاً من تعزيز الوحدة، تسييس توزيع المساعدات، وضع المسؤولية على الحكّام لاتخاذ قرارات رئيسة لحماية الصحة العامة، بينما كان يشجع الاحتجاجات ضدهم، وهاجم المؤسسات الدولية بدلاً من تحفيزها. العالم ايضاً يستطيع مشاهدة التلفاز، ويقف بذهول، وبسرعة سيعقد مقارنة واضحة مع الصين.

خلال السنوات المقبلة، ستؤدي الجائحة الى انحدار قريب للولايات المتحدة، التآكل المستمر للنظام الدولي الليبرالي، وعودة الفاشية حول العالم من الممكن ايضاً ان تؤدي الى اعادة توليد الديمقراطية الليبرالية، النظام الذي حيَّر المشكّكين عدة مرات، مظهراً قدرات رائعة على الصمود والتجديد. ستظهر عناصر كلا الرؤيتين. لسوء الحظ مالم تتغير الاتجاهات الحالية بصورة دراماتيكية، فأن التوقعات ستكون كئيبة.

نهوض الفاشية؟

من السهولة تخيّل النتائج المتشائمة. القومية، الانعزالية، رهاب الأجانب، الهجمات على نظام العالم الليبرالي تتزايد منذ سنوات، وهذا الاتجاه سيتعجل فقط بالجائحة. الحكومات في هنغاريا والفليبين استخدمت الأزمة لإعطاء نفسها سلطات طوارئ تحركهم ليبقوا أبعد عن الديمقراطية. بلدان أخرى تشمل الصين، ألسلفادور، وأوغندا اتخذت اجراءات مشابهة. حواجز- موانع- لحركة الناس ظهرت في كل مكان بما في ذلك قلب اوروبا؛ بدلاً من العمل المشترك بشكل بنّاء من أجل المنافع المشتركة، فأن الدول تنكفئ نحو الداخل، تتشاحن مع بعضها البعض، ويجعلون خصومهم أكباش فداء سياسية لفشلهم.

نهوض القومية سيزيد إمكانية الصراع الدولي. ربما يرى القادة بأن القتال ضد الاجانب يمثل إلهاءً سياسياً محلياً مفيداً، وربما يغريهم ضعف أو انشغال خصومهم، ويستفيدوا من الجائحة لزعزعة استقرار أهداف مفضلة، أو خلق حقائق جديدة على الأرض. مع ذلك، نظراً للقوة المستقرة المستمرة للسلاح النووي،

والتحديات المشتركة التي تواجه كل اللاعبين الكبار، فإن الاضطرابات الدولية تبدو أقل احتماليةً من الاضطرابات المحلية.

الدول الفقيرة ذات المدن المزدحمة والنظام الصحي العام الضعيف ستواجه المشاق. ليس التباعد الاجتماعي فحسب، لكن حتى العادات الصحية البسيطة ستصبح صعبة الى حد بعيد في البلدان التي لا يستطيع الكثير من مواطنيها الوصول الى المياه النظيفة. والحكومات تجعل الامور أكثر سوءاً، أما من خلال سوء التخطيط، او التحريض على التوترات الطائفية وتقويض التماسك المجتمعي، أو من خلال عديمي الكفاءة الجهلة. الهند- على سبيل المثال- ازداد انعدام حصانتها بإعلان اغلاق البلاد دون التفكير بتبعات عشرات الملايين من العمال المهاجرين الذين يزدحمون في كل مدينة كبيرة. الكثير ذهبوا الى منازلهم القروية ناشرين المرض عبر البلاد، مرة واحدة عكست الحكومة موقفها وبدأت بتقييد الحركة، عدد كبير وجدوا أنفسهم عالقين في المدن دون عمل أو مأوى أو رعاية.

النزوح الذي تسبب به التغير المناخي كان قبل الآن أزمة بطيئة الحركة تختمر جنوب العالم. ستضاعف الجائحة من تأثيراتها، مما يجعل نسبة كبيرة من شعوب الدول النامية يصبحون اقرب الى حافة الكفاف. وصدمت الأزمة آمال مئات الملايين من البشر في الدول الفقيرة الذين كانوا مستفيدين من عقدين من النمو الاقتصادي المستدام.

سيتنامى الغضب الشعبي، وفي النهاية فإن توقعات النهوض المحطمة للمواطنين ستكون وصفة كلاسيكية للثورة.

اليائسون سيرغبون بالهجرة، القادة الديماغوجيون سيستغلون الوضع للاستيلاء على السلطة، السياسيون الفاسدون سينتهزون الفرصة لسرقة ما يمكنهم، وسيتم تقييد الكثير من الحكومات أو تنهار. موجة جديدة من محاولات الهجرة من العالم الجنوبي الى الشمال، وفي الوقت نفسه سيقابلها تعاطف أقل ومقاومة اكبر هنا وهناك هذه المرة، ما دام المهاجرون يمكن اتهامهم بشكل اكثر مصداقية أو معقولية بأنهم يجلبون المرض والفوضى.

في النهاية، مظاهر ما يعرف بالبجعات السوداء (حدث غير متوقع أو غير منظور، عادةً ما يكون له عواقب وخيمة(.

حسب التعريف غير متوقعة، ولكن من ناحية اخرى هناك احتمالية متزايدة في أن يراها المرء.

عززت الجوائح السابقة رؤى نهاية العالم، الطوائف الدينية- العبادات-، وظهرت أديان جديدة عند حالات القلق الشديد التي تسببها الضائقة- المعاناة- المتطاولة. في الحقيقة يمكن أن تبدو الفاشية احدى هذه الطوائف التي ظهرت من العنف والتشويش الناشئ من الحرب العالمية الاولى وما بعد كارثتها.

نظريات المؤامرة اعتادت الازدهـار في أماكن كالشرق الاوسط حيث الناس الاعتياديون مسلوبو القوة ويشعرون بالافتقار للواسطة، يتوزعون اليوم بصورة كبيرة على الدول الغنية كذلك، جزئياً بفضل البيئة الاعلامية المحظورة بسبب الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي والمعاناة المستمرة، يحتمل ان تجلب مادة غنية للديماغوجيين الشعبويين ليستغلوها.

أو هل ستصمد الديمقراطية؟

ومع ذلك، فبالنسبة للكساد الكبير لم ينتج الفاشية فقط، بل أعاد تنشيط الديمقراطية الليبرالية ايضاً، لذلك فأن الجائحة من الممكن أن تنتج بعض المخرجات السياسية الايجابية ايضاً. بدت غالباً كصدمة خارجية قوية للانطلاق بالأنظمة السياسية المتصلبة من جمودها، وخلق الظروف لإصلاح بنيوي طويل الأمد، ومن المحتمل ان يتكرر هذا النمط على الاقل في بعض الاماكن.

الوقائع العملية للتعامل مع الجائحة تفضل الاحترافية والخبرة، اما الديماغوجية وانعدام الكفاءة فعادةً معرضة للخطر. في النهاية فإن هذا يجب ان يخلق تأثيراً انتخابياً مفيداً، بمكافأة السياسيين والحكومات التي أبلت جيداً، ومعاقبة تلك التي أخفقت.

الرئيس البرازيلي جايير بولسونارو، الذي أفرغ المؤسسات الديمقراطية في بلاده من محتواها بشكل مطرد في السنوات الاخيرة، يحاول أن يشق طريقه بخداع عِبر الأزمة، والآن يتخبط ويتربع على كرسي الرئاسة فوق كارثة صحية.

الرئيس الروسي فلاديمير بوتين حاول في البداية أن يقلل من أهمية الجائحة، ثم ادعى ان روسيا تسيطر على الجائحة، وسيتوجب عليه ان يغير نبرته مرة اخرى حينما ينتشر COVID-19 عبر البلاد. فسابقاً شرعية بوتين كانت تضعف قبل الأزمة، وهذه العملية من الممكن أَن تتعجل.

سلطت الجائحة ضوءاً ساطعاً على المؤسسات الموجودة في كل مكان، كاشفةً عن عدم دقتها وضعفها. والفجوة بين الاغنياء والفقراء، كبشر وكبلدان، تعمّقت

بالأزمة، وستزداد أكثر خلال ركود اقتصادي طويل الأمد. لكن جنباً الى جنب مع المشاكل، كشفت الأزمة عن قدرة الحكومات على توفير الحلول، والاعتماد على الموارد الجماعية في المعالجة، فالإدراك الثابت لـ» لوحدنا معاً» من الممكن أن يعزز التضامن الاجتماعي وأن يقود تنمية لدفاعات اجتماعية أكثر كرماً- وفرةً- على طول الطريق، بالضبط مثل المعاناة الوطنية المشتركة جراء الحرب العالمية الاولى والكساد الكبير الذي حفَّز نمو دول الرفاهية في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين.

ربما وُضِعَ هذا لاستعادة الأشكال المتطرفة لليبرالية الجديدة، ايديولوجية السوق الحرة التي كان روادها اقتصاديو جامعة شيكاغو أمثال غاري بيكر، ميلتون فريدمان، وجورج ستيغلر. خلال ثمانينيات القرن العشرين، وفرت مدرسة شيكاغو تبريراً فكرياً لسياسات الرئيس الاميركي رونالد ريغان، ورئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر التي تعتبر حكومة متدخلة- متطفلة- بشكل كبير لتكون عقبة أمام النمو الاقتصادي و تقدم الانسان. في الوقت الذي كانت فيه أسباب وجيهة لتشذيب أشكال كثيرة من ملكية الدولة والنُّظُم. لكن الحجج الصلبة نحو التحرر الديني رسّخت العداء لنشاط الدولة في توليد مفكرين محافظين خصوصاً في الولايات المتحدة.

اعطاء الاهمية لنشاط الدولة القوي لإبطاء الجائحة، سيكون من الصعب الجدال فيه، كما فعل ريغان في خطابه الافتتاحي الأول، حيث قال: « الدولة ليست هي الحل لمشاكلنا، الدولة هي المشكلة»، ولا أي شخص سيكون قادراً على جعل حالة محتملة- معقولة- بأن القطاع الخاص والاحسان من الممكن أن يحل محل السلطات المختصة للدولة في حالات الطوارئ الوطنية. في نيسان- ابريل، جاك دورسي المدير التنفيذي لتويتر، أعلن بأنه سيساهم بمليار دولار$ للإغاثة من جائحة COVID-19، في عمل احسان- تبرع- استثنائي. في نفس الشهر خصَّص الكونغرس 2.3 تريليون دولار $ لإدامة الاعمال التجارية والافراد المتضررين من الجائحة.

مكافحة التشنج من الممكن أن تبقى خلال الاغلاق الكامل للمحتجين، لكن الاستطلاعات تقترح بأن الاغلبية العظمى من الاميركيين تثق بنصائح خبراء الحكومة الطبيين في التعامل مع الازمة. من الممكن لهذا ان يزيد دعم التدخلات الحكومية لمعالجة مشاكل اجتماعية كبرى اخرى.

في النهاية فأن الأزمة من الممكن أن تحفز تجديد العمل الدولي المشترك. بينما

يلعب القادة الوطنيون لعبة اللوم، فان العلماء ومسؤولو الصحة العامة حول العالم يعمقون شبكاتهم واتصالاتهم. فيما اذا أدى انهيار العمل الدولي المشترك الى كارثة، وحكم عليه بالفشل، فأن الحقبة بعد ذلك من الممكن أن تشهد تجديد الالتزام نحو العمل متعدد الاطراف لمصالح مشتركة اكثر تقدماً.

لا تعلقوا آمالكم

الجائحة هي اختبار اجهاد سياسي عالمي. فالبلدان التي لديها حكومات شرعية متمكنة ستجتاز الازمة بخير نسبياً، وربما تتبنى الاصلاحات التي تجعلها اقوى واكثر صموداً، وهكذا تسهل أداءها المتفوق مستقبلاً. والبلدان ذات القدرات الاضعف للدولة أو بقيادات ضعيفة ستمر بمتاعب، مهيَّأة للركود، ان لم يكن الافقار وانعدام الاستقرار. والمشكلة هي ان المجموعة الثانية تفوق الاولى بشكل كبير.

لسوء الحظ، يبدو اختبار الاجهاد شاقاً جداً ويحتمل ان لا يجتازه الا القليل. وللتعامل مع المراحل الاولية من الازمة بنجاح، لا تحتاج البلدان فقط الى دول متمكنة وموارد كافية، ولكن ايضاً الى قدر كبير من التوافق المجتمعي والقادة الكفوئين- متخصصين- الذين يوحون بالثقة.

هذا الاحتياج تم تلبيته في كوريا الجنوبية التي فوضت ادارة- معالجة- الوباء لبيروقراطية صحية محترفة-مهنية-، وكذلك المانيا انجيلا ميركل. والاكثر شيوعاً لديهم حكومات قصَّرت بطريقة او بأخرى. وما دامت بقية الازمة ستكون صعبة الادارة، فأن هذه الاتجاهات الوطنية يحتمل ان تستمر جاعلةً التفاؤل العريض صعباً.

سبب آخر للتشاؤم هو ان السيناريوهات الايجابية تفترض نوعاً من الحوار العام المعقول والتعلم الاجتماعي. مع ذلك، الرابطة بين خبرات التكنوقراط والسياسات العامة هي أضعف اليوم مما كانت عليه في الماضي حينما كانت النخب تمتلك القوة- السلطة-. دمقرطة السلطة المحفَّزَة بالثورة الرقمية سطَّحت التسلسلات الهرمية المعرفية جنباً الى جنب مع بقية التسلسلات الهرمية، وصناعة القرار السياسي تقاد الآن من قبل الهذيان المسلح غالباً. بالكاد- من الصعب- أن تكون هذه بيئة مثالية لمحاسبة النفس الجماعية البنّاءة، وبعض السياسات ربما تبقى غير منطقية لفترة اطول مما يمكن ان تبقى كحل.

المتغير الاكبر هو الولايات المتحدة. لقد كانت مصيبة البلد المتفردة بأن يكون لها

اكثر، قائد خلافي وغير كفوء في تأريخها الحديث في دفة القيادة عندما ضربت الأزمة، واسلوبه في الحكم لم يتغير تحت الضغط. قضى ولايته في حرب مع الدولة التي يقودها، لم يكن قادراً على بسط ولايته بفعالية حينما تتطلب الوضع ذلك. لقد حكم على حظوظه السياسية بأنها تُخدَم بشكل افضل من خلال المواجهة والحقد أكثر من الوحدة الوطنية، لقد استخدم الأزمة لانتقاء المعارك وزيادة الانشقاقات الاجتماعية. وضعف الاداء الاميركي خلال الجائحة له عدة اسباب، لكن اكثرها أهمية هو القائد القومي الذي فشل في القيادة.

الرابطة بين خبرات التكنوقراط والسياسة العامة هي أضعف اليوم مما في الماضي، حينما كانت النخب تمتلك قوةً أكثر.

اذا تم منح ولاية ثانية للرئيس في تشرين الثاني- نوفمبر، فأن الفرص لنهضة اكبر للديمقراطية او للنظام الليبرالي العالمي سوف تتضاءل. أيّاً كانت نتيجة الانتخابات، وعلى كل حال، فإن الاستقطاب العميق للولايات المتحدة يحتمل ان يستمر. واقامة انتخابات خلال الجائحة سيكون صعباً، وسيكون حافزاً للخاسرين المظلومين في أن يتحدوا شرعيتها. وفي حال أخذ الديمقراطيون البيت الابيض وبيتَي الكونغرس_ مجلس النواب ومجلس الشيوخ- فسيرثون بلداً جاثياً على ركبتيه -راكعاً-. فالمطالبات بالعمل- الحاجة الملحة للعمل، الفعل- ستصطدم بجبال الدين وبمقاومة مستميتة من معارضة مشوَّشة. والمؤسسات الوطنية والدولية ستكون ضعيفة ومترنحة بعد سنوات من اساءة الاستخدام، وسيستغرق الامر سنوات لإعادة بنائها- فيما لو كان ذلك لا يزال ممكناً على الاطلاق.

مع الأطوار- الواجهات- الأكثر إلحاحاً ومأساويةً لعبور الأزمة، فإن العالم يتحرك باتجاه كدح محبط طويل. في النهاية سيخرج منه، بعض الأجزاء أسرع من الاخرى. التشنجات العالمية العنيفة تبدو غير محتملة، والديمقراطية، الرأسمالية، والولايات المتحدة كلها برهنت قدرتها على التحول والتكيُّف- التأقلم- من قبل. لكنها ستحتاج لإخراج أرنب من القبعة مرةً أخرى.

الأكاذيب و الأخطاء التي قادتنا إلى العراق، تطرح في كتاب

بقلم: بوب دروغن
صحيفة لوس أنجلس تايمز الأميركية 2020/7/28

ترجمة: ضحى الخالدي

واشنطن- بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 الإرهابية. قامت لجنة التحقيق ولجان الكونغرس بشكل موحَّد بإلقاء اللوم على جهاز الأمن القومي الأميركي لفشله في الربط بين نقاط الأدلة التي ربما كشفت مؤامرة أُسامة بن لادن.

بعد أقل من عامين، شن الرئيس جورج دبليو. بوش حرباً مدمرةً على العراق بناءً على فشل استخباراتي أكبر بكثير، والذي رأى بأن وكالة المخابرات المركزية CIA، البنتاغون (وزارة الدفاع) وبقية الوكالات صنعت بفعالية دليلاً على أن البيت الأبيض سعى لتبرير غزو بلد لم يهاجم أو حتى يهدد بمهاجمة الولايات المتحدة.

سلسلة الأكاذيب، الأخطاء والمفاهيم المغلوطة حول أسلحة الدمار الشامل المفترضة في العراق، والدعم المزعوم لتنظيم القاعدة طرحت في تفاصيل مدمرة في كتاب روبرت دريبر الجديد الموثوق به، (لبدء الحرب: كيف أخذت إدارة بوش أميركا إلى العراق).

هذا تاريخ حافل، لكن دريبر نقَّب في الوثائق التي رفعت عنها السرية حديثاً، وتعقَّب مسؤولي الـ CIA والدفاع الذين لم يكونوا متاحين سابقاً لتوضيح القصة الدنيئة للاستعداد لغزو آذار- مارس 2003، وبداية صراع طاحن من شأنه أن يستمر ثماني سنوات ويودي بحياة ما يقرب من 4500 أمريكي.

لماذا الآن؟ مرَّ عقدان من الزمن، لا توجد عناوين جديدة يمكن سحبها من الخلافات الشخصية والسياسية السامة في عهد بوش. لكن دريبر كتب رواية مقنعة عن مدى الكارثة التي يمكن أن تكون عليها مقاربة الأيديولوجيا أولاً لتقصي الحقائق في البيت الأبيض، ولماذا كان الأمريكيون مخدوعين بشدة.

عكس الرئيس ترامب الذي ينطق بالأكاذيب يومياً، كان بوش مؤمناً حقيقياً- وهذا بالضبط ما جعله منيعاً أمام الأدلة المتضاربة أو الشكوك حول التهديد العراقي المفترض.

تلك الحماقة أعطت الأميركيين سبباً كافياً للتشكيك بتقديرات المخابرات الأميركية، وربما الأسوأ من ذلك، أنها منحت ترامب الحق في الإحباط المنتظم بالطعن في الخبراء والمتخصصين حتى في إدارته. هذا التآكل في الثقة الذي غذَّى قاعدته هو فقط واحد من التأثيرات السامة الكثيرة لما بعد الحرب.

بدأ الطريق إلى تلك الحرب بعد أيام قلائل من هجمات 2001، حين قاد نائب الرئيس ديك تشيني مساعديه إلى مبنى الـ CIA في فرجينيا.

أعلى وكالة تجسس في البلاد كانت تستقصي بشكل محموم عن اعتداء لاحق من قبل بن لادن الذي كان مقره في أفغانستان. لكن تشيني أصرَّ على أن الـ CIA تحتاج التركيز على دكتاتور العراق صدام حسين، على الرغم من قناعة موجز وكالة المخابرات المركزية بأنه لا يوجد دليل على تورط عراقي في الهجمات. كما قال احدهم في وقت لاحق، إنه مثل السؤال: (هل فعلت بلجيكا ذلك؟)

خلال السنة اللاحقة، كان تشيني وغيره من الأيديولوجيين يدفعون بنظريتهم الزائفة، فضلاً عن الادعاءات الخطيرة المتزايدة، ولكن الكاذبة على حد سواء، بأن صدام حسين قد أنتج سراً وخزن ترسانة من الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية.

أنشأ البنتاغون ما يسمى بمتجر استخبارات خاص به لإرسال تقارير لا أساس لها إلى تشيني وبوش، كثير من المخبرين مع قليل من المصداقية، بقيادة ورعاية جورج تينيت (مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية 1996-2004). وسرعان ما انتظمت الـ CIA في الطابور، وعززت بشكل متكرر تقييماتها الحذرة حول التهديد العراقي لمساعدة البيت الأبيض في إقناع الجمهور بوجود خطر داهم.

كان بوش بحاجة إلى القليل من الإقناع: فقد أمر بخطط حرب العراق بعد شهرين فقط من هجمات 11 سبتمبر. وكما كتب ريبر، فإن الاندفاع نحو الحرب كان مسوقاً بالخوف وليس الجهد الاستخباري، وبالتخيل وليس الحقائق. (وبالتالي كان من الصعب على النقاد الدفع باتجاه التراجع عندما حذر بوش في أكتوبر 2002، «لا يمكننا انتظار الدليل النهائي- البندقية الدخانية- التي يمكن أن تأتي على شكل سحابة عيش الغراب.»).

رغم أن العراق لم يكن يمتلك برنامجاً نووياً، ولا غازات سامة، أو قذائف مملوءة بالفايروسات المميتة. فإن مفتشي الأمم المتحدة جابوا البلاد لأشهر، لكن فشلهم في إيجاد أسلحة غير مشروعة كان ينظر إليه في واشنطن كدليل على أن العراق أخفى أسلحته بذكاء.

هل كان العراق متحالفاً مع بن لادن كما زعم تشيني؟ واعترف أحد عناصر القاعدة تحت التعذيب من قبل المسؤولين المصريين بأنه «سمع من مساعد لم يذكر اسمه» عن مثل هذه الصلة. كان الادعاء القسري، ومن طرف ثالث، وغير المدعوم، كافياً للبيت الأبيض، رغم أنه اعتُبر لاحقًا كاذبًا.

كما تبنَّى البيت الأبيض ايضاً تقريراً أُحادي المصدر من مخبر لم يعلن عن اسمه، والذي أخبر المخابرات التشيكية بأنه متأكد بنسبة 70 % أن محمد عطا- وهو أحد خاطفي الطائرتين في 9/11- قد التقى بدبلوماسي عراقي في براغ في نيسان- أبريل 2001.

أظهرت سجلات مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI أن عطا كان في الولايات المتحدة أثناء اللقاء المزعوم، وأن الدبلوماسي العراقي لم يكن في براغ. لكن مطالبة البيت الأبيض بتفاصيل حول أماكن تواجد عطا قادت أحد محللي الـ CIA المنهكين إلى الرد بإيجاز (لا يزال ميتاً).

جمع المعلومات الاستخبارية هو ورطة كبيرة، وكما أخبر مسؤول سابق في الـ CIA دريبر، (تستطيع دائماً أن تجد ما تريد في مكان ما) وسط التصريحات المتضاربة، المشاهد غير المؤكدة، الصور الغامضة والأكاذيب المحتملة.

كان هذا ينطبق بشكل خاص على التبرير النهائي للحرب- أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها صدام. تم رفض التحذيرات، وبالكاد تم فحص الأدلة الداعمة، وتم استبعاد التحليل الدقيق.

حذرت مذكرة البنتاغون الموجهة إلى وزير الدفاع دونالد رامسفيلد في منتصف عام 2002، من أن الاستخبارات الأمريكية حول برامج أسلحة الدمار الشامل في العراق ربما كانت غير مكتملة بنسبة 90%، على سبيل المثال، قام رامسفيلد بركن المذكرة على الرف.

مزاعم الإدارة الأميركية بأن العراق سعى لشراء الكعكة الصفراء– اليورانيوم- من دولة أفريقية هي النيجر، كان من السهل دحضها بشكل مثير للضحك: أظهر فحص سريع على جوجل أن خطاب الاتفاق المفترض كان مزوراً. لكن البيت الأبيض لم

يرتدع. الاكثر شهرة' أن الـ CIA دافعت عن مهندس عراقي له اسم- شيفرة (كيرف بول Curveball) الذي أخبر المخابرات الألمانية أن صدام قد أنتج الجمرة الخبيثة، والجدري، وغيرها من العوامل البيولوجية المميتة في شاحنات. ولا عجب أن الجواسيس لم يتمكنوا من العثور عليها.

حذر الألمان من أن كيرف بول Curveball كان غير موثوق، وأنه لا يوجد دليل يدعم ادعائه؛ ولم يسمح لوكالة المخابرات المركزية بمقابلته. لكن مصانع الجراثيم المتنقلة الخيالية الخاصة به أصبحت ركيزة أساسية لحالة الحرب الأمريكية الرقيقة الأنسجة. بعد عام من الغزو، قررت وكالة المخابرات المركزية أن Curveball كيرف بول كانت ملفقة، تمامًا كما ادعى الألمان منذ عام 2001. (للكشف الكامل: دريبر التقى بي واستشهد بكتابي عن قضية كيرف بول).

ومضى الأمر على ذلك، وتضاعفت الاخطاء والخداع، وتضاعفت التكهنات الوردية باستقبال العراقيين للأميركيين كمحررين. وتدفق عملاء المخابرات الأمريكية إلى العراق بعد الغزو للبحث عن أسلحة الدمار الشامل- ولم يجدوا شيئًا.

ازداد الأمر سوءاً، وودفع البنتاغون وزارة الخارجية جانباً في التخطيط لفترة ما بعد الحرب، ثم تراجع مع اندلاع العنف في العراق. وأدى الأمر الأمريكي بحل الجيش العراقي إلى زرع بذور التمرد والحرب الأهلية التي تلت ذلك.

يتحمل بوش اللوم، فقد اعتمد على فريق للأمن القومي اعتقد بأن عليه دعم أحكامه وليس التشكيك فيها. وتبنى الكونغرس الاستخبارات القائمة على أساس الإيمان، وكذلك فعلت وسائل الإعلام المشجعة.

كتب دريبر أشمل رواية حتى الآن عن الحطام المشتعل للسياسة الخارجية، والذي يطاردنا اليوم.

كاتب المقال بوب دروغن هو نائب مدير مكتب صحيفة لوس أنجلس تايمز في واشنطن، ومحرر قضايا الأمن القومي في مكتب الصحيفة في العاصمة واشنطن، وهو مؤلف كتاب (كيرف بول: الجواسيس، الأكاذيب، والرجل المخادع الذي تسبب في الحرب). التحق بلوس أنجلس تايمز في 1983 كمراسل وطني في مدينة نيويورك، وخدم لاحقاً كمدير لمكتب مانيلا وجوهانسبرغ. نال وتشارك في عدة جوائز بما فيها جائزة بوليتزر للخدمة العامة (كتابة المقالات تدخل ضمن إطار التسمية). واثنتان من جوائز روبرت إف. كينيدي، وجائزتان من نادي الصحافة في الخارج.

اصدارات حمورابي

مشروع قانون الحماية من العنف الاسري في العراق لسنة 2020
(قراءة تحليلية في المخاطر والتأثيرات المستقبلية)

المؤلف: الدكتور مصدق عادل

هبة علي حسين*
باحثة من العراق

* باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات

تعرض المجتمع العراقي لموجات عنف عديدة وواسعة على الصعيد السياسي مما اثر وانعكس بالسلب بشكل كبير على المجتمع، لذا ولد ظواهر من بينها ظاهرة العنف الاسري.

تنبع اهمية هذه الدراسة من كونها تسلط الضوء على السلبيات التي احتواها مشروعان قدما إلى البرلمان العراقي، (مشروع قانون الحماية من العنف الاســري لنة 2020، ومشروع قانون مناهضة العنف الاسري لسنة 2019)، وتحليل الاسباب الكامنة والخفية التي احتواها هذين المشروعين.

لذا قسم المؤلف دراسته الى مطلبين، فضلاً عن المقدمة والخاتمة، تطرق في المطلب الاول الى موضوع: مشروع قانون مناهضة العنف الاسري لسنة 2019، من خلال فرعين الاول: المخالفات الدستورية لمشروع القانون، والثاني: المخالفات القانونية لمشروع القانون.

في حين جاء المطلب الثاني لمناقشة موضوع: مشروع قانون الحماية من العنف الاسري لسنة 2020، وذلك في ثلاثة فروع الاول تضمن: المخالفات الدستورية لمشروع القانون، والفرع الثاني شرح: المخالفات القانونية لمشروع

القانون، في حين تطرق الفرع الثالث الى الملاحظات القانونية الاخرى.

من بين الاستنتاجات التي توصلت الدراسة اليها هي مخالفة مشروع قانون مناهضة العنف الاسري ومشروع الحماية من العنف الاسري لنصوص الدستور العراقي لسنة 2005، كذلك مخالفتهما لنصوص القوانين النافذة ايضاً، فضلاً عن مناقشته مجموعة من التوصيات التي يرى من الممكن الاخذ بها لتجنب سلبيات هذين المشروعين

عرض الرسائل والأطاريح الجامعية

هبة علي حسين*
باحثة من العراق

* باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

الفكر السياسي عند الصوفية

الطالب: مريم ثابت نعمان العبيدي
رسالة ماجستير ـ كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد ـ 2020 .

يُعدّ التصوف الاسلامي شأنه شأن التيارات الفكرية الأخرى التي أثارت اهتمام أغلب الدراسات العربية وغير العربية، والتي دار الخلاف بشأن ماهيتها الذي امتد من التسمية الى النشأة، فضلا على الأصول الفكرية. فقد تعددت واختلفت آراء الباحثين والدارسين بشأنها، فمنهم من قارب الصواب، ومنهم من حاد عن سنن الاستواء.

إنّ التصوف الإسلامي يُعدّ ظاهرةً اختلف إزاءها الباحثون، فمنهم من يراها: دخيلة على الإسلام وفدت اليه من حضارات وتيارات اجنبية كالثقافة اليونانية والفارسية والنصرانية والهندية، ومنهم من يراها: تنتمي الى الإسلام بدأت زهدا، ثم صارت فلسفة.

وقد نشأ التصوف الإسلامي: كظاهرة فردية تدعوا الى الزهد والتشدد في العبادة للابتعاد بالنفس عن الانغماس في الترف، غير انّها ما لبثت ان تطورت حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم (الطرائق الصوفية)، وصارت نظاما له اتجاهات عقائدية وعقلية ونفسية وسلوكية، مكونة تياراً فكرياً مهماً في الواقع الإسلامي. فعلى على الرغم من خلافات الصوفية مع التيارات الإسلامية الأخرى في العديد من المسائل، غير انّها امتازت في أحيان كثيرة بمواقفها المعتدلة، والتي كانت سبباً رئيساً في بقائها وظهورها كتيار إسلامي معتدل استمر منذ القرون الأولى الى يومنا هذا.

لقد أسهمت الصوفية في إثراء الفكر السياسي الإسلامي، إذ ما عرفنا إنّ الصوفية كغيرها من التيارات الإسلامية كان لها دور مهم وبارز في تبني الأفكار والنظريات بشأن الإمامة وشروطها، وانّ اهم ما يميزها هو: تبنيها طروحات وأفكار التيارات الاسلامية الفكرية الأخرى، مع قولها بجواز إمامة المرأة، فضلا على تبنيها خيار عدم الخروج على

السلطة، والدعوة الى السمع والطاعة للحاكم، كما لا يمكن الاغفال عن الدور المهم والفعال الذي قدمه التيار الصوفي في مجال الجهاد، سواء أكان ذلك على المستوى النظري أم العملي، ولمدد عدة، وأهم أنواع الجهاد، وشروطه. فضلا على الدور الفعال والمهم الذي طرحه التيار الصوفي في مجال منظومة الحقوق والحريات بمجالاتها كافة سواء أكان ذلك في الحريات السياسية والفكرية أم الاقتصادية والاجتماعية.

اكدت الباحثة على إنَّ هذه الدراسة محاولة لسبر أغوار الاسهام الصوفي في مجال الفكر السياسي الإسلامي، والنظر في خصوصياته، ومن ثم تعريفه على أساس يظهر هويته ويقرّ له، فضلا على الحضارية، ولا شك: انّ مثل تلك المقارنة تجعلنا قبالة لون من ألوان التراث السياسي، والذي يكون له القدرة على إخصاب التفكير في الحداثة السياسية، وتخليقها، وتحريرها من بعض الضعف قبالة التراث.

كما انطلقت الباحثة في دراستها بفرضية مُفادها: «على عكس التصورات المألوفة فأن للصوفية فكرها السياسي الذي تميزت به عن التيارات الاسلامية الفقهية والكلامية والفلسفية».

قسمت الباحثة دراستها الى أربعة فصول، تقدمتها مقدمة، وختمت بخاتمة ضمنتها أهم ما توصلت اليه الباحثة من خلاصة.

فقد احتوى الفصل الأول: ثلاثة مباحث جاءت وفق الآتي: حيث تطرقت الباحثة في المبحث الأول الى أهم التعاريف التي تناولت مفهوم (التصوف)، اما المبحث الثاني فقد تناولت فيه نشأة التصوف وتاريخها. فيما عرضت في المبحث الثالث الأصول الفكرية للصوفية.

اما الفصل الثاني: فقد استعرضت فيه الباحثة (السلطة) في الفكر السياسي الصوفي عَبرَ مبحثين: تناولت في المبحث الأول ماهية السلطة ووجوبها، فضلا على شروط الحاكم عند الصوفية. فيما خصصت المبحث الآخر لواجبات السلطة وحقوقها وحالات الخروج عليها.

فيما عمدت الباحثة في الفصل الثالث: الى توضيح مفهوم (الجهاد) لدى الصوفية، وذلك عن طريق مبحثين: الأول تحدثت فيه عن ماهية الجهاد وانواعه وشروطه. اما المبحث الآخر فقد خصصته الى البُعد العملي لرؤية الجهاد عند المتصوفة.

اما الفصل الرابع: فقد افردته الباحثة للحقوق والحريات في الفكر السياسي الصوفي، وعن طريق مبحثين: الأول عرضت فيه مفهوم الحرية والحقوق السياسية والفكرية. فيما ناقشت في الاخر الحقوق الاقتصادية والاجتماعية.

البنيوية وما بعد البنيوية في الفكر السياسي الفرنسي المعاصر
«دراسة لأبرز الاتجاهات والنماذج»

عرض الاطروحة : سماح نجم كاظم
أطروحة دكتوراه ـ كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد ـ 2020

تمثل البنيوية منعطفاً فكرياً ناتجاً عن انسدادات الحداثة ورفض الوجودية. فكر حمل مشروعاً نقدياً رافضاً لتعالي الذات لينشأ تعالي البنية، ومنها بنية السلطة السياسية، لتعلن البنيوية شعارها (العالم مسرح للدمى). فالذات مفعولا لآليات السلطة التي وصفها (بارت) بالشيطانية، لتصنع الذات مخترقة بذلك بنية اللاوعي الذاتي، وليرتكز التحليل البنيوي على منطق النظام، والقيود البنيوية السلطوية تستلب وتخضع الذات، ومتعارضة مع النظرية الليبرالية. فإن كانت تؤمن بمشاركة الفرد بصنع القرار، فإن الأخير قد حدد مسبقا بآليات اخترقت الذوات، آليات خارجة عن وعيهم وإرادتهم، فالذات البنيوية (آلة مبرمجة بذكاء). كما تعارضت مع الوجودية، وتحديداً مقولة الحرية وتعالي الذات والوعي، لينشا الجدل بين رائد البنيوية (كلود ليفي شتراوس) ورائد الوجودية الناقد للفكر البنيوي عامة (جان بول سارتر). كما تعارضت مع مشروع الحداثة الغربية.

ولا تختلف ما بعد البنيوية من حيث نقد السلطة والدولة، منسجمة مع البيئة الفكرية التي نشأت بها، والمتمثلة بثورة الطلاب الفرنسية (1968)، لتحمل نقداً للايديولوجية واليسار الماركسي الفرنسي والحداثة والأنظمة الشمولية والدعوة للحرية وحق الاختلاف والغيرية والاعتراف، حاملة صفة التقويض والهدم، متأثرة بأطروحات (نيتشه العدمية وتقويض الميتافيزيقا، والنقد الهايدجري الهادف لتقويض الميتافيزيقا والناقد للحداثة).

مثلت اتجاهات البنيوية الفرنسية المعاصرة: البنيوية الماركسية لـ (التوسير)، و(بولانتزاس)، والبنيوية التكوينية لـ (بورديو)، والبنيوية وما بعدها لـ (فوكو)، مضمون الفصل الثاني، وتطبيقا للقطيعة المعرفية الباشلارية على فكر (ماركس)، رفض فكر مرحلة الشباب، ولذلك رفضت البنيوية الماركسية قوانين المادية الجدلية والحتمية التاريخية للادولة/ الشيوعية، لتتعارض مع الحزب الشيوعي الفرنسي والماركسية الانسانوية المتمثلة بطروحات (غارودي، لوفيفر، ولوكاش)، جاعلة من التاريخ (سيرورة دون ذات)، فلم تعد الذات محرك الصراع الطبقي بوصفها واعية وحرة، وهذا ما أنتج تنظيراً مكملاً عن الدولة والأيديولوجية، وأثرها عبر الخطاب على الذوات، أذ «يصنع ويحشر ويقولب» في أجهزة الدولة الأيديولوجية، فضلا عن السلطة التي فتتت الصراع الطبقي عبر تفكيك الطبقة حسب تنظير (بولانتزاس) البنيوي للسلطة، وذلك عن طريق أثر العزلة والأجهزة الأيديولوجية والقانون، مكملاً تنظيره الناقد للدولة الرأسمالية بأطروحة الاستقلال النسبي لها إزاء الطبقة المهيمنة اقتصاديا، مستخلصا خدمتها على الامد البعيد.

اما البنيوية التكوينية لـ (بورديو)، وما تتضمنه من إرجاع الفعل الجمعي والذات دون مركزيتها، فقد أنتج ذلك تنظيراً لمجال السلطة والدولة وميكانزم الاشتغال السلطوي بالذات عبر السلطة الرمزية والعنف الرمزي والصراع الطبقي ودور الهابيتوس من إعادة إنتاج المدى الحيوي كبنية كلية، ليشتغل بالأيديولوجيا الناعمة وسلطة الرمز المهولة المخترقة للذوات، وانشاء الدولة الحس المشترك المكون من أنظمة الإدراك والتصنيف والفعل. اما (فوكو)، فالبنيوية جسدت مرحلة الاركيويولوجيا منظما وفقاً لها ابستيم المعرفة الغربية ونسق الإقصاء، جاعلا من البنيوية (الوعي اليقظ لعصرنا)، عصر هيمنة السلطة السياسية الانضباطية والحيوية على الجسد.

اما ما بعد البنيوية فمثلت مرحلة الجينولوجيا، وتضمنت التنظير للسلطة في فضاء التشتت ورفض الكلية البنيوية، لذلك وزعت السلطة على علاقات القوى المتعددة، مما يجعل الصراع والاستراتيجيات أساسها، والمقاومة ضمن هذه الحقبة ضمن السلطة لا خارجية. فضلا عن نقده الدولة والحداثة الكانطية والأيديولوجية التي دمجها بالمعرفة والدعوة لحق الاختلاف.

اما الفصل الثالث فخصص لتيارات ما بعد البنيوية، وتأتي التفكيكية لـ (دريدا) في مقدمتها، مقدما نقد الهوية في المنظور الهيجلي والارسطي، داعيا لحضور الآخر في الذات دون الحلول فيه ليتضمن حق الاعتراف والغيرية وتفكيك الحداثة الكانطية، مستخلصاً مقولته الشهيرة (كانط مؤسس الحداثة الدينية). والأهم تفكيك الماركسية برفض حتمياتها وقبول بعض الأفكار، مما حمل البعض على عده وريثاً للأممية الماركسية، و(كان طيف الأب ماركس يتجول غاضبا على اسوار التفكيك يطالبه بالثأر لقاتل أبيه)، ليحيي أطياف (ماركس)، فضلا عن النقد ما بعد البنيوي سيادة الدولة مناديا بالديمقراطية المقبلة التي تفكك السيادة بالإضافة للقانون الدولي، ورفض الأخلاق الشمولية المؤسسة للدولة الشمولية ذات السيادة الاستبعادية، واخيرا تفكيكه للإرهاب بربطه بالحرب الباردة والدعم الأمريكي لأفغانستان لإضعاف النفوذ السوفياتي، جاعلا الولايات المتحدة دولة مارقة.

اما اتجاه ما بعد البنيوية الهرمينوطيقيا لـ (ريكور) فتضمن نقده السياسي للايديولوجية من حيث انها إعادة تأويل السرد والمرويات الكبرى وتنظيره للاعتراف والغيرية وتحقيق الذاكرة العادلة والتسامح والصفح غير المؤسسي، بالإضافة للهوية غير المركزية للذات لجعلها منفتحة على المستقبل المقرون بالأخر، علاقة حددها بالمساواة والعدالة والصداقة ضمن دولة العدل.

وأخيرا اتجاه الاختلاف لـ (دولوز) المدافع عن البنيوية الحاضرة في تنظيره للهوية القائمة على الاختلاف والتعايش والتوافق والحرية ضمن التكرار، بالإضافة للنقد ما

بعد البنيوي الدولوزي للدولة والسلطة عبر إقامة الصلات بينهم وبين المعرفة والفكر، ليعدهم ادوات الدولة لإخضاع الجسد، ليكمله بالسياسات الصغرى (النومادولوجيا) كأساس لسياسات المقاومة ما بعد البنيوية الدولوزية جاعلا من الرغبة اساسا لها. ومن ثم نقد التنوير.

واخيراً الفصل الرابع (ما فوق البنيوية: دراسة في النماذج والتلقي والمستقبل)، ليتضمن ما فوق البنيوية لـ (بودريار) ناقدا المجتمع والدولة الاستهلاكية وسلطتها، مستعينا أدوات البنيوية بانفصال الواقع الحقيقي عن الواقع الفوقي الزائف المكون عبر السيمولاكر، مما جعل السلطة مرتبطة بالعلامات، مدعيا موت السلطة فلا تعبر عن بنية مركزية بل شظايا مقلوبة ومتناثرة، وواضعا مفهوم الايديولوجيا مرتبطا بالصورة، وبالتالي موت الايديولوجيات الكبرى نحو الأيديولوجيا الناعمة المرتبطة بالصورة التي استعار منطقها من بنيوية (رولان بارت)، ناقدا حرب الخليج الثانية (1991)، فكانت نتاجاً للصورة الإعلامية الزائفة، ليتبع حتميات البنيوية القائمة بموت الانسان، وبموت السلطة والاجتماع والايديولوجية، مما يطرح إمكانيات الخلاص والتحرر.

واخيرا ضمن الفصل ما بعد البنيوية النسوية، وتلقي المدرسة الأمريكية والالمانية (النظرية النقدية/ مدرسة فرانكفورت) لفكر البنيوية وما بعدها، والنقد الموجه لكلا المنتظمين، والسجالات النقدية بين مفكري البنيوية ومابعدها، لنختم بالمستقبل حيث التلقي الواسع لفكر البنيوية وما بعدها.

توصلت الدراسة إلى أن علاقة البنيوية بما بعد البنيوية ليست من قبيل الاضداد، وأن البنيوية مثلت منعطفاً فكرياً في تاريخ الفكر السياسي الفرنسي والغربي المعاصر، نقد السلطة والدولة والايديولوجيا، وبيان ميكانزم الاشتغال السلطوي بالجسد، ليفقده وعيه وحريته ويصنعه منشأ مقولات للتمييز والفعل والإدراك اساس بالبراديغم السياسي، وأهم ما أضافه فكره للتنظير السياسي الغربي، فضلا عن نقد الأيديولوجية وبيان ماهية الأيديولوجية الناعمة المتلاعبة بالحقائق والواقع، والمؤولة بشكل براغماتي للمرويات الكبرى، واتخاذها المعرفة تارة، والصورة والسرديات الكبرى تارة أخرى، كحصن منيع لتزييفها للوعي، مما يشكل عائقاً امام الاعتراف والصفح، وهنا تكمن أهمية الموضوع تبعا للضرورات الوطنية لتحقيق التسامح وتعدد الهويات والتعايش، بعيدا عن الخطاب السياسي البراغماتي المفكك لوحدة المجتمعات، وسرديات العنف والصراع. بيد أن إلغاء فاعلية الذوات وعدها مجرد دمى سياسية اهم نقاط ضعف التنظير البنيوي، وهذا ما أدى لغياب إمكانيات المقاومة.

عرض الكتب الأجنبية

ضحى الخالدي*
باحثة من العراق

نحن شعب مهذب...
تأملات في السياسة الخارجية الروسية

المؤلف: سيرغي لافروف،
ترجمة: محمد خميس
الناشر: دار الرافدين للنشر، بيروت، 2020

قامت مجموعة من الدبلوماسيين العراقيين بترجمة كتاب سيرغي لافروف «نحن شعب مهذب، تأملات في السياسة الخارجية الروسية» إلى العربية وإصداره، ليكون أول كتاب بلغة الضاد يجمع فيه خلاصة مواقف لافروف وتجربته في السياسة الخارجية على مدار عشرات السنين المهمة جداً في العالم والعلاقات الدولية.

حيث قدّم للطبعة العربية الأولى للكتاب سعادة السيد حيدر العذاري سفير جمهورية العراق السابق في موسكو، والدبلوماسي العراقي الدكتور ياسر عبد الحسين واصفاً مؤلف الكتاب وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف بأنه رجل الدولة والسياسة، ورجل العلاقات الدولية المتعددة، وسيد اللاءات.

لا يحتاج سيرغي لافروف رجل الدولة والدبلوماسي السوفييتي، وزير خارجية الاتحاد الروسي، والعضو الدائم في مجلس الأمن للاتحاد الروسي الى تعريف،

فهو أحد أكثر السياسيين المعاصرين موثوقيةً في روسيا، وواجهتها على الساحة الدولية.

أن الحضور الواسع لجمهور سيرغي لافروف يُحدِث انطباعاً قوياً فمن بين مستمعيه ومحاوريه، ليس الدبلوماسيون والمسؤولون فحسب، بل الطلاب ورجال الأعمال وموظفو المنظمات غير الحكومية وأعضاء الحركات الاجتماعية للشباب، وهذا دليل على أدائه المذهل في العمل، واندماجه في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية، ومسؤوليته عن مستقبل بلده.

الشيء الرئيس في هذا الكتاب، هو تأملات الوزير حول أحداث السياسة الخارجية في السنوات الأخيرة: النزاعات في سوريا وأوكرانيا، التعامل الصعب مع الشركاء الغربيين، وإقامة علاقات مع عملاق الشرق- الصين، إصلاح هيئة الأمم المتحدة، والنضال من أجل القطب الشمالي. ان العالم الحديث مختل التوازن، فالمشاكل الجيوسياسية أصبحت تتزايد باطراد، ويمكن لروسيا الدولة القوية أن تغير الوضع الحالي للأمور.

تكمن أهمية الكتاب وضرورته من خلال المزج الدقيق للمبادئ الدبلوماسية والمواقف البراغماتية للدبلوماسية الروسية المعاصرة بمهنية عالية وفهم فلسفي عميق للواقع المحيط الذي يمتاز به لافروف، وإن ميّزات الكتاب هذه قد حددت الحاجة اليه على حد سواء من جانب الدبلوماسيين المحترفين والمتخصصين بالشؤون الدولية، وكذلك أوسع دائرة من القراء المتأهبين لفهم جاد وشامل لأهم قضايا السياسة العالمية.

الكتاب عبارة عن مجموعة من الخطابات والمقابلات والمقالات لكبير الدبلوماسيين الروس المعاصرين لافروف، تتناول المنظور التاريخي للسياسة الخارجية الروسية، والدبلوماسية الروسية بين الحرب والسلام، و دور سلفه يفغيني بريماكوف الذي كان وزيراً للخارجية ورئيساً للوزراء ومديراً لجهاز المخابرات، وأكاديمياً، في الإنعطافة الهائلة للسياسة الخارجية الروسية، واصفاً إياه بمهندس السياسة.

كما تناول الكتاب في فصوله التحدي الغربي، وإشكالية الهوية الروسية: أوروبية أم آسيوية، ودبلوماسية الأعمال، إضافة الى علاقة روسيا وترامب، وحرب السفارات، ودور روسيا في السياسة العالمية، مشدداً على أن العالم في مفترق طرق.

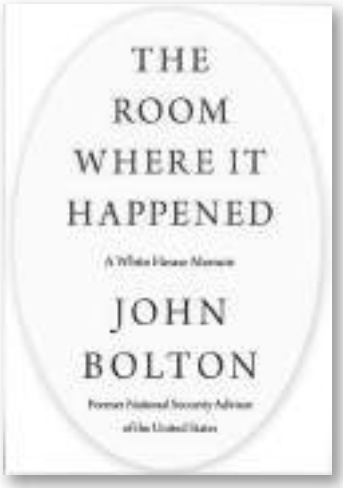

الغرفة التي شهدت الأحداث... مذكرات البيت الأبيض

المؤلف: جون بولتون

الناشر: دار نشر سايمون وشوستر، الولايات المتحدة الامريكية، 2020

صدرت العديد من الكتب حول رئاسة دونالد ترامب، ولكن الكتاب الأخير لمستشار الأمن الوطني السابق جون بولتون أثار اهتماما لدى الرأي العام أكثر من غيره، نظرا لمنزلة الكاتب وطبيعة المعلومات التي أوردها، فقد فشل الرئيس ترامب في استصدار امر قضائي بمنع نشر مذكرات مستشار الأمن القومي السابق جون بولتون في البيت الابيض بعنوان (الغرفة التي شهدت الأحداث).

ان لجون بولتون، الذي عمل مستشاراً لدونالد ترامب السابق للأمن القومي لمدة 17 شهرًا، علاقة خلافية مع الرئيس. اختلف الاثنان حتى عند مغادرته: في صباح يوم 10 سبتمبر 2019، غرد ترامب أنه فصل بولتون، الذي قال بدوره إنه استقال بالفعل في الليلة السابقة. لم يشهد بولتون على نحو سيئ السمعة في التحقيق المتعلق بالمساءلة حول قضية أوكرانيا، لكن التفاصيل كلها هنا الآن. انتقده الديمقراطيون بسبب هذا الاختيار، وسألوا عن سبب عدم رغبته في نشر المعلومات في ذلك الوقت، لكنهم سيفعلون ذلك الآن من أجل تأمين صفقة كتاب مربحة. يصف كتاب بولتون الثقافة السامة في الجناح الغربي وملاحظاته وإحباطاته ورؤاه حول فترة ولايته القصيرة المضطربة حيث يصف الكتاب رئيساً جاهلاً بأبسط الحقائق الجغرافية، ولا تتعدى قراراته رغبته في التمسك بمنصبه لفترة ولاية ثانية.

في الفصل الأول من الكتاب يستعرض جون بولتون الظروف التي رافقت تسنمه منصب مستشار الامن القومي، وهو المجال الذي يعد العمل فيه أمراً مبهجاً لكن من الصعب سبر أغواره، وفي الفصل الثاني يتحدث عن ان العقبة الأساسية بنظر بولتون و العدو الرئيس هو إيران، فيما كانت العقبة الرئيسة بنظر وزير الدفاع السابق جيم ماتيس هي روسيا.

وفي الفصل الثالث يتحدث عن العلاقة باليابان في عهد ترامب، وكواليس الانسحاب من الاتفاق النووي مع إيران، وكيف ان ترامب يرى الاتحاد الاوروبي بانه أسوأ من الصين بالنسبة للولايات المتحدة.

وفي الفصل الرابع يتحدث عن المباحثات مع كوريا الشمالية حول نزع اسلحة الدمار الشامل، كما ويشير فيه الى ان ترامب لم يفهم الربيع العربي حتى الآن، وكيف أن هذا الربيع هو من أسقط نظام القذافي في ليبيا عام 2011، وليس تخلّي القذافي عن الأسلحة النووية في 2003؛ المثير في الامر ان ترامب كان يدير علاقاته السياسية الخارجية على غرار علاقاته النسائية!!

وتستمر فصول الكتاب في سرد مواقف ترامب من الصين، فنزويلا، افغانستان، أوكرانيا، روسيا وعلاقتها بانتخاب ترامب، وكيف ان ترامب ينظر الى الصحفيين على انهم حثالة ينبغي التخلص منهم!

انطوى الكتاب على الكثير من المفارقات، من أهمها أن ترامب طلب مساعدة الصين لإعادة انتخابه، وأنه يشجع الرئيس الصيني على بناء معسكرات لاعتقال الإيغور المسلمين، وأنه يحابي الدكتاتوريين امثال رجب طيب أردوغان، وقد عرض مساعدته عام 2018 في التحقيق الذي كان يجري في الولايات المتحدة حول شركة تركية متهمة بانتهاك العقوبات المفروضة على إيران.

ومن المفارقات الأخرى أن ترامب لم يكن يعلم أن بريطانيا قوة نووية، فقد كانت بريطانيا الدولة الثالثة- بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي- التي اختبرت سلاحاً نووياً عام 1952، ولكن حقيقة أن بريطانيا تعد عضوة في النادي النووي كانت غائبة عن ترامب. وقبل لقائه بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين في العاصمة الفنلندية هلسينكي، يقال إن ترامب تساءل عما إذا كانت فنلندا «شبه تابع لروسيا». ويقول بولتون إن جلسات المعلومات الاستخبارية التي يحضرها ترامب «لم تكن مفيدة» لأنه في معظم المناسبات «يتكلم أكثر من الخبراء في أمور لم تكن لها علاقة إطلاقا بالمواضيع قيد النقاش». وأنه كان على وشك الانسحاب من حلف شمال الأطلسي عام 2018، فحسبما يقول بولتون أن ترامب كان يقول: «سننسحب ولن ندافع عن أولئك الذين يرفضون دفع ما عليهم»، و كان يرى بأن «غزو فنزويلا سيكون شيئاً جميلاً».

يحتوي كتاب بولتون على العديد من النماذج عن السخرية التي يوجهها موظفو البيت الأبيض لترامب. ويصف البيت الأبيض بأنه «مختل» تماماً تحت إدارة

ترامب، وأن الاجتماعات التي تجري فيه تشبه «معارك صبيانية»، عوضاً عن أن تكون جهوداً حقيقيةً لصياغة السياسات. ويقول إن رئيس موظفي البيت الأبيض آنذاك، جون كيلي، حذره عندما بدأ عمله في مقر الرئاسة الأمريكية، بأن «هذا مكان سيء للعمل، كما ستكتشف بنفسك». ويقال أنه حتى وزير الخارجية مايك بومبيو، الذي يعد من الموالين لترامب، وصفه في رسالة بأنه «ينضح بالقذارة».

يختتم بولتون كتابه بأن التركيز على أوكرانيا فقط ضمن حملة إقالة ترامب هو ما سبَّب فشلها، وقد تم التركيز عليها إعلامياً لأجندات خاصة، وأن مذكراته لا تنطوي على أي كشف لأسرار الأمن القومي التي تعهَّد بالحفاظ عليها.

تقع المذكرات في 570 صفحة مقسمةً الى 15 فصلاً، إضافةً الى ألبوم صور لأبرز الشخصيات التي التقاها بولتون في عمله، واهم المحطات التي كان شاهداً عليها. وقد كان الموعد المقرر لصدور كتاب بولتون هو 23 حزيران- يونيو 2020 رغم صدور نسخة الكترونية مقرصنة عنه قبل الموعد بثمانية واربعين ساعة.

عرض الكتب العربية

هبة علي حسين
باحثة من العراق

تحدٍ.... وإنجاز

ملف الأسلحة الكيميائية العراقية

المؤلف: عبد الرزاق عبد الجليل العيسى

الناشر: المركز الاكاديمي للنشر، الاسكندرية، 2020

يعُد ملف اسلحة الدمار الشامل في العراق من المواضيع المهمة جداً، نتيجة العقوبات التي فرضت بسببه ولكونه السبب الرئيس لاحتلال العراق، وفق المزاعم الامريكية، وكذلك لما تحملة الاسلحة الكيميائية وانتشارها من مخاطر عديدة تتمثل بالنزاعات وسباق التسلح بين الدول وبالتالي عدم الاستقرار السياسي.

ومؤلف الكتاب غني عن التعريف، وهو الشخصية العلمية والاكاديمية المعروفة الأستاذ الدكتور عبد الرزاق عبد الجليل العيسى، والذي شغل مواقع عدة من بينها وزير التعليم العالي والبحث العلمي في العراق، والتي أدمجت معها العلوم والتكنلوجيا، ومن خلالها تمكن من الإدارة المباشرة، والإشراف على إنهاء ملف الأسلحة الكيميائية في العراق، موظفاً خبرته العلمية وكفاءته الإدارية في ذلك.

جاء هذا الكتاب الذي يحمل عنوان (تحدٍ.... وإنجاز ملف الأسلحة الكيميائية

العراقية) لتوثيق هذا الملف من خلال توضيح كل الجوانب المتعلقة فيه للشعب العراقي من الحقبة المظلمة في تاريخ العراق، ومزجها بالمعلومات العلمية والتقنية لبيان خفايا هذا الملف وحسم السجال والجدل المستمر بشأن الأسلحة الكيميائية العراقية، وتوضيح ما اذا كانت سبباً حقيقياً لاحتلال العراق عام 2003، إذ ان هذا الكتاب حسب رأي المؤلف- سوف يحسم السجالات التي تثار بين مدة واخرى بشأن وجود الاسلحة الكيميائية في العراق قبل عام 2003.

لذلك قسم المؤلف كتابه الى خمسة فصول، فضلاً عن المقدمة، تطرق في الفصل الاول الى تاريخ الاسلحة الكيميائية، ابتداءاً بمنظمة حظر الاسلحة الكيميائية، ومروراً بانضمام العراق الى اتفاقية حظر الاسلحة الكيميائية، وصولاً الى برنامج العراق للأسلحة البايولوجية، وكذلك دور الشركات الألمانية في بناءالبرنامج الكيميائي العراقي، وتأثير الحرب العراقية – الايرانية على البرنامج الكيميائي العراقي، انتهاءً بضحايا الغازات السامة.

اما الفصل الثاني، فجاء للحديث عن منشأت تصنيع الاسلحة الكيميائية العراقية، وذلك من خلال توضيح منشأة المثنى العامة، وتوصيف البنايات في المواقع التابعة لمنشأة المثنى، كذلك بيان منتجات منشأة المثنى من الاسلحة الكيميائية، والمواقع الساندة لمنشأة المثنى خارج موقع الثرثار، وايضاً توضيح تدمير موقع المثنى، مروراً بإعتماد منشأة المثنى كمخزن، وتطرق الى واقع حال منشأة المثنى والمواقع المساندة لها بعد عام 1994، وصولاً الى بروتوكول تسليم موقع المثنى.

الفصل الثالث فشرح مفصلاً مشروع المثنى، ابتداءاً بتأسيس مشروع تصفية منشأة المثنى، ومناقشة التزامات العراق وفق اتفاقية حظر الاسلحة الكيميائية، وكذلك الهيئة الوطنية والحلول المقترحة، مروراً بمقترح الولايات المتحدة والمقترح الالماني والمقترح البريطاني، وايضاً عمل اللجنة المشكلة بالامر الديواني، والخيارات الفنية المطروحة، مراحل العمل المقترحة، وتوصيات اللجنة المشكلة بالامر الديواني، واللجنة الاستشارية لتصفية مشروع المثنى، وناقش المؤلف في هذا الفصل ايضاً أمر تأسيس مشروع تصفية منشأة المثنى الملغاة والهيكلية المقترحة لمشروع تصفية منشأة المثنى، واللجنة العليا لادارة مشروع تصفية منشأة المثنى، فضلاً عن بعض الملاحظات بشأن القرارت الصادرة والمناقشات الفنية في منظمة حظر الاسلحة الكيميائية بشان تصفية مشروع المثنى وهي: اجتماعات المجلس التنفيذي 58 واجتماع الخبراء الفنيين،

المواضيع الرئيسية والمناقشات الرسمية، فضلاً عن اجتماعات المجلس التنفذي من الاجتماع 59 الى الاجتماع 66، واجتماعات الطاولة المستديرة في ابردين / امريكا، ومن الاجتماع 67 الى الاجتماع 70، ومن ثم تناول موضوع ضياع فرص البدء بتدمير مخزن (13)، ومحاولة رئاسة الوزراء لتغيير ادارة المشروع.

تطرق المؤلف في الفصل الرابع الى الانجاز، بدءً بـ ايقاف الاتفاق على المشروع، المكافآت النقدية، مخصصات الساعات الاضافية، وكذلك مخصصات الخطورة ومخصصات اطعام، والحصول على اوليات المشروع، ومحاولات زج عناصر جديدة لإدارة المشروع، الاستعدادات للشروع بتدمير مخزن (13)، تطرق كذلك لـ زيارة جامعة سامراء، وخطة تدمير مخزن (13)، مروراً بتدمير مخزن (13)، ومقترح تبديل خطة اتلاف مخزن (41)، ناقش المؤلف في هذا الفصل حضور المجلس التنفيذي (EC85)، تقرير الايفاد، زيارته لموقع المشروع، المخازن الاخرى ضمن مشروع المثنى، ايضاً طرح احداث جانبية، وتصفية الالتزامات الاخرى لمشروع، وانتهى الى اهم التحديات التي واجهت المؤلف في مدة إنجاز المشروع.

الفصل الخامس والذي يمثل الخاتمة، جاء موضحاً اهم الرؤى والافاق التي نتجت بعد انهاء ملف الاسلحة الكيميائية، من خلال بيان الرؤى والافاق التي نتجت بعد انهاء مشروع المثنى، وكذلك إنشاء محطة إتلاف البصرة والتعاقد مع شركات إستخراج النفط، وميزات النجاح.

كما تضمن الكتاب ملاحق بالوثائق والصور.

مصطفى صادق عواد الكبيسي
باحث من العراق

الإصلاح السياسي (المعوقات والحلول)

تأليف: مصطفى صادق عواد الكبيسي

الناشر: دار الكتب والدراسات العربية، 2020

تُعد عملية الإصلاح السياسي من أبرز الآليات التي تستخدم من أجل إحداث تغييرات في بنية النظام السياسي والعملية السياسية بشكل سليم. وهذه العملية عادةً ما تبدأ بعد مدة زمنية من الممارسة السياسية، وكشف السلبيات فيها، وتشخيص العلل من أجل العمل وفق سياسات تسهم في إصلاح تلك السلبيات، وتترافق وتسير معها جنبا إلى جنب سياسات تسهم في تحسين وتعزيز الواقع الاقتصادي مما يرفع من المستوى المعاشي والدخل الفردي والدخل القومي للدولة. وكذلك سياسات تهدف إلى توحيد المجتمع في هوية وطنية موحدة مع بقاء الهويات الفرعية واحترامها، مما يخلق حالة من الرضا لدى أفراد المجتمع تدفعه للعمل وفق روح المواطنة، ويسهم في خلق مجتمع مدني واع، فضلاً عن سياسات تهدف إلى النهوض بالواقع الثقافي والتعليمي ومحاربة الأمية والجهل وإصلاح البنية الثقافية للمجتمع العراقي، وسياسات تسهم في تحقيق الأمن والاستقرار، وهذه جميعها تؤدي إلى تحقيق إصلاح سياسي وتنمية مستدامة على الاصعدة جميعها.

ومما لا شك فيه أن العراق بحاجة ماسة إلى الإصـلاح السياسي فضلاً عن الإصلاحات الأخرى، كالإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأمنية، فالإصلاح السياسي يُعد أحدى الوسائل المهمة التي تستخدم من أجل إحداث تقدم في العملية السياسية وتصحيح الاختلالات في مؤسسات وهياكل الدولة نظراً لوجود عوامل تقتضي إجراء هذا الإصلاح والتحول نحو الافضل، ففي العراق بعد عام 2005، وإقرار الدستور الدائم للدولة واختيار الديمقراطية كنظام يسير عليه العراق بعد سنوات من الحكم الشمولي والانفرادي، لا بد أن يُعد الإصلاح السياسي من أهم خطوات التحول الديمقراطي، ويتم ذلك من خلال ادراك القوى السياسية لأهمية أحداث واتخاذ إجراءات الإصلاح السياسي، فالإصلاح السياسي يعني مرور النظام السياسي بعملية تغيير تستهدف تحسين طبيعة وعمل النظام واتخاذ الإجراءات التي

تسهم في تسريع عملية التحول الديمقراطي وإتمامها، فالأخذ بالديمقراطية وإقرار أهم متطلباتها، والتي من ضمنها التعددية السياسية ومنها التعددية الحزبية، وتوافر ضمانات للحريات السياسية والمدنية واحترام حقوق الإنسان، وإقرار دولة القانون واجراء الإصلاحات الدستورية والقانونية والإصلاح المؤسسي والتوصل إلى صيغة للتداول السلمي للسلطة، فضلاً عن التوسع في إدخال قيم المساءلة والمحاسبة وفق معايير الحكم الرشيد.

وعلى أساس ما ذكر اعلاه سعى المؤلف من خلال ذلك الى تسليط الضوء على مضمون الإصلاح السياسي وعلى المفاهيم المقاربة له، كذلك الشروط الواجب توافرها فضلا عن مداخل الإصلاح السياسي، وأيضا مخرجات عملية الإصلاح السياسي من سلطة تشريعية فعالة، وسلطة تنفيذية متخصصة، وبيان حالة الفصل بين السلطتين مع حفظ التوازن والتعاون بينها، كذلك التركيز على العامود القانوني الا وهو السلطة القضائية المستقلة، لتكون هذه المخرجات قاعدة رصينة لمخرجات أخرى تؤسس لبناء دولة، ومن ثم الانتقال إلى الدوافع التي تدفع بالأخذ بالإصلاح السياسي، وأهمها الدوافع الدستورية المتمثلة بالتعديلات على بعض من مواد وفقرات الدستور العراقي لعام 2005 الدائم، وتم تقسيمها إلى القصور في الجانب الاجتماعي والجانب الاقتصادي وجانب تعزيز الديمقراطية والقصور في انجاز بناء المؤسسات الدستورية، كذلك القصور في تنظيم العلاقة بين الحكومة الاتحادية وحكومات الاقاليم والمحافظات غير المرتبطة بإقليم. ومن ثم التطرق إلى بعض القوانين القديمة التي تحتاج إلى تعديل وبعض آخر تصنف كونها حديثة ولكن لم تكن تتلاءم مع واقع المجتمع العراقي. كما وتم البحث في النظام الحزبي وطبيعة الاحزاب السياسية والنظام الانتخابي والمحاصصة الطائفية والسياسات المرتبطة بها، وكذلك طبيعة العلاقة بين السلطات الثلاث. كما خاض الباحث في موضوع الفساد، والبحث في جميع اشكاله وابعاده في العراق، والتطرق ايضا إلى الجهات المكافحة له ومدى فاعليتها، ومن ثم البحث في الظواهر الاقتصادية الدافعة للإصلاح السياسي والمتمثلة في غياب الرؤى الاستراتيجية التنموية لتحقيق التنمية الاقتصادية المطلوبة، وظاهرة البطالة وانتشار الفقر والاقتصاد احادي الجانب، يضاف إلى ذلك دوافع اجتماعية وثقافية متمثلة في ازمة الهوية الوطنية والمواطنة وضعف الاندماج المجتمعي وتراجع مستوى التعليم وانتشار الامية وضعف دور مؤسسات المجتمع المدني وازمة الهجرة والنازحين. وايضا التطرق إلى الدوافع الامنية وما نتج عن الاخطاء في اعادة بناء وتشكيل الاجهزة الامنية مما ادى إلى

دخول تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام (داعش) الارهابي واحتلال اراض واسعة من العراق حينها.

ومن ثم ذكر ابرز معوقات عملية الإصلاح السياسي في العراق، المتمثلة بالمعوقات الداخلية على المستوى الرسمي، وهي ضعف دور المؤسسة التشريعية الداعم للإصلاح السياسي، وضعف اداء السلطة التنفيذية الداعم للإصلاح السياسي، وضعف دور السلطة القضائية الداعم للإصلاح السياسي، كذلك ضعف اجراءات المصالحة والحوار الوطني، وغياب المعارضة داخل البرلمان، وهناك معوقات داخلية على المستوى غير الرسمي متمثلة في انتهاكات حقوق الانسان والحريات العامة، واختلاف الرؤى الاصلاحية وطبيعة النسق الفكري للمجتمع العراقي والقوى السياسية. اما المعوقات الخارجية، فتمثلت في دور دول الجوار الاقليمي والكيان الصهيوني (اسرائيل) والولايات المتحدة الامريكية. وبعد البحث وبيان كل تلك الدوافع والحلول وضع المؤلف الحلول من اجل تحقيق الإصلاح وعلى المستويات جميعها، وجاءت هذه الحلول على شكل سياسات عامة لكل ما طرح في هذا الكتاب، وبما يتلاءم مع واقع الدولة والنظام الديمقراطي، وكذلك ما يتلاءم مع طبيعة وتطلعات المجتمع العراقي. ومن ثم تطرق المؤلف إلى الافاق المستقبلية للإصلاح السياسي في العراق، والمتمثل بمشهدين الاول الاستمرار المقترن بالتقدم، والمشهد الثاني التراجع المقترن بالفشل، من اجل تصحيح مسار العملية السياسية والتي اخذت بالنهج الديمقراطي في النظام السياسي الجديد.

وأخيراً مع كل ما تقدم حول الإصلاح السياسي في العراق بعد عام 2005م، والواقع الجديد الذي يمر فيه وما يطرحه هذا الواقع من مشكلات وتحديات تعرقل سير العملية السياسية، وتهدف إلى التحول نحو الديمقراطية وتثبيت ركائزها، يتفاءل الكاتب خيرا بمستقل أفضل ومزدهر، لأن العراق بدأ يطمح بالسعي وبخطى واثقة للحاق بركب الدول المتقدمة سياسياً واقتصاديا واجتماعيا وثقافياً، وأفضل دليل على ذلك ما قامت به القوات العسكرية والأمنية العراقية بجميع صنوفها وتشكيلاتها من تحرير جميع مناطق العراق من تنظيم (داعش) الارهابي، وهذا التحرير ما هو إلا ثمرة تم جنيها نتيجة تغييرات إصلاحية على الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وإن كانت هذه التغييرات بسيطة، ولكنها أدت إلى نتائج كبيرة. وتبقى تجربة الإصلاح السياسي في العراق وما ستحققه على مستقبله جديرة بالمتابعة والبحث.

Balfour, From Anti-Semitism to Creating
a National Home For Jews **Murad AL-Zeer 175**

Constant Chapters

Translated Researches:
The Pandemic and Political Order (Takes a state)
Translated by: Dhuha Al-Khalidi 208

The Lies and Mistakes That Led The US into Iraq
Laid Out in a New Book
Translated by: Dhuha Al-Khalidi 216

Hammurabi Publications:
Presentation of university Thesis and Dissertations
Samah Najm Kadhim & Hiba Ali Hussain 222

Foreign Books Review **Dhuha Al-Khalidi 227**

Arabic Books Review **Mustafa Sadiq Awwad & Hiba Ali Hussain 232**

Contents

Hammurabi Issue: Corona Impact Continues

"The Global System in The Face of Corona
and Post-Corona scenarios" … **Meher Ltaif 6**

Corona Pandemic...Between The Truth and The Conspiracy
Hiba Ali Hussain & Dhuha Hameed Kareem 31

The Repercussions of The Corona Virus Pandemic
on The Iraqi Economy…
MSC.Ali Saadi Abdulzahra Jubeir 43

Hammurabi Researches

Control The Weapons of Iraqi Tribes and Clans
(Motives, Methods, Outlook)
Hassan Salman Khalifa Al-Baidani 64

Attitudes of Iraqis towards political parties
with a secular orientation…
Prof. Dr. Mahmood Shamal Hassan 87

The Impact of Exchange Rate Fluctuations on The General
Budget of Iraq Case Study Duration (2004-2018)
Sabreen Adnan Wali & Iman Alaa Kadhim 108

The Role of Education and Socialization
in Strengthening a Culture of Social Peace
Mousa bin Qasir & Khalid bu Minjal 133

The Implications of The Development of the American
Information Power in The Internal Environment
Asst. Prof. Dr. Dunia Jawad Mutlaq & Ahmed Abdul-Jabbar Abdullah 152

Cohesive Periodic for Political and Strategic Affairs
Issued by: Hammurabi Center for Researches & Strategic Studies
35th Issue - 8th year - Summer 2020

HAMMURABI
Journal for Studies

Editor in Chief: **Asst.Prof. Dr. Shareef Said Hameed**

Editorial Director: **Hiba Ali Hussein**

Editorial Board

Prof. Dr. Balkis Mohemmed Jawad - *Giglgamesh Ahliya University - Iraq*

Prof. Dr. Khairi Abdul Razzaq Jassim - *Center for International and Strategic Studies - University of Baghdad*

Prof. Dr. Mohsen Saleh - *Faculty of Social Sciences - Lebanese University*

Prof. Dr. Said M. Dahdouh - *Political Sciences - Iraq*

Prof. Dr. Muthenna Ali Hussain - *Faculty of Political Science - University of Baghdad*

Prof. Dr. Saadoun Hamoud Jathir - *Faculty of Management and Economics - University of Baghdad*

Prof. Dr. Wissam Fadel Rady - *Faculty of Education - University of Baghdad*

Prof. Dr. Amhamad Maleki - *Political Sciences - Morocco*

Prof. Dr. Norhan Al-Cheikh - *Political Sciences - Egypt*

Prof. Dr. Arous Al-Zobaeir - *Sociology - Algeria*

Arabic language checking: Aliyaa Yahya Weiritha

English language checking: Dhuha Al-Khalidi

Design and Layout: Hussak Computer Press - Beirut - Tel.: 00961 1 345687

ONE YEAR: FOR INDIVIDUALS: 30 $
FOR INSTITUTIONS: 50 $
FOR ABROAD: 80 $

E-MAIL: hcrsiraq@yahoo.com
The number at the House of Books and Documents In Baghdad
1709 Year 2012

ISSN 2227-5312